

نموذج رقم (1)

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

فن الرسائل في العصر المملوكي دراسة تحليلية

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه  
حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو  
بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

#### DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the  
researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any  
other degree or qualification

اسم الطالب: ساسا مخري الخال

التوقيع: س

التاريخ: ٢٠١٢ / ٦ / ٣



الجامعة الإسلامية - غزة  
عمادة الدراسات العليا  
كلية الآداب  
قسم اللغة العربية

# فن الرسائل في العصر المملوكي دراسة تحليلية

Letters Art in the Mamluk Era  
An Analytical Study

إعداد الطالبة

رشا فخري النحال

إشراف الأستاذ الدكتور

عبد الخالق محمد العف

أستاذ الآداب والنقد - الجامعة الإسلامية - غزة

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الآداب والنقد

2013 - 2014م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الجامعة الإسلامية - غزة  
The Islamic University - Gaza

هاتف داخلي 1150

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا

الرقم... ج.ب.ع./35/..... Ref

2014/03/15م

التاريخ..... Date

## نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ رشا فخري عادل النحال لنيل درجة الماجستير في كلية الآداب / قسم اللغة العربية، وموضوعها:

### فن الرسائل في العصر المملوكي - دراسة تحليلية

ويعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الأحد 17 شعبان 1435هـ، الموافق 2014/06/15م الساعة العاشرة صباحاً بمنى الحديدان، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. عبد الخالق محمد العف مشرفاً ورئيساً  
أ.د. نبيل خالد أبو علي مناقشاً داخلياً  
د. عاطف عبد الله أبو حمادة مناقشاً خارجياً

ويعد مداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في كلية الآداب / قسم اللغة العربية.

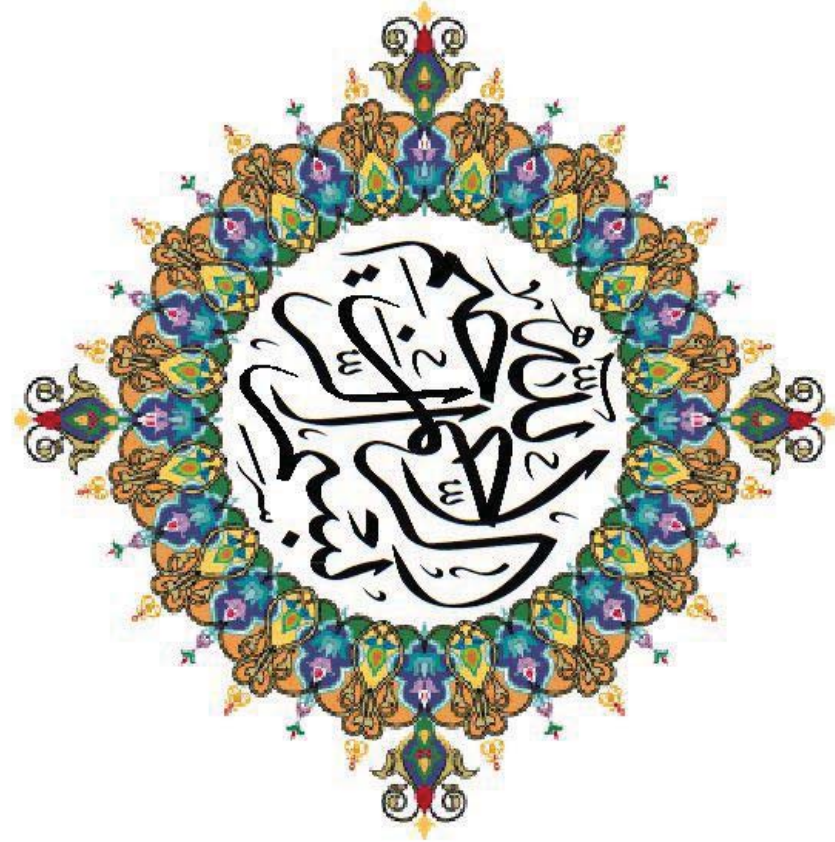
واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله وازوم طاعته وأن تستخر علمها في خدمة دينها ووطنها.  
والله ولي التوفيق،،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العماجر







## الإهداء

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وأنزل الله به العظمة إلى النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

إلى روح أمي الطاهرة التي كاللبي بال دعاء إلى آخر يوم في حياتها أسكنها الله فسيح جناته .  
إلى والدي العزيز الذي تعلمت منه الصبر والجِدُّ أطال الله في عمه .

إلى زروحي الحبيب رفيق دربي وقرّة عيني . الذي كان هو السبب الوحيد في التحاقني بالدراسات العليا ، وله الفضل بعد الله في ذلك ، أدامه الله عزاً وسنداً لي .

إلى عمي وعمتي والدي زروحي الكريمن اللذين أمداني بالدعاء والتشجيع أطال الله في عمهما .  
إلى أختي العزيزة مانيا التي ساعدتني في إنهاء هذا البحث ، أتمنى لها السعادة والنجاح .

إلى أختوتي يعقوب وإسحاق وطرف وزوجاتهم وأولادهم وأخواتي سمر وسهاد أدامهم الله نوراً  
يضيئ حياتي .

إلى أولادي مستقبلاً أدعو الله عز وجل أن يبرز قتي بهم .

إليهم جميعاً أهدي ثمره جهدي .  
مرشا التحال

## شكر وتقدير

يسرني أن أقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير والعرفان لأستاذي  
المشرف على هذه الرسالة، الأستاذ الدكتور عبد الخالق محمد العف،  
على ما بذله لي من مساعدة وتوجيه، وعلى ما منحني إياه من وقته الثمين، وعلى  
سعة صدره في سبيل إنجاز هذا البحث أسأل الله تعالى أن يجزيه عني خير  
الجزاء.

## شكر وعرفان

الحمد لله على ما أنعم عليّ من العطايا ووفقي بفضله لإتمام هذه الرسالة، وما توفيقني إلا بالله عز وجل.

أقده شكري الجزيل الوافر إلى عضويّ لجنة المناقشة الدكتور عاطف عبد الله أبو حمادة الأستاذ الأديب والذوق المشارك بجامعة القدس المقدّودة. لما بذله من جهد مشكور في توجيه وتقويم هذا البحث لتعم الفائدة. والشكر موصول لفضيلة الأستاذ الدكتور نبيل خالد أبو عليّ أساتذ الأكاديم والذوق بالجامعة الإسلامية ونائب رئيس مجمع اللغة العربية الفلسطينيّ \_ حفظه الله \_ الذي ممّا قلته فيه فلن أوفيه ولو جزءاً يسيراً من حقه، فقلت كان لي أساتذاً ومربيّاً ومادياً لكل خير. فله يذخر في مساعديّ جمّاً منذ البداية منذ أن كانت هذه الرسالة مجرد فكرة تلوح في الأفق إلى أن تم الانتهاء منها على هذا الشكل فهو أهل للتقدير والثناء والشكر الدائم . ولقد كان لتوجيهاته أثر بالغ في إبراز هذه الدراسة على هذا الشكل فتعجز الكلمات عن شكره فجزاه الله عني خير الجزاء وأطال الله في عمره ووهبه الصحة والعافية وجعل ما بذله في ميزان حسناته .

## القدمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أوتي جوامع الكلم ، عليه وعلى آله و أصحابه أفضل صلاة وأتم تسليم وبعد:

كان النثر الأدبي – وما زال – فناً مهماً من فنون الأدب العربي، وقد أثبتت الدراسات كثيرة المؤلفات التي تحدثت عن نشأة فنون النثر المختلفة ومراحل تطورها عبر العصور ، حيث لم تخلُ ساحة القول والإبداع للشعراء وحدهم في المجتمع العربي عبر عصوره المتتابعة، فقد تمتع الخطباء والكتّاب بمكانة مرموقة . وإذا كان الاهتمام في العصر الجاهلي بالخطابة أكثر من الكتابة، فقد بدأت الحاجة إلى الكتابة ترتقي منذ صدر الإسلام، وبدأت الدواوين تتحمل تدريجياً أعباء الدولة الإسلامية وتواكب توسعها، وأضحى الكتّاب وزراء يديرون شؤون البلاد والعباد .

وقد اعتاد الدارسون القول: "بدأت الكتابة بعبد الحميد وختمت بآين العميد"، ورأوا أن قواصدها قد استقرت، وسماتها الفنية قد حَققت جودة لن يفوقها كل من جاء بعد آين العميد، ليس ذلك فحسب بل معظمهم يرى تراجع سمات الجودة وتخلفها بعد آين العميد، وما تكاد نصل إلى العصر المملوكي حتى نجدهم يصفون أدبه بشكل عام بالتخلف والانحطاط .

**أهداف الدراسة:**

- تقديم دراسة تحليلية لفن الرسائل في العصر المملوكي ، ومعرفة أنواعها.
  - تقديم دراسة فنية لفن الرسائل في العصر المملوكي .
  - معرفة أشهر كتّاب الرسائل في هذا العصر .
- دوافع الدراسة:**

- مما دفعني لهذه الدراسة الرغبة الشديدة في إعادة الصورة المشترقة لهذا العصر وأدبه،
- وبعد الدارسين عن دراسة فن الرسائل في هذا العصر .



## الدراسات السابقة:

ومما مهد لي الطريق في بحثي هذا:

- فقد التثر في تراث العرب النقدي حتى نهاية العصر العباسي : نبيل خالد أبو علي. تتبعت في هذا الكتاب الحديث عن تصنيف الرسائل ومسمياتها "سياسية واجتماعية " ، كما وتتبعته فيه أيضاً الحديث عن نشأة فن الرسائل السياسية والرسائل الاجتماعية حتى العصر العباسي وذكر أنواعها وذكر نماذج لكل نوع. وقصر في استكمال نماذج الرسائل فيما بعد العصر العباسي لأن ذلك الكتاب اختص بالتثر حتى نهاية العصر العباسي، لكنه ساعدني في كيفية الاطلاع ودراسة أنواع الرسائل في العصر المملوكي . وتتبعته في ذلك الكتاب أيضاً الحديث عن بناء الرسالة وعناصرها والدراسة الأسلوبية للرسائل وموسيقى الرسائل. فقد كان هذا الكتاب خير جليس ومساعد لإنهاء الرسالة .

- عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي: محمود رزق سليم . قد كان هذا الكتاب سجلاً حافلاً بأنواع الرسائل السياسية والاجتماعية و العلمية في العصر المملوكي وقد أرشدني للعودة للمرجع الأول الذي أخذ منه النموذج. كما وساعدني في معرفة أشهر كتاب ذلك العصر، قد قصر في عمل دراسة فنية للرسائل، وذلك لأن كتابه كان سجلاً اشتمل على نماذج الرسائل. ويعتبر هذا الكتاب مهماً لمن يريد دراسة التثر في العصر المملوكي .

- كتاب الادب العربي بين عصرين. المملوكي والعثماني نبيل خالد ابو علي. مهد لي الطريق في الحديث عن البيئة العامة في العصر المملوكي. البيئة السياسية والبيئة الاجتماعية والبيئة العلمية .  
**أهمية الموضوع:**

ولمّا لاحظتُ تسليم الدارسين المحدثين بما تقرّر من وصف أدب العصر المملوكي بالضعف والانحطاط، وانصرافهم عن دراسة أدب العصر المملوكي بصفة عامة - غالباً - وعن دراسة فن الرسائل في العصر المملوكي بصفة خاصة، رأيت أهمية دراسة هذا الموضوع والتحقق من صدق هذه المقولة أو دحضها، وقد غلب عندي دحض هذه المقولة بعد أن تصفحت ما تيسر لي من تراث فن الرسائل .

ولكي أتمكن من تحقيق غايات هذا البحث التي منها معرفة أنواع الرسائل، ومعرفة السمات الفنية، وتبيين موقعها على سلم الجودة الفنية، ولكي يكون شاهداً على مكانة الأدب في هذا العصر ...

رأيت أن تتوزع هذه الدراسة على مقدمة تشتمل على الحديث عن أهمية الدراسة ومبرراتها، والدراسات السابقة، وخطة الدراسة ومنهجها . وتهيد يشتمل على بحثين: خصصت الأول منهما للحديث عن فن الرسائل في الأدب العربي قبل العصر المملوكي، والمبحث الثاني للحديث عن البيئة العامة للعصر المملوكي حيث سيتم الحديث عن البيئة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية.

وقد خصصت الفصل الأول للوقوف على واقع فن الرسائل في العصر المملوكي معرفة أشهر الكتاب، ويشتمل على بحثين؛ يختص الأول منهما بالحديث عن العوامل المؤثرة في فن الرسائل ومكانتها، ويتكفل المبحث الثاني بالحديث عن أشهر كتاب الرسائل في العصر المملوكي.

وخصص الفصل الثاني للحديث عن أنواع الرسائل وموضوعاتها، واشتمل على ثلاثة مباحث؛ و مهاد نظري يحاول التعرف على موضوعات الرسائل ومعانيها المتنوعة، ونظرات الدارسين وتصنيفاتهم لألوانها، ويهتم المبحث الأول بالرسائل السياسية، والمبحث الثاني بالرسائل الاجتماعية، والمبحث الثالث بالرسائل العلمية... وخصصت الفصل الثالث للدراسة الفنية، وسأتناول في المبحث الأول بناء الرسالة، وفي المبحث الثاني السمات اللغوية والأسلوبية، وفي المبحث الثالث السمات الإيقاعية، وفي المبحث الرابع السمات التصويرية في فن الرسائل .

**منهج الدراسة:** وقد رأيت أن المنهج المتكامل هو أنسب المناهج لتحقيق غايات هذا البحث،

## فن الرسائل في العصر المملوكي

### دراسة تحليلية

المقدمة: وتشتمل على أهمية الدراسة ومبرراتها والدراسات السابقة وخطة الدراسة ومنهجها.  
التمهيد.

المبحث الأول: الرسائل في الأدب العربي قبل العصر المملوكي.  
المبحث الثاني: البيئة العامة للعصر المملوكي.

### الفصل الأول: فن الرسائل في العصر المملوكي وأشهر كتابها.

المبحث الأول: العوامل المؤثرة في حياة فن الرسائل و مكانتها.  
المبحث الثاني: أشهر كتّاب الرسائل في العصر المملوكي.

### الفصل الثاني: أنواع الرسائل وموضوعاتها.

مهاد نظري: تصنيف الرسائل روى نظيرية.  
المبحث الأول: الرسائل السياسية.  
المبحث الثاني: الرسائل الاجتماعية.  
المبحث الثالث: الرسائل العلمية.

### الفصل الثالث: الدراسة الفنية.

المبحث الأول: بناء الرسالة، وضمابطها الفنية.  
المبحث الثاني: السمات اللغوية والأسلوبية.  
المبحث الثالث: السمات الإيقاعية.  
المبحث الرابع: السمات التصويرية.  
الخاتمة: رصد أهم النتائج والتوصيات.

# التمهيد

- المبحث الأول: الرسائل في الأدب العربي قبل العصر المملوكي.
- المبحث الثاني: البيئة العامة للعصر المملوكي.

## المبحث الأول نشأة فن الرسائل

لم تخل ساحة القول للشعر وحده في الأدب العربي، بل احتل النثر أيضاً مكانة متميزة فيه، وتم الاهتمام بأنواع النثر في عصر صدر الإسلام من خطب، ورسائل، ووصايا، حيث أصبحت وسيلة من وسائل الدعوة الإسلامية . وبداية لا بد من تعريف الرسالة لغة واصطلاحاً.  
لغة :من الفعل رَسَلَ ، والاسم منه الرِّسالة والرَّسالة والرسول ، والإرسال بمعنى التوجيه ، ترسل القوم أرسل بعضهم إلى بعض.<sup>(1)</sup>

اصطلاحاً: "قطعة من النثر الفني تطول أو تقصر تبعاً لمشيئة الكاتب ورضه وأسلوبه ، وقد يتخللها الشعر إذا رأى لذلك سبباً، وقد يكون هذا الشعر من نظمه، أو مما يُستشهد به من شعر غيره، وتكون كتابتها بعبارة بليغة وأسلوب حسن رشيق، وألفاظ منقاة، ومعانٍ طريفة"<sup>(2)</sup> كما يتخلل رسائل هذا العصر آيات من القرآن ،أو أحاديث نبوية شريفة، أو أمثال.

### نشأة فن الرسائل:

إن فن الرسائل كان شكلاً من أشكال النثر في الأدب العربي، وبعد الاطلاع على النثر في العصر الجاهلي وُجد أن فن الرسائل لم يكن موجوداً في ذلك العصر، ربما بسبب قلة استعمال الكتابة،<sup>(3)</sup> وصعوبة سئالها<sup>(4)</sup>، يقول الدكتور شوقي صيف: "العرب استخدموا الكتابة في العصر الجاهلي لأغراض سياسية وتجارية، لكنهم لم يخرجوا بها إلى أغراض أدبية خالصة تتيج لنا أن نزرع أنه وُجد عندهم لون من ألوان الكتابة الفنية"<sup>(5)</sup>. وترى الباحثة أنه لا وجود لفن الرسائل كنوع من الكتابة الفنية في العصر الجاهلي ،ولكن وجدت ألوان أخرى كالقصة والمثل والخطبة.

---

(1) لسان العرب: جمال الدين ابن منظور، دار المعارف، القاهرة، تحقيق عبدالله على الكبير وآخرون، د.ت، 1644/2.

(2) الأدب العربي في الأندلس: عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، ط2، بيروت، 1976، 448.

(3) ينظر :تاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية: محمود المقاد، دار الفكر، ط1، دمشق، سوريا، 1993م، 209.

(4) العصر الجاهلي: شوقي صيف، دار المعارف، ط10، مصر، د . ت،، 398.

(5) الفن ومناهجه في النثر العربي: شوقي صيف، دار المعارف، مصر، ط5، د. ت، 19.



ومما يدعم رأيها قول شوقي ضيف: "إذا كنا نفقد الأداة المادية على وجود رسائل أدبية في العصر الجاهلي فمن المحقق أنه وجدت عندهم ألوان مختلفة من القصص والأمثال والخطابة وسجع الكهان"<sup>(1)</sup>، ويُظن أن عدم وجود فن الرسائل في العصر الجاهلي مع وجود ألوان أخرى من النثر كالقصة والمثل والخطبة وسجع الكهان، يرجع إلى طبيعة العصر، وطبيعة أهله، حيث كان لديهم شغفٌ وحبٌ كبيرين في عرض فروستيتهم، وشجاعتهم، في معاركهم، ويقضون أوقاتاً كبيرة في سمرهم في الليل وحول خيامهم<sup>(2)</sup>.

ومما يُدعم رأي الباحثة مقولة الدكتور شوقي ضيف: "لا تتأخر بنشأة الكتابة الفنية عند العرب إلى العصر العباسي، عصر التأثر الواضح بالفرس، ولا نتقدم بها إلى العصر الجاهلي، بل نضعها في مكانها الصحيح الذي تؤيده المستندات والوثائق وهو العصر الإسلامي"<sup>(3)</sup>.  
وستحدث الباحثة عن نشأة فن الرسائل السياسية و الرسائل الاجتماعية في الأدب العربي قبل العصر المملوكي.

#### أولاً: نشأة الرسائل السياسية:

مع ظهور الإسلام ونزول الوحي على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -، والدعوة للكتابة والقراءة، حيث قال جل في علاه: "اقرأ باسم ربك الذي خلق"<sup>(4)</sup> قد أصبح للكتابة اهتمام كبير جداً عند المسلمين، فاستخدمها الرسول - صلى الله عليه وسلم - في جميع موثيقه وعهوده،<sup>(5)</sup> وهكذا فالميلاد الحقيقي لفن الرسائل السياسية كان في العصر الإسلامي عصر البعثة المحمدية<sup>(6)</sup>، كما يقول شوقي ضيف: "الكتابة الرسمية الفنية عند العرب لم تأت منها من الخارج فقد نشأت في حورهم بحكم حياتهم الإسلامية والسياسية الجديدة ومشاكلهم المختلفة"<sup>(7)</sup>، وتؤيد الباحثة رأي الدكتور شوقي في نشأة الرسائل

(1) العصر الجاهلي، 399.

(2) ينظر الفن ومذاهبه في النثر العربي، 15.

(3) ينظر: الفن ومذاهبه، 104.

(4) سورة العلق، آية 1.

(5) ينظر: العصر الإسلامي: شوقي ضيف، دار المعارف، ط6، القاهرة، مصر، د.ت، 130.

(6) ينظر: فقد النثر: نبيل أبو علي، الهيئة المصرية العامة، د.ط، 1993، 269. وأيضا الفن ومذاهبه، 103، وأيضا تاريخ الترسيل النثري عند العرب في صدر الإسلام: محمود المقاد، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1993م، 72.

(7) ينظر الفن ومذاهبه، 111.

الرسائل في العصر الإسلامي ، حيث إنه من خلال الاطلاع على بعض كتب الأدب العربي، لم يُوجد فن الرسائل في العصر الجاهلي وإنما نشأ وترعرع في العصر الإسلامي، فقد كان هناك حاجة ملحة لكتابة كثير من شؤون المسلمين: كمكاتبة الأمراء والملوك ورؤساء القبائل لاعتوتهم للإسلام<sup>(1)</sup>، كرسالة الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى هرقل عظيم الروم<sup>(2)</sup>، ورسالته إلى كسرى عظيم فارس<sup>(3)</sup>، ورسالته إلى النجاشي ملك الحبشة<sup>(4)</sup>، يدعوهم للدخول في الإسلام.

ومن رسائله أيضاً العهود والمواثيق كالعهد الذي أبرمه الرسول -صلى الله عليه وسلم- بين المهاجرين والأنصار واليهود في المدينة<sup>(5)</sup>، وكالمعاهدة التي وضعها الرسول بينه وبين قريش لوضع الحرب عشر سنين<sup>(6)</sup>.

ومع ظهور الإسلام وتوطيد أركانه أصبحت أيضاً الحاجة ملحة من الرسول -صلى الله عليه وسلم- لإرسال رسائل تعميم ونشر تعاليم الدين الحنيف ومبادئه<sup>(7)</sup>، وتُعرّف بالإسلام<sup>(8)</sup>، ومن رسائله التي أرسلها الرسول أيضاً رسائل لعماله وأمراءه وأصحاب سراياه ومنها لتعميم تعاليم الجزية<sup>(9)</sup>.

وترى الباحثة أن ما قام به الرسول من إرسال الرسائل لنشر تعاليم الإسلام والدعوة للدخول فيه ما كان إلا تعبيراً واضحاً يدل على عالمية الإسلام، وسماحة الرسول، فحقاً كان نعم الرجل القائد -صلى الله عليه وسلم-، ولقد سار الخلفاء الراشدون في رسائلهم على طريقة الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم-، كيف لا وهو خير معلم وخير مرشد للبشرية جمعاء، وكان من رسائلهم: الدعوة للاعتصام

---

(1) ينظر الفن ومناهجه، 96 .

(2) ينظر جمهرة رسائل العرب: أحمد صفوت، مكتبة الباني، ط2، القاهرة، 1971، 37/1، أيضاً الوثائق الإسلامية،

محمد حميد الله، دار النفائس، ط4، بيروت، 109 .

(3) ينظر جمهرة رسائل العرب، 40/1، وأيضاً الوثائق الإسلامية، 139.

(4) ينظر السابق، 40.

(5) ينظر: السابق، 31.

(6) ينظر: العصر الإسلامي، 131، و أيضاً جمهرة رسائل العرب، 35/1.

(7) ينظر: السابق، 65/1، 50. وأيضاً تاريخ الترتيل الثوري عند العرب في صدر الإسلام، 91، وأيضاً العصر

الإسلامي، 131.

(8) ينظر: جمهرة رسائل العرب، 64/1 .

(9) ينظر: جمهرة رسائل العرب، 45/1، 63، 66.

بجل الله<sup>(1)</sup>، والدعوة للدخول في الإسلام، أو دفع الجزية<sup>(2)</sup>، أو لقادة الجيش لإعطاء الأوامر كتولية للقادة، وتسيير الجيش والحث على الجهاد<sup>(3)</sup>، ورسائلهم لأمراء الجند في ساحات القتال<sup>(4)</sup>، وتزويد القادة بالتوجيهات والخطط الحربية<sup>(5)</sup>، والمحاسبة واللوم وإقامة الحدود<sup>(6)</sup>، ومن رسائلهم أيضاً العهود كالعهد الذي قدم لأهل بيت المقدس<sup>(7)</sup>، ورسائلهم للدعوة إلى تقوى الله<sup>(8)</sup>، ورسائل لوضع خطط حربية<sup>(9)</sup>، ورسائل لتولية الأمراء على الحكم<sup>(10)</sup>، ورسائل لعمال الخلفاء في الأقاليم<sup>(11)</sup>، وهكذا فإن الرسائل في عصر الخلفاء تعمل على وضع أساس لمبادئ الدين وتوطيد وجوده والسعي لنشره في البلاد. حيث تميزت الرسائل في عهد الخلفاء بأنها تسعى لوضع وتأسيس مبادئ الدين الإسلامي، وإصلاح وتعديل المجتمع<sup>(12)</sup>.

ومع بداية العصر الأموي واتساع الفتوحات وتفريق الولاة والعمال في الأقطار، أصبحت الدولة في حاجة لتبليغ الولاة والعمال أمراً كثيرة تتعلق بالسياسة، أو الإدارة فوجبت الرسائل<sup>(13)</sup>، ووجب ظهور الديوان الذي يساعد على تنظيم الحياة السياسية، فانتشرت الدواوين في الأقاليم والأحصار وأصبح لكل وال كاتب، وتوعدت مهام الدواوين وأغراضها لتواكب الارتقاء والتطور في نظم الحياة الاقتصادية

(1) ينظر: العصر الإسلامي، 132.

(2) ينظر: جمهرة رسائل العرب، 188/1، 176، 171.

(3) ينظر: السابق، 146/1، 133، 116.

(4) ينظر: تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، إبراهيم، دار المعارف، ط4، القاهرة، مصر، د.ت، 245/4. و أيضاً شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، ، دار الجيل، ط1، بيروت، 1987م، 2/117.

(5) ينظر: جمهرة رسائل العرب، 122/1.

(6) ينظر: السابق، 125.

(7) ينظر: العصر الإسلامي، 132، 133.

(8) ينظر: جمهرة رسائل العرب، 148/1.

(9) ينظر: السابق، 122/1.

(10) ينظر: السابق، 121/1، 222.

(11) ينظر: تاريخ الطبري، 245/4، 244، 100.

(12) ينظر: الأدب في موكب الحضارة: شوقي ضيف: ط5، القاهرة، 1968، 227.

(13) ينظر: تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ، دار العلم للملايين، ط4، بيروت، لبنان، 1981م، 374/1.

والسياسية والعسكرية<sup>(1)</sup>، ومن ثمّ كان الديوان عاملاً مهماً من عوامل وجود الرسائل مع وجود عدد كبير من كُتاب الرسائل أصحاب الفصاحة والبيان، فقد كانوا كُتاباً محترفين<sup>(2)</sup>. وترى الباحثة أن تخصيص ديوان للرسائل في العصر الأموي دليل على ارتفاع الرسائل في هذا العصر<sup>(3)</sup>.

ومن رسائل العصر الأموي: رسائل الدعوة لتقوى الله عز وجل<sup>(4)</sup>، وطلب الصلح<sup>(5)</sup>، والدعوة للعودة لصف المسلمين وتهديد من خرج عنهم<sup>(6)</sup>، ورسائل الخليفة لعماله<sup>(7)</sup>، ورسالة لأهل العلم<sup>(8)</sup>، ورسائل للجنّد<sup>(9)</sup>، وتقديم نصائح حربية<sup>(10)</sup>، ولقد ظهر في العصر الأموي نوع جديد من أنواع الرسائل مثل الرسالة الوعظية كرسالة إمام الرسائل الوعظية الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز<sup>(11)</sup>. ومع بداية العصر العباسي نشطت الرسائل السياسية نشاطاً واسعاً، ومما ساعد على ذلك كثرة الدواوين، فديوان للجيش وديوان للرسائل و...<sup>(12)</sup>. مع حاجة الدولة للتواصل مع الرعية أو حاجتها لشرح موقفها من قضية عامة<sup>(13)</sup>، مع توافر مئات من أصحاب الأقلام ذوي المهارة الأدبية والعقلية الذين تقلدوا أرقى المناصب واعتمد عليهم في تسيير أمور الدولة.

- 
- (1) ينظر: نقد النشر، 270.
- (2) ينظر: الفن ومذاهبه، 103، 102.
- (3) ينظر: السابق، 99. للاستزادة: الأدب الأموي: إبراهيم على أبو خشب، الهيئة المصرية للكتاب د.ط، الإسكندرية مصر ، 1977م، 169.
- (4) ينظر: جمهرة رسائل العرب، 27/2، 12.
- (5) ينظر: السابق، 2/2.
- (6) ينظر: السابق، 31/2.
- (7) ينظر: السابق، 304/2.
- (8) ينظر: السابق، 306/2.
- (9) ينظر: السابق، 307/2.
- (10) ينظر: صبح الأعيى في صناعة الإثشاء: القفاشندي، وزارة الثقافة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف. د. ت ، ط 1، 1951.
- (11) ينظر: العقد الفريد: ابن عبد ربه، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1404هـ، 44/1.
- (12) ينظر: العصر العباسي الأول: شوقي ضيف، دار المعارف، ط.8، مصر: 1972م، 466، 465، وأيضاً فنون النشر في الأدب العباسي: محمود صالح، دار جريب، ط2صمان، الأردن: 2006م، 81.
- (13) ينظر: الرسائل الفنية في العصر العباسي: محمد الدروبي، دار الفكر، ط1، عمان، الأردن، 1999، 13، 14.

مع توافر مقومات وأدوات الكتابة كالروضح الجمالي الفني وعذوبة الأداء مع الاطلاع على طائفة من المعارف<sup>(1)</sup>. و الاهتمام والاحترام الذي حظيت به الكتابة لدى عامة الناس وخاصتهم<sup>(2)</sup>، ومن رسائل العصر العباسي: رسائل العهود والمبايعات<sup>(3)</sup>، ورسائل الأمان<sup>(4)</sup>، طلب الهدنة والمصالحة<sup>(5)</sup>، ورسائل الإنذار وطلب الطاعة<sup>(6)</sup>، ورسائل الخفاء إلى الولاة والحكام والعمال في تصريف شؤون الدولة<sup>(7)</sup>، رسائل التهديد والوعيد<sup>(8)</sup>، رسائل الفتوح والتبشير بها<sup>(9)</sup>، رسائل الإصلاح<sup>(10)</sup>، الإصلاح<sup>(10)</sup>، وغير ذلك من الأغراض المتصلة بالجوانب السياسية الداخلية والخارجية<sup>(11)</sup>.

ومما تقدم ذكره وُجد أن فن الرسائل في العصر العباسي له مكانة مرموقة بين فنون الأدب، وأهمية كبرى في الحياة السياسية والعسكرية.

وبالانتقال إلى العصر الأندلسي وُجد أن الرسائل هي من أهم فنون النثر في العصر الأندلسي، وذلك كون كُتّاب الرسائل من فرسان الشعر الأندلسي، حيث استخدموا مواهبهم الشعرية وذوقهم الأدبي للارتقاء بأساليب تعبيرهم والتفنن به، وتتوعت الرسائل في شتى المجالات منها الرسائل السلطانية التي كانت تصدر عن ديوان الخليفة موجهة للعمال والقادة والأعداء<sup>(12)</sup>، ورسائل الأمان<sup>(13)</sup>، والمبايعات<sup>(14)</sup>، والبشائر<sup>(15)</sup>.

- (1) ينظر: العصر العباسي الأول، 466، 465.
- (2) ينظر: فنون النثر في الأدب العباسي، 81.
- (3) ينظر: جمهرة رسائل العرب، 194/3.
- (4) ينظر: السابق: 12/4، 13، وأيضاً: صبح الأعشى، 433/6.
- (5) ينظر: السابق، 11/7.
- (6) ينظر: جمهرة رسائل العرب، 277/3.
- (7) ينظر: السابق، 206/3.
- (8) ينظر: السابق، 277/3.
- (9) ينظر: نقد النثر، 271.
- (10) ينظر: السابق، 271.
- (11) ينظر: السابق، 271.
- (12) ينظر: الأدب العربي في الأندلس، 448، 449.
- (13) ينظر: السابق، 450.
- (14) ينظر: السابق، 451، 452.
- (15) ينظر: السابق، 452، 453، وأيضاً: فتح الطبيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد التماساني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، د. ط، بيروت لبنان، 1988، 112/8، 113.



والفتوحات واستعادة البلاد<sup>(1)</sup>، ورسائل الاستغاثة<sup>(2)</sup>، والمعاهدات<sup>(3)</sup>، ورسائل الإمام الغزالي إلى أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين<sup>(4)</sup>، رسائل تزيح القادة والجند عقب الهزيمة وأخذ المدن<sup>(5)</sup>، رسائل خاصة بشؤون المدن<sup>(6)</sup>، رسائل الأمير للفقهاء والوزراء<sup>(7)</sup>، رسائل الأوامر والوصايا<sup>(8)</sup>، وقد ازدهر فن الرسائل السياسية في العصر الأيوبي ازدهاراً ملحوظاً وكان من أشهر كتابها القاضي الفاضل، ومن تلك الرسائل رسالة أرسلها صلاح الدين الأيوبي إلى الخليفة العباسي في بغداد<sup>(9)</sup>، ورسالة أخرى للقاضي الفاضل يصف الحروب والجيوش وأحداث المعركة<sup>(10)</sup>، وبشارة بفتح القدس كتبها القاضي الفاضل يشير بذلك<sup>(11)</sup>.

### ثانياً : نشأة الرسائل الاجتماعية:

لقد نشأت الرسائل الاجتماعية في عصر الفتوحات الإسلامية<sup>(12)</sup>، حيث إن تفرق العرب في البلاد الإسلامية جعلهم يتكاثرون في مهامهم وشؤونهم الخاصة. كالتجاني والتعاري، والعملة والعبوة<sup>(13)</sup>. ومن عوامل نشأتها أيضاً انتشار الكتابة وتوافر أدواتها<sup>(14)</sup>، وتزايد الباحة ذلك، حيث وجدت رسالة

- (1) ينظر: صبح الأعشى، 47/7، 52، و أيضاً: فنج الطيب، 112/8، 113.
- (2) ينظر: الأدب العربي في الأندلس، 469.
- (3) ينظر: فنج الطيب، 4/7، 5. وأيضاً الرسائل الديوانية: عيد الحليم الهروط، دار جريب، ط1، عمان الأردن، 2006، الأردن، 2006، 104.
- (4) ينظر: دولة الإسلام في الأندلس: محمد عمان، مكتبة الخافجي، ط2، القاهرة، مصر، 1990م، 530.
- (5) ينظر: السابق، 545، وأيضاً: فنج الطيب، 5/ 377، 382، 384، 251.
- (6) ينظر: دولة الإسلام في الأندلس، 547.
- (7) ينظر: السابق، 548.
- (8) ينظر: السابق، 552.
- (9) ينظر: صبح الأعشى، 6/490.
- (10) السابق 6/498، 495.
- (11) السابق: 6/502، 501.
- (12) ينظر: الفن ومذاهبه في الفن، 104، وأيضاً: تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام، 73.
- (13) ينظر: الفن ومذاهبه، 105.
- (14) ينظر: نقد النشر، 276.

تعزية أرسلها الرسول - صلى الله عليه وسلم- إلى معاذ بن جبل معزياً له باين مات له<sup>(1)</sup>، ورسالة مهادة وطلب المودة<sup>(2)</sup>، ورسالة دعوة لصلة الرحم<sup>(3)</sup>، ورسالة للمصاهرة وطلب الزواج<sup>(4)</sup>.

ورسائل اللوم والعتاب<sup>(5)</sup>، والحث على تعلم القرآن<sup>(6)</sup>. ومع ظهور العصر الأموي تطورت الرسائل الاجتماعية على نحو بارز، بحكم الوضع الاجتماعي السائد والذي يتطلب تهنئة أو تعزية أو عتاباً أو اعتذاراً<sup>(7)</sup>. مع وجود كُتاب الرسائل الإخوائية في الحقب الزمنية التي أخذ البلغاء يهتمون بتتبع أساليبهم وإبداعها ضرورياً من البيان وال فصاحة<sup>(8)</sup>، ومن موضوعات رسائل هذا العصر التهنئة بالمولود<sup>(9)</sup>،

تهنئة بالزواج<sup>(10)</sup>، تهنئة العيد<sup>(11)</sup>، تهنئة بقدوم من سفر<sup>(12)</sup>، تهنئة بولاية<sup>(13)</sup> تهنئة بالصحة بعد السقم<sup>(14)</sup>، وترى الباحثة أن كثرة هذه الرسائل في العصر الأموي ما هو إلا دليل على اهتمام المسلمين بالرسائل الاجتماعية لتكوين العلاقات الاجتماعية وتوطيد ما بينهم.

- 
- (1) ينظر: صبح الأعرشي، 15/9، وأيضاً الوثائق السياسية للعصر المملوكي، محمد حمادة، مؤسسة الرسالة، ط1، سوريا، 1980، 489، 490.
- (2) ينظر: السابق، 76.
- (3) ينظر: السابق، 75، 76.
- (4) ينظر: طبقات ابن سعد فهرس الأعلام المترجمين في الطبقات الكبرى لابن سعد، محمد الأذلي، بيروت مؤسسة الرسالة، 1986، 1/259، وأيضاً الوثائق السياسية، 495، 294.
- (5) ينظر: جمهرة رسائل العرب، 1/114، 115.
- (6) ينظر: الوثائق السياسية، 510.
- (7) ينظر: العصر الإسلامي، 463.
- (8) ينظر: الفن ومذاهبه، 111.
- (9) ينظر: جمهرة رسائل العرب، 3/55، وأيضاً صبح الأعرشي، 9/59، وأيضاً يثيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور الثعالبي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، د. ط، بيروت، دت، 1/286.
- (10) ينظر: جمهرة رسائل العرب، 3/107، وأيضاً صبح الأعرشي، 9/54.
- (11) ينظر: جمهرة رسائل العرب، 4/305.
- (12) ينظر: جمهرة رسائل العرب، 4/306، وأيضاً صبح الأعرشي، 9/33.
- (13) ينظر: السابق، 9/16، 21، 22.
- (14) ينظر: السابق، 9/63.

وفي العصر العباسي قد نمت الرسائل الإخوانية نمواً سريعاً، و مما ساعد على ذلك عدة أمور منها:

ظهر طبقة متميزة من الكُتّاب الذين يجيئون الكتابة الإخوانية إجابة رائعة كونهم كانوا من كتبة الدواوين و لديهم الثقافة المتنوعة التي تساعدهم على تنميق كتاباتهم، بالإضافة إلى مرونة النثر و قدرة الكاتب على الكتابة به أكثر من الشعر لعدم تقيدها بالوزن و القافية<sup>(1)</sup>، و الحياة الاجتماعية وعلاقتها التي عاشوها كانت لهم دافعاً كبيراً لكتابة الرسائل الإخوانية<sup>(2)</sup>، وقد تجلت في العصر العباسي مظاهر اجتماعية كثيرة كالتهنئة و التعزية و الدعوة....، دفعت الكُتّاب للاهتمام بها وكتابتها<sup>(3)</sup>، ولقد كثرت الرسائل الإخوانية في العصر العباسي و تنوعت بشكل واضح و منها التهنئة<sup>(4)</sup>: تهنئة بمولد<sup>(5)</sup>، تهنئة بترقية أو منصب<sup>(6)</sup>، تهنئة بزواج<sup>(7)</sup>، تهنئة بعيد<sup>(8)</sup>، تهنئة بغزة السنة<sup>(9)</sup>، تهنئة قدوم من سفر<sup>(10)</sup>، رسائل الشكر<sup>(11)</sup>، رسائل الاعتذار<sup>(12)</sup>، رسائل تعزية<sup>(13)</sup>، رسائل الصفح<sup>(14)</sup>، رسائل للأصدقاء والإخوان<sup>(15)</sup>، رسائل الشوق<sup>(16)</sup>، رسائل اللوم والعتاب<sup>(17)</sup>، رسائل المهاداة وطلب المودة<sup>(18)</sup>، رسائل الوماليا<sup>(19)</sup>، و هكذا بعد هذه الأنواع يُلاحظ اهتمام الكُتّاب في العصر

(1) ينظر: العصر العباسي الأول، 491

(2) ينظر: نقد النثر، 276

(3) ينظر: العصر العباسي الأول، 502، وأيضاً الرسائل الفنية في العصر العباسي، 213

(4) ينظر: جمهرة رسائل العرب، 55/3، 308/4، وأيضاً: بيتمة الدهر، 286/4، أيضاً: صبح الأعشى، 59/9، 60

(5) ينظر: جمهرة رسائل العرب، 3/429، 339

(6) ينظر: صبح الأعشى، 22/9، 23

(7) ينظر: جمهرة رسائل العرب، 3/107

(8) ينظر: السابق، 4/305

(9) ينظر: صبح الأعشى، 9/39

(10) ينظر: السابق، 9/34 و ينظر أيضاً: جمهرة رسائل العرب، 4/306

(11) ينظر: السابق، 4/31، 116، وأيضاً السابق، 3/72، 345، 377، وأيضاً صبح الأعشى، 9/184

(12) ينظر: جمهرة رسائل العرب، 4/145، 254، وأيضاً السابق، 3/160، 372، 378

(13) ينظر: السابق، 4/28، 25، 31، 256، 306، 307، 262، و أيضاً: بيتمة الدهر في محاسن أهل

العصر، أبو منصور الثعالبي: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد دار الفكر بيروت، ط، ت، 4/286

(14) ينظر: جمهرة رسائل العرب، 4/49

(15) ينظر: السابق، 4/14، 247، 250، 251، 252، 287

(16) ينظر: السابق، 4/15، 253، 310، وأيضاً: السابق، 3/380

(17) ينظر: السابق، 3/101، 381، و أيضاً: السابق، 4/41

(18) ينظر: السابق، 4/51، 259

(19) ينظر: السابق، 2/307، أيضاً: السابق، 4/313، وأيضاً السابق، 3/430

العياشي بالرسائل الاجتماعية لتوطيد العلاقات فيما بينهم . كما أن الرسائل الإخوانية لها وجود في العصر الأندلسي لا يقل أهمية عن العصور السابقة، و لقد كثرت أنواعها و منها التهاني: كتهنئة باستعادة مدينة الإسكندرية من أعدائهم<sup>(11)</sup>، تهنئة بالشفاء من المرض<sup>(2)</sup>، رسالة عتاب صديق<sup>(3)</sup>، رسالة رسالة شكوى<sup>(4)</sup>، رسائل الشوق<sup>(5)</sup>، رسائل التعازي<sup>(6)</sup>، و قد ظهر نمط جديد و هو الرسائل النبوية التي التي كان يرسلها الأندلسيون إلى ضريح الرسول -صلى الله عليه وسلم- يستجبرون به من خطر النصراري و سقوط الأندلس بأيديهم<sup>(7)</sup>، و تهنئة بالولاية<sup>(8)</sup>، رسائل شكر بين الأصدقاء<sup>(9)</sup>، ورسائل الاعتذار<sup>(10)</sup>.

وهكذا ومن خلال هذه الأنواع للرسائل نتعرف منها على الوضع الاجتماعي السائد في العصر الأندلسي وما فيه من ترابط ومحبة وإخاء ومجتمع متماسك اجتماعياً.

كما وازدهر فن الرسائل الاجتماعية في العصر الأيوبي بشكل ملحوظ ومن تلك الرسائل تهنئة بولد كتبها القاضي الفاضل لصالح الدين يوسف بن أيوب<sup>(11)</sup>.

- 
- (1) ينظر: صبح الأعشى، 8/ 108، و رحانة الكتاب وتحفة المنتاب، لسان الدين بن الخطيب، مكتبة الخفاجي، د.ط، القاهرة، 1980، 1 / 295.
- (2) ينظر: السابق، 1 / 318.
- (3) ينظر: الأدب العربي في الأندلس، 456
- (4) ينظر: السابق، 456، 457.
- (5) ينظر: السابق، 458.
- (6) ينظر: رحانة الكتاب ، 1 / 326.
- (7) ينظر: رحانة الكتاب، 1 / 57، و أيضاً: صبح الأعشى، 9 / 458.
- (8) ينظر: رحانة الكتاب، 1 / 244.
- (9) ينظر: السابق، 1 / 404.
- (10) ينظر نفع الطيب، 1 / 71.
- (11) صبح الأعشى: 8/111.175.

## المبحث الثاني البيئة العامة للعصر المملوكي

يعد العصر المملوكي فترة مفصلية في التاريخ الإسلامي، فهو من أجل العصور، وقد تطور هذا العصر تطوراً حضارياً وعلمياً كبيراً، كيف لا وقد كان العصر المملوكي عصر الموسوعات العلمية، واتصف علماءه ومصنفوه بالموسوعيين، فألفوا كتباً في الأدب والفقه والطب والتاريخ، فكثير من الكتب والموسوعات ترجع لذلك العصر.

بدأ العصر المملوكي حين تولت شجرة الدر مقاليد الحكم في القاهرة، بعد مقتل توران شاه ابن الصالح نجم الدين عام (648هـ - 1250م)<sup>(1)</sup> وقد قسّم المؤرخون العصر المملوكي إلى ممالك بحرية وممالك برجية.

الممالك البحرية من (648 - 784 هـ) ومدتها 136 سنة والممالك البرجية من (784 - 923هـ) ومدتها 138 سنة.<sup>(2)</sup>

أصل الممالك:

يُعرف المملوك لغة بأنه: "العبد الذي سُبي ولم يُملك أبراه"<sup>(3)</sup> وفي التاريخ الإسلامي أطلق اسم الممالك اصطلاحاً على "قبة من الرقيق الأبيض"، كان الخلفاء وكبار القادة والولاة في دولة الخلافة العباسية يشترونهم من أسواق النخاسة البيضاء، لاستخدامهم كفرق عسكرية خاصة، بهدف الاعتماد عليهم في تدعيم نفوذهم"<sup>(4)</sup>.

- (1) ينظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين بن تغري بردي: تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1992م، 6/322.
- (2) نهر الذهب في تاريخ حلب: كامل بن حسين الحلبي: دار القلم، ط2 حلب، 1419هـ، 3/191.
- (3) لسان العرب، 5/4267.
- (4) تاريخ الممالك في مصر وبلاد الشام: محمد سهيل طقوش: دار النفائس، ط1، ، بيروت، لبنان، 1997م، 150.



## الهيئة السياسية:

يرجع ظهور المماليك واستخدامهم في العالم الإسلامي، إلى عهد الخليفة العباسي المأمون، ثم المعتصم؛ حيث اشتروهم من آسيا<sup>(1)</sup> وقد احتل المماليك مراكز عليا في عهدهما، ومما يؤكد ذلك ما ذكره الطبري في كتابه تاريخ الرسل والملوك أن مدينة طرطوس<sup>(2)</sup> قد عُمرت على يدي أبي سليم فرج الخادم التركي وذلك عام 170 هـ - 786م في عهد هارون الرشيد.<sup>(3)</sup>

وبعد وفاة المأمون تولى الخليفة العباسي المعتصم بالله الحكم، وبدأ بالاستئثار من وجود المماليك في العالم الإسلامي، وزاد عددهم، وبدأ الاعتماد عليهم في الدواوين، وقد ذكر في كتاب السيوطي أن المعتصم: "هو أول خليفة أدخل الأتراك الديوان، وكان يتشبه بملوك الأعاجم، ويمشي مشيتهم، وبلغ علمانه الأتراك بضعة عشر ألفاً..."<sup>(4)</sup>

وقد سار كثير من الخلفاء والأمراء على طريق المأمون والمعتصم لتقوية أنفسهم، حيث استخدمهم كل من الطولوزيين والإخشيديين. ففي عصر الدولة الطولوزية في مدة ولاية الأمير أحمد بن طولون على مصر عام (254هـ - 868م) بدأ الاعتماد على المماليك في الجيش، فالأمير أحمد هو "... أول من جلب المماليك الترك إلى الديار المصرية، واستخدمهم في عسكرها وقد استكثر من شرائهم حتى بلغ عددهم أربعة وعشرين ألف مملوك"<sup>(5)</sup>.

وقد اعتمدت الدولة الإخشيدية على المماليك، كما اعتمدت عليهم الدولة الطولوزية، حيث كان محمد بن ططخ الإخشيد يمتلك ثمانية آلاف مملوك في مدة ولايته.<sup>(6)</sup>

---

(1) البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير: مكتبة المعارف، ط7، بيروت، 1988م، 267/10، وينظر النجوم الزاهرة، 2/ 233.

(2) طرطوس: هي بلد تقع في بلاد الشام، تطل على البحر المتوسط قرب المرقب وعكا، ينظر: معجم البلدان: ياقوت الحموي، تحقيق فريد الجدي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1990م، 34/4.

(3) ينظر: تاريخ الرسل والملوك: أبو جعفر الطبري: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط6، دار المعارف، القاهرة - مصر، د.ت، 230/8.

(4) البداية والنهاية، 10/297

(5) بدائع الزهور في وقائع الدهور: محمد بن أحمد بن إياس: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، القاهرة، 1982، 162/1.

(6) تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، القاهرة، د.ت، 1/ 287.

وفي الدولة الأيوبيّة قد استنكر الأيوبيون من المماليك، الذين كان لهم فضل في استرداد بيت المقدس من الصليبيين سنة 1187م، على يد صلاح الدين الأيوبي.<sup>(1)</sup>

واستنكار المماليك زاد في العصر الأيوبي بعد وفاة صلاح الدين، حيث لم تتم المحافظة على الدولة وحكمها، بل نشأت الصراعات والحروب والاقتتال والتنافس على الحكم بين خلفائه، مما دفعهم لتكوين العصبيات للمحافظة على الحكم، فقد سعوا لتحقيق ذلك بالإكثار من جلب المماليك ليقوي كل واحد نفسه.<sup>(2)</sup> وفي عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب عام 644هـ - 1247م رأى أن يثبت ملكه بجنود جدد، وبعد حكمه لمصر أكثر من شراء المماليك، حتى أصبح معظم جيشه من الأتراك، وقد حرص على تربيتهم تربية خاصة، واستغل المماليك بعد ذلك سطوتهم ومكانتهم عند الملك نجم الدين، فأخذوا بمضايقة الشعب، فضاق بهم الناس، واضطر لإسكانهم في قلعة الروضة وسماهم البحرية وقامت عليهم فيما بعد دولة المماليك الأولى.<sup>(3)</sup> وهم قبائل من منطقة بحر قزوين حتى جبال القوقاز.<sup>(4)</sup>

وتوفي الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة 647هـ - 1249م، وقد لجأت شجرة الدر إلى إغواء خبير وفاته، حتى لا تتأثر الروح المعنوية في البلاد، حيث كان الجند يحاربون الصليبيين في المنصورة فأرادت ألا يتفرق شملهم، وإذا سأل سائل ردت شجرة الدر: "بأن السلطان مريض ما يصل إليه أحد"<sup>(5)</sup>، وقد تولت هي الأمر واستدعت ابنه توران شاه. و بمجرد وصوله سلمته مقاليد الحكم، وقد استطاع الانتصار على الصليبيين ، وكان من المفروض أن يُقَدَّر توران ذلك الانتصار ويكافئ

---

(1) ينظر: النجوم الزاهرة، 34/6، وينظر: أيضاً: طومان باي آخر سلاطين المماليك في مصر: عبد المنعم ماجد، 1978 مكتبة الأنجلو، نسخة أخيرة، 12.

(2) ينظر: العصر المماليكي في مصر والشام: سعيد عبد الفتاح عاشور، مكتبة الأنجلو، ط3، 1994م ، 9.

(3) ينظر: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام: طفوش، 27/26.

(4) طومان باي، 27.

(5) السلوك لمعرفة دول الملوك: تقي الدين المقرئ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، ط2، القاهرة، 1957، 346/1.

المماليك على ذلك، لكنه أساء التصرف، وطن أن المماليك يريدون مقاسمته في الحكم<sup>(1)</sup> وعندما أساء معاملتهم تأمروا عليه وقتلوه وبموته انتهى حكم الأيوبيين في مصر.<sup>(2)</sup>

بعد مقتل توران شاه، فكر المماليك بالعمل الجدي للصعود إلى الحكم، فبدؤوا بتمهيد الطريق لذلك، وقرروا في البداية تنويع شجرة الدر حاكمة لمصر، وعز الدين أيبك التركي الأصل مقدم العسكر، وقد كانت شجرة الدر أول من حكم مصر من المماليك كما يقول المقرئزي "... شجرة الدر أول من ملك مصر من ملوك الترك المماليك..."<sup>(3)</sup> وقد كانت شجرة الدر جارية الملك الصالح نجم الدين، وكانت تركية الجنسية ولدت ابناً سمته خليل مات وهو صغير.<sup>(4)</sup>

وقد تولت الحكم بعد مقتل توران شاه لما عُرف عنها من حسن التدبير والحزم والعقل الرصين، حيث يقول ابن تغري بردى: "اتفقوا على ولايتها لحسن سيرتها ورسالة عقلها، ووجودة تدبيرها"<sup>(5)</sup>. وظلت في الحكم إلى أن اعترض عليها الخليفة العباسي المستعصم؛ لأنها امرأة. حيث قال: "إن كان ما بقي عنكم رجل تولونه، فقولوا لنا نرسل لكم رجلاً"<sup>(6)</sup>.

ولكي يستمر حكمها تزوجت شجرة الدر من عز الدين أيبك، ثم تولى مُلك مصر بعد أن كان قائداً للجيش.<sup>(7)</sup>

وبزواج عز الدين أيبك من شجرة الدر كانت بداية التآكل الواضح في الحكم من قبل المماليك، وقد كان موطن الأركان حازماً في سلطانه إلى أن تزايدت الوحشية بين الملك عز الدين أيبك وبين شجرة الدر فعزم على قتلها.<sup>(8)</sup>

---

(1) ينظر: العصر المماليكي، 15، 16.

(2) ينظر: المواضع والاعتبار بذكر الخطط والآثار: تقي الدين المقرئزي، المكتبة الدينية الثقافية، ط2، القاهرة، 1987،

37، وأيضاً: السلوك، 1/361.

(3) السابق، 1/361

(4) الوافي بالوفيات: صلاح الدين الصفدي: تحقيق أحمد الأرنؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، 2000م، 70/16.

(5) النجوم الزاهرة، 6/332.

(6) حسن المحاضرة في أخبار مصر وقاهرة: جلال الدين السيوطي: دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1968، 2/36.

(7) النجوم الزاهرة، 7/13.

(8) ينظر السلوك، 1/401.

لكنها سبقته في عزمه وقُتل على يد جواربها، بعد أن علمت عزمه على الزواج وأُشيع خبر موته فجأة. (1) وبعد مقتل عز الدين أيبك اتهم مماليكه ومنهم سيف الدين قطز زوجته شجرة الدر بقتله، فقاموا بقتلها، وبإشارة من سيف الدين قطز ولي الأتراك الحكم، لنور الدين الملقب بالملك المنصور. (2) وفي عام 656هـ ظهرت الفتنة في أهل بغداد، وكانوا في تناحر مستمر، كما قُتل الخليفة العباسي المستعصم على يد هولاء بعد أن وعده بالأمان، وكان ذلك حدثاً جليلاً، هز العالم الإسلامي، ويستغل المغول الفرصة ويندفعون حتى الحدود المصرية وقد عاثوا فساداً فقتلوا ونهبوا وسلبوا وحرقوا الكتف، وأرسلوا رسالة لسلطان المماليك يطلبون منه تسليم البلاد (3). هنا تم الاتفاق على إعطاء منصب المنصب السلطنة للأمير قطز، ورأى أن الوقت قد حان للهجوم عليهم، فجهز نفسه لغزوهم، والتف حول عسكر الشام وتابعوه ولقى بجيشه مع التتار في عين جالوت وانتصر عليهم. (4)

بعد هذا الانتصار الذي حققه الملك قطز وهزيمته للتتار، فرح أهل دمشق به كثيراً واستقبلوه في مركب عظيم، واستمر المسلمون في تطهير بلاد الشام من المغول فاستردوا دمشق وحلب، ثم عاد الجيش إلى مصر، و قُتل السلطان قطز على يد الأمير بيبرس لمشكلة بينهما، ثم أصبح الظاهر بيبرس سلطاناً على البلاد. (5)

وعندما أقر ركن الدين بيبرس بقتله للملك المظفر قطز، صار الأمراء يخشون على تولية أنفسهم فيصيبهم ما أصاب غيرهم، ثم تربع الظاهر بيبرس سلطاناً على البلاد، وتم تجهيز مراسم فرح وزينة لمبايعته على الحكم. (6)

وبعد وفاة السلطان بيبرس تولى قلاوون الحكم، وكان من أعظم سلاطين المماليك، لما قام به من أعمال جليلة وفتوح، أهمها إخماد الفتن الرفضية الاعتراف بسلطنته والتي أثارها ستقر الأشقر نائب دمشق، وقام بعقد هدنة مع الصليبيين مدة عشر سنين ليتفرغ لهذه الفتن فأخمدها ثم بدأ يعمل على

(1) السلوك، 403/1.

(2) البداية والنهاية: اسماعيل بن كثير: تحقيق أحمد عبد الوهاب، دار الحديث، ط1، القاهرة، 1992، 203/13

(3) ينظر: النجوم الزاهرة، 22/7، 48.

(4) ينظر: الروافي بالوفيات، 189/24.

(5) ينظر: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، 83.

(6) ينظر: البداية والنهاية، 350/13، 353.

القضاء على المغول وهزمهم شر هزيمة.<sup>(1)</sup> وقد توفي المنصور قلاوون عام (689هـ - 1290م) بعد أن أذل التتار والفرنجة.<sup>(2)</sup>

وتبدأ الدولة المملوكية الثانية، وترجع أصول دولة المماليك الجراكسة \_البرجية\_ إلى الجيش الجركسي، حيث أُحضروا في عهد المنصور قلاوون من المناطق الواقعة شمال بحر قزوين بأسعار رخيصة، على الرغم من شجاعتهم وقيمتهم فزاد الإقبال على شرائهم.<sup>(3)</sup>

وكان المالك المنصور قد أفرد من مملكته ستة آلاف وسبعمئة مملوك من الأمراء الجراكسة، وجعلهم بالقلعة، وسماهم البرجية<sup>(4)</sup>، وفي عهد الظاهر برفوق، تم السماح للجراكسة بالانزول من القلعة إلى القاهرة والسكن فيها، فأثاروا حالات الشعب والسلب والنهب، فانهار الجيش وقد السلاطين المسيطرة عليهم مع عدم قدرتهم على إعادة الأمن للبلاد، مما أدى إلى تدهور سلطة الدولة بسبب عجز سلاطين الدولة عن ردهم، والقضاء على الفتن والمنازعات بين طوائف المماليك. ومع ذلك حرص سلاطين المماليك الجراكسة على حصر صراعاتهم في الداخل ولم يسمحوا للقوة الخارجية أن تتدخل في شؤون بلادهم، وظلت المحاولات مستمرة للقضاء عليهم، وانزال أقيس الضربات بهم<sup>(5)</sup>.

كما خاض المماليك في بداية الدولة الجبرية معركة عين جالوت و استطاعوا القضاء على الزحف المغولي، ثم مواصلتهم لقتال ضد الصليبيين والمغول إلى أن تمكنوا من تحرير الكثير من سواحل الشام، كذلك في دولة الجراكسة استطاع المماليك الجراكسة التصدي للحروب الصليبية المتواصلة، وتمكنوا من إخضاع الحجاز لسلطتهم.<sup>(6)</sup>

حكم الجراكسة حتى سقوط دولة المماليك عام (923هـ - 1517م)، واستعانوا في حكمهم بالمماليك المحليين كباراً، الذين لم يتم تقويمهم والعناية بتربيتهم، منذ الصغر كما كان مماليك الدولة

---

(1) ينظر: عصر سلاطين المماليك: التاريخ السياسي والاجتماعي، قاسم عبده قاسم: عين للدراسات، ط1، الهرم، 1998م، 117، 118.

(2) بدائع الزهور، 361/1.

(3) ينظر: صبح الأعشى، 58/4، وأيضاً: عصر سلاطين المماليك: قاسم، 142. وأيضاً طومان باي، 28.

(4) المراظ والاعتبار، 2/ 214.

(5) ينظر: العصر المملوكي، 159، 160.

(6) ينظر: حياة الحيوان الكبرى: كمال الدين الدميري، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 1424هـ، 3/1، 4.

الأولى، مما ساعد على سقوط الدولة، بالإضافة للفنن والمؤامرات الداخلية التي لم تتوقف طوال عصر المالبيك وقد زادت حدتها في الدولة الجركسية.<sup>(1)</sup>

وبنتهي العصر المملوكي عند أغلب المؤرخين بدخول السلطان العثماني سليم الأول القاهرة عام 923هـ - 1517م)، وانتصاره على طومان باي في معركة الريدانية.<sup>(2)</sup>

**البيئة الاقتصادية:**

إن البيئة الاقتصادية التي كانت سائدة في العصر المملوكي، تعكس الظروف السياسية السائدة، وبسبب الفنن والمؤامرات الداخلية والخارجية كان هناك حاجة ملحة لتنمية القوة العسكرية لمواجهة الأعداء، فاتجه المالبيك لتقوية الجيش المملوكي عن طريق شراء المالبيك الجدد بشكل واسع، وقد كانت الوسيلة لإعالة جيوش المالبيك الاعتماد في إدارة البلاد على الإقطاعات، وذلك بتقسيم الأرض الزراعية في مصر على أربعة وعشرين قيراطاً، أما عن تقسيم الأرض فيقول ابن خلدون: " ... كانت مصر مقسمة على أربعة وعشرين قيراطاً أربعة منها للسلطان والرواتب، وعشرة للأمرء، والزيادات، وعشرة للأجناد، فصيروها عشرة للأمرء والإقطاعات والزيادات والأجناد، وأربعة عشر للسلطان فضعف الجيش..."<sup>(3)</sup>.

فقد ضعف الجيش بسبب تقليص الإقطاعات التي تُقدم له، مما ساعد على إثارة الفتن ومنع الحقوق، ثم انقسم المجتمع المصري إلى طبقتين:-

"طبقة من الحكام العسكريين لهم كل الامتيازات والحقوق ويملكون الأراضي الزراعية كلها، في مقابل الرعية التي اقتصر دورها على الإنتاج ودفع الضرائب، ولم يكن من حق أفرادها أن يشاركون في

---

(1) ينظر: عصر سلاطين المالبيك ونتاجه العلمي والأدبي: محمود رزق سليم: مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، ط2، 1962م، 1/ 41.

(2) ينظر: جواهر السلوك في أمر الخفاء والملوك: ابن إياس، تحقيق محمد زينهم، الدار الثقافية، ط1، 2006، القاهرة، 413، 415 أيضاً: موسوعة التاريخ الإسلامي: العصر المملوكي، مفيد الزبيدي، دار أسامة، عمان، الأردن، 2006، د. ط، 308.

(3) تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون: تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، ط2، بيروت، لبنان، 1988م، 470/5.

مسؤوليات الحكم والإدارة، وقد انعكس ذلك بطبيعة الحال على شكل النشاط اليومي في الحياة المصرية في ذلك الوقت.<sup>(1)</sup>

وكانت الزراعة أهم مصدر من مصادر اقتصاد الدولة المملوكية؛ وذلك بسبب اهتمام أصحاب الحكم في دولة المماليك بتطوير الزراعة، والعمل على زيادة الأراضي الزراعية. بالإضافة إلى أن البيئة كانت مناسبة لزراعة كثير من المحاصيل، وقد اعتمدت الزراعة على النيل فتردهم بوفائه<sup>(2)</sup>، وكيفية الضرائب تقدر تبعاً لحالة نهر النيل.<sup>(3)</sup>

أما عن الصناعة فقد ازدهرت الحرف والصناعات بأنواعها في العصر المملوكي، وتناوبت مع طبيعة النظام السياسي والعسكري، مما ساعد على نشأة الصناعات الحربية كصناعة المراكب والسفن والأسلحة من رماح وسيوف ومجانيق. كما تناسب مع النظام الاجتماعي الطبقى، حيث فرض ذلك النظام تطور صناعة الأطعمة والحلويات والملابس والزخارف، بما يتناسب مع مظاهر حياة الرفاهية التي كانوا يعيشونها.<sup>(4)</sup>

ولقد كثرت الأسواق نتيجة للنمو السكاني الذي ارتفع مع زيادة عدد الجنود المماليك المحليين إلى البلاد، وكان لكل مدينة أسواق واكتظت تلك الأسواق بالبضائع،<sup>(5)</sup> وتعدت الأسواق في العصر المملوكي بتتبع البضاعة ومن تلك الأسواق : سوق باب الفتوح لبيع أنواع اللحوم، وسوق الدجاجين لبيع الدجاج والطيور، دار الفاكهة، سوق الحلويين، سوق الأبارين لبيع لوازم الخياطة، سوق الجوخين لبيع الملابس الجوخ المستوردة من أوروبا، سوق المُرَكَّنين لبيع لوازم السفر، سوق الصانقين لبيع الصناديق، سوق الحارة فيه كل المستلزمات بما يعني عن الخروج من الحارة وغيرها كثير.<sup>(6)</sup>

---

(1) ينظر عصر سلاطين المماليك: قاسم، 314، 316.

(2) ينظر: المواعظ والاعتبار 270/1، وأيضاً: بدائع الدهور ، 363/1.

(3) ينظر: النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك: قاسم عبده قاسم: دار المعارف، القاهرة، ط1،

1978، 21.

(4) ينظر السلوك 526/1. وأيضاً: ينظر: عصر سلاطين المماليك، قاسم، 312.

(5) ينظر: السابق، 314.

(6) ينظر: أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك: قاسم عبده قاسم: مكتبة سعيد رافت، القاهرة، 1978م، 7، 16.



وقد احتل التجار مكانة رفيعة عند السلاطين وقد ارتبطوا ببطيقة الحكام، وقد كانت الدولة المملوكية همزة وصل بين التجار في الشرق والغرب وقد كانت هذه التجارة تجلب الأرباح الطائلة للدولة، لذا كانت معاملة التجار أفضل معاملة.<sup>(1)</sup>

وقد اهتم سلاطين المماليك بالنشاط التجاري، وشجعوا على جلب البضائع من الخارج، وقد شيّدوا العمارات والقصور الفخمة، وأنشأوا المرافق التجارية ليشترج فيها التجار في حلّهم وترحالهم وقّمو كافة التسهيلات للتجار.<sup>(2)</sup>

إن التطور التجاري انعكس على حياة الوزراء والأمراء والسلاطين؛ فشيّدوا القصور الفخمة وزينوها، وأسرفوا في ذلك، وأكثروا من اقتناء الحلي والمجوهرات وأكثروا من عدد الجوارى والخدم، وقد كثر الرخاء وأكثروا من الهدايا والعطايا والهبات.<sup>(3)</sup>

ومع اضطراب الأوضاع في أواخر الدولة المملوكية كان ذلك سبباً لكساد الأسواق وانحيار النظام الاقتصادي، ومما ساعد على ذلك أيضاً قيام الحكومة بخفض قيمة العملات المتداولة في الأسواق من أجل تحقيق مكاسب عالية للسلطان،<sup>(4)</sup> والضرائب الباهظة التي فُرضت على التجار، مما أدى إلى رفع الأسعار لتحصيل الضرائب الذي ساعد على كساد الأسواق،<sup>(5)</sup> بالإضافة إلى تدخل تتدخل حكام المماليك ورفع أسعار البضائع من خلال احتكار السلاطين والأمراء للغلال، كان هذا سلاحاً ساعدهم في التحكم في الأسعار<sup>(6)</sup>.

---

(1) ينظر: تاريخ المماليك في مصر والشام، طقوش: 51.

(2) ينظر: السلوك: 17/2، وينظر: العصر المماليكي في مصر والشام، عاشور: 298، وأيضاً موسوعة التاريخ الإسلامي، الزبيدي، 241.

(3) ينظر: السلوك: 305/3، 322.

(4) ينظر: موسوعة التاريخ الإسلامي، الزبيدي، 304، 306.

(5) ينظر: أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك: قاسم: 41.

(6) ينظر: السابق: 40.

## البيئة الاجتماعية:

انقسم المجتمع المملوكي إلى فئتين بارزتين هما: الفئة الخاصة التي شملت رجال الدولة كالملاك ومعاونيههم والوزراء وكبار موظفي الدولة، وقيادات الجيش والعلماء والفقهاء الذين اتصلوا بالسلطة الحاكمة. وقد نال الفقهاء والعلماء مكانة مرموقة.

أما الفئة الثانية فهي فئة العامة التي شككت الطبقة الكبرى، وتضم التجار والصناع وأرباب الحرف الأخرى، والفلاحين الذين يعملون عند كبار رجال الدولة.<sup>(1)</sup>

وقد كانت فئة المماليك من أغنى طبقات المجتمع، حيث يعيشون في ثراء فاحش، مما دل على ذلك الأموال الطائلة والمماليك والخيول والبغال والجمال والثياب والأواني والفراخه التي كانت تقدم هدية للبقاء في منصب أو الرغبة في الحصول على نيابة أو ولاية إحدى المدن.<sup>(2)</sup>

وفي ظل النظام الاجتماعي السائد، كان هناك أهم رابطتين تربطهم ببعضهم: رابطة الأستانزية، وهي تربط المملوك بسيدته الذي اشتراه منذ صغره، وأعتقه في كبره ليشق طريقه، وأثبت نفسه على مسرح الأحداث. ورابطة الخنداشية، وهي رابطة الزمالة التي تربط المماليك ببعضهم وتعد من أقوى الروابط؛ لأنها تقوم على رباط العاطفة بين جميع المماليك الذين نشأوا في كنف أستاذ واحد تُسبوا إليه كالطاهرية نسبة إلى الطاهر.<sup>(3)</sup> ولم تتشارك هذه الطبقة في حياة الشعب العامة إلا في المراكب والأعياد والاحتفالات الدينية.

وبعض أبناء المماليك الذين لم يمسهم الرق كأبائهم، فقد كانوا يعضون وقت فراغهم في ممارسة بعض الألعاب والرياضة كالفرسية ولعب الكرة ورمي الرماح، وقد جعلتهم الثروة التي تُركت لهم يعيشون حياة بعيدة عن حياة الطبقة الحاكمة، ومن هؤلاء الأبناء والذين شاركوا في الحياة الثقافية جمال الدين بن تغري بردى صاحب النجوم الزاهرة.<sup>(4)</sup>

- (1) ينظر: صبح الأعشى، 1/4، 39، وأيضاً: ينظر: الأدب العربي بين عصرين المملوكي والعثماني: نبيل أبو علي، دار المقاد غرة، 2007، 28. وأيضاً: حياة الحيوان الكبرى، 4/1.
- (2) ينظر: النجوم الزاهرة، 11/ 196.
- (3) ينظر: المعول بين الانتشار والاكسار: علي محمد الصلابي: دار الأندلس الجديدة، ط1، مصر، 2009م، 271.
- (4) ينظر: السلوك 3/280، وأيضاً: ينظر: العصر المماليكي: عاشور: 319، 320.

ومن الناحية الدينية حرص المماليك على الحفاظ على مظاهر الحياة الإسلامية كونهم مسلمين، فقد تروا تربية إسلامية خاصة، فاهتموا بكتابة القرآن وترزين صفحاته بزخارف ملونة، وأبطلت الكثير من الملاهي، وأغلقت أماكن الخمر، وحورت المذاهب المناهضة للمذهب السني، الذي تعرض لمكائد عديدة من أصحاب هذه الحركات الهدامة.<sup>(1)</sup> و قد اهتم المماليك بتقريب علماء الدين منهم، ليأخذوا الفتاوى منهم، وقد كانت لهم مكانة اجتماعية عالية في هذا العصر.<sup>(2)</sup>

وبالرغم من الازدهار الاجتماعي السائد في العصر المملوكي، إلا أنه لم يستمر، فقد تعرض لأوقات عصيبة أليمة أثرت على طبقات المجتمع، فبالإضافة للمنازعات والحروب التي فرضت على السلطة، فقد انتشرت الأوبئة والكوارث الطبيعية التي أودت بالكثير من الناس، فاتجهوا للتضرع إلى الله عز وجل، ومن تلك الكوارث توقف نزول المطر؛ فزاد القحط والمجاعات.<sup>(3)</sup>

قد كان النيل عند عدم فيضانه ووفائه سبباً أساسياً في تقشي المجاعات بين أفراد المجتمع، وتزايد أعداد الفقراء، فيضطرون لبيع ممتلكاتهم من أجل الطعام والشراب، حيث إن توقف فيضانه ووفائه يؤدي إلى ارتفاع أسعار الغلال ويقل الخبز.<sup>(4)</sup> ومن ثم اضطرت حياة الناس وسادة الفوضى.

**البيئة العلمية والثقافية:**

شهد العصر المملوكي حركة علمية واسعة وازدهاراً ثقافياً في شتى المجالات، ومما ساعد على ذلك الظروف السياسية التي حلت بالعالم الإسلامي، وما أصاب بغداد من دمار وخراب نتيجة للغزو المغولي، فأصبح العلماء يتجهون لمصر والشام وتفاعلا بالحركة العلمية فيهما، وأسهموا في إثراء المكتبة العربية بالموسوعات التي تم تأليفها في مختلف العلوم والفنون، وساعد النتائج العلمي والأدبي الذي ألقوه على تعويض الخسارة التي لحقت بالأمّة على أيدي المغول.<sup>(5)</sup>

- 
- (1) ينظر: تاريخ الأدب العربي من مطلع القرن الخامس الهجري إلى الفتح العثماني: عمر فروخ: دار العلم للملايين، ط5، بيروت، لبنان، 1989م، 607/3، 608.
- (2) ينظر عصر سلاطين المماليك: قاسم، 18، 19.
- (3) ينظر العصر المماليكي: عاشور، 334، 335.
- (4) ينظر النيل والمجتمع المصري: قاسم، 53، 55.
- (5) ينظر: الحركة الشعبية زمن المماليك في حلب الشهباء: أحمد الهيب، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت: 1986م، 73.

وقد اهتم سلاطين المماليك بتشجيع العلماء وتربيتهم من مجالسهم ومشاورتهم في كثير من القضايا، حيث كان الظاهر بيبرس يقرب منه العلماء وكان يميل للتاريخ وأهله ويقول: "سماع التاريخ أعظم من التجارب."<sup>(1)</sup>

وظهرت ثقافة سلاطين المماليك من خلال عنايتهم ببناء جلدتهم من الناحية التربوية والثقافية واللمية، وتشنتهم تشنة صارمة اعتمدت على التربية الدينية والتربية العسكرية. حيث يقول المقريزي في طرق تشنتهم: "... إذا قدم بالملوك عرضه على السلطان ونزله في طبقات جنسه وأول ما يبدأ به تعليمه ما يحتاج إليه من القرآن الكريم، وكانت كل طائفة لها فقيه، يحضر إليها كل يوم ويأخذ في تعليمها كتاب الله تعالى، ومعرفة الخط والتمرن بآداب الشريعة، وملازمة الصلوات والأذكار، وكان القانون إذ ذاك أن لا تجلب التجار إلا المماليك الصغار، فإذا شب الواحد من المماليك علمه الفقيه شيئاً من الفقه، فإذا صار في سن البلوغ أخذ في تعليمه أنواع الحرب من رمي السهام ولعب الرمح...، فيسلم كل طائفة معلم حتى يبلغ الغاية في معرفة ما يحتاج."<sup>(2)</sup>

ويظهر اهتمام سلاطين المماليك بالعلم بفضل تقدير وإحلال العلماء وقد عُرف عن الملك الناصر محمد بن قلاوون أنه عارفٌ بالأمور يُعظم أهل العلم، ولا يقرر في المناصب الشرعية إلا من يكون أهلاً لها، ويتحرى لذلك ويبحث عنه ويبالغ.<sup>(3)</sup>

ولم ينس سلاطين المماليك ضمان الحياة الكريمة والدخل الذي يكفل للعلماء مستوى مرموقاً من العيش، حيث أنشأ الظاهر بيبرس مدرستين: شافعية وحفوية، جعل لكل مدرسة مدرساً له مائة وخمسون درهماً في الشهر، وجعل الملك المنصور قلاوون راتب المدرس في المدرسة مائتي درهم.<sup>(4)</sup>

وقد اتخذت اللغة العربية لغة رسمية في عصر المماليك، على الرغم أن حكامها من الأعاجم إلا أنهم مسلمون، واهتمامهم بالدين الإسلامي، جعلهم يهتمون بلغة الإسلام، فأعطوا اللغة العربية عناية خاصة، واستعانوا بأبرع أهل اللغة: "المتعممين" ممن تخرجوا في المساجد وزاولوا المكتبات

(1)النجوم الزاهرة: 7/ 182.

(2) المواعظ والاعتبار: 3/ 372.

(3) حركة التأليف العلمي في مصر والشام في العصر المملوكي الأول: جلال يوسف العطارى: دار الفكر، ط1، الأردن، 2011م، 13.

(4)السابق: 14.

العربية في أعمال الدولة، مما ساعد على رواج العربية والفصحى داخل الدواوين، وظهور طبقة ممتازة من رجال اللغة والأدب والإثشاء.<sup>(1)</sup> وكثرت المدارس في عهد المماليك، وأُنشئت دور الكتب، واهتم سلاطين الدولة باختيار معلميها، واهتموا بالطلبة، فراج سوق التعليم واتسعت حركته.<sup>(2)</sup>

ويمتاز العصر المملوكي بأنه عصر الموسوعات العلمية والأدبية، فقد ظهرت طائفة من العلماء متخصصين في علم مختلفة، ونشطت حركة التأليف في الكتب والموسوعات، ومن أشهر تلك الموسوعات: كتاب صبح الأعشى لأبي العباس الفلقشندي، وكتاب مسالك الأَبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري، وكتاب نهاية الأرب في فنون الأدب لأحمد بن عبد الوهاب النويري، وقد أثرت التغيرات السياسية والفن الداخلية والحروب على الحياة العلمية والثقافية. مع دخول اللغة العامية وقد اختلطت بالفصحى، ، ودخلت بعض الألفاظ الدخيلة، ومع هذا فقد شهد العصر المملوكي نشاطاً علمياً واسعاً في شتى الفنون والعلوم، حتى عُدت المؤلفات بعشرات الألوف في مدة زمنية لم تتجاوز ثلاثمائة عام، تعاقب خلالها على الحكم سلاطين أشداء، وجهوا همهم إلى الحروب والجهاد، ولكنهم لم يهملوا أبداً عن تشجيع العلوم وتقريب العلماء، فلا يخلو عصر أحد منهم من بناء جامع أو مدرسة أو مكتبة.<sup>(3)</sup>

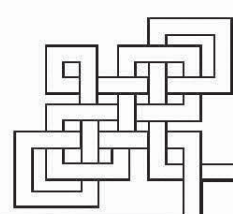
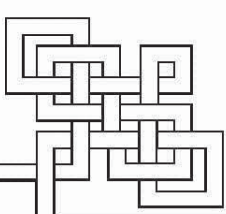
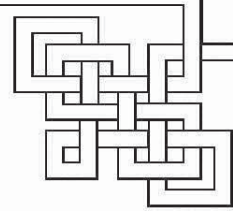
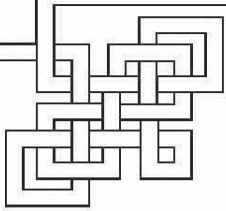
- 
- (1) ينظر: الأَدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث: محمود رزق سليم، مطابع دار الكتاب العربي، 1957م، 13.
- (2) ينظر الأَدب العربي بين عصرين المملوكي والعثماني: أبو علي، 40.
- (3) ينظر حياة الحيوان الكبرى، 6/1.

# الفصل الأول

## فن الرسائل في العصر المملوكي

### وأشهر كتابها

المبحث الأول: العوامل المؤثرة في حياة فن الرسائل و مكانتها.  
المبحث الثاني: أشهر كتاب الرسائل في العصر المملوكي.



## المبحث الأول

### عوامل نشأة فن الرسائل ومكانتها

لقد تطور فن الرسائل في العصر المملوكي تطوراً ملحوظاً، ولاست رسائل هذا العصر مختلف مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية، وكانت مصدراً مهماً من مصادر النثر في هذا العصر. وقد قُسمت عوامل نشأة فن الرسائل إلى عوامل سياسية وعوامل اجتماعية وعوامل علمية.

#### أولاً: العوامل السياسية:

1- اتساع أرجاء الدولة المملوكية، وكثرة الفتوحات التي حدثت في عهدها، كفتح طرابلس وأنطاكية وغيرها، فكانت الضرورة ملحة للرسائل لإرسالها، ونشر خبر الفتح والنصر والتبشير به، أو للتهكم والسخرية من العدو<sup>(1)</sup>.

2- وظائف الدولة التي كانت متوافرة ويتنافس الأفراد للحصول عليها، فعند اعتماد شخص معين واختياره لوظيفة ما ، يتم كتابة رسالة حسب نوع الوظيفة، ويتم فيها تقليده هذا المنصب، وتقديم الرصايا له.<sup>(2)</sup>

3- كثرة الدواوين في الدولة، فمنها ما هو للجيش، ومنها ما هو للأموال، ومنها للإنشاء، فكانت الحاجة ملحة لاستخدام الرسائل لإنهاء أمورهم ومتطلباتهم وحاجاتهم.<sup>(3)</sup>

4- الحياة السياسية الرسمية التي عاشها السلاطين والأمراء والجنود في حلهم وترحالهم، وسلمهم وحريهم، وحاجتهم الماسة لإصدار أوامر أو تعيين أمير أو عزل آخر، أو تهنئة بانتصار أو رسالة تهديد ووعيد فلم يكن لهم منفذ إلا عن طريق فن الرسائل.<sup>(4)</sup>

---

(1) ينظر الأدب في العصر المملوكي: فنون النثر، محمد زطول سلام، منشأة المعارف، مطبعة المدني، الإسكندرية، د.ت، ص. 24، 28.

(2) ينظر: السابق، 29، 30.

(3) ينظر الأدب العربي وتاريخه: سليم ، 27.

(4) عصر سلاطين المماليك ونتائج العلمي والأدبي، سليم، 80.



- 5- وصول الملك أو السلطان إلى بلده بسلام بعد سفر، فتكتب البشائر تبشر بعودته وقدمه سالماً.<sup>(1)</sup>
  - 6- طمأنة الملك على سير أمور الدولة على أكمل وجه، وقيام الأمير بهام منصبه، وحاجة الملك لتنظيم أمور سلطانه من أمر أو نهى أو ترغيب أو ترهيب.<sup>(2)</sup>
  - 7- الحاجة الملحة لإقامة علاقة طيبة مع ملوك البلاد الأخرى لتكوين السياسة الخارجية للدولة.<sup>(3)</sup>
- ثانياً: العوامل الاجتماعية:**

- 1- المكانة المرموقة والمنزلة العالية التي احتلها كُتّاب الرسائل عند سلاطين المماليك، حيث قاربت منزلة الوزراء وكبار القضاة.<sup>(4)</sup> مما دفع الكتاب للعمل الجاد والتنافس من أجل الحصول على وظيفة كتابة الرسائل.
- 2- كثرة المناسبات الاجتماعية والعلاقات الودية بين السلاطين والملوك والأحبة والأصدقاء وتبادل الهايا.<sup>(5)</sup> وإرسال رسائل شكر على هدية أو تهنئة بمناسبة ما أو رسالة عتاب على موقف معين.
- 3- وفاء النبل على أهل مصر، دفع الكُتّاب لكتابة رسائل تهنئة بوفائه، حيث عدوا وفاء النبل عياداً لكل الأعياد، وبدؤوا يتبادلون فيه رسائل التهاني.<sup>(6)</sup>
- 4- الحياة الاجتماعية المرفهة وجمال البيئة والمباني التي يعيشون فيها، دعت الكُتّاب لهندسة الأفاطم وزخرفة عباراتهم في الرسائل.<sup>(7)</sup>
- 5- بزوغ شمس أحد أبناء الملك بولادته؛ فتكتب الرسائل تبشر بالمولود، وتكتب التهاني لأهله.<sup>(8)</sup>

---

(1) ينظر نماذج رسائل البشائر: قهوة الإنشاء: ابن ججة الحموي، تحقيق رودولف فيسيلي، دارالنشر ط1، بيروت، لبنان، 2005م، 231.

(2) ينظر: عصر سلاطين المماليك، 126/5. وأيضاً: ينظر: صبح الأعشى، 39/1.

(3) ينظر: حسن التوسل إلى صناعة الترسيل: شهاب الدين محمود الحلبي، المطبعة الوهبية، مصر، 1298هـ، 69.

(4) ينظر: الأدب في العصر المملوكي فنون النثر، سلام، 17.

(5) ينظر: السابق، 18.

(6) ينظر السابق، 20، 23، وأيضاً، ينظر: حسن المحاضرة، 268/2.

(7) ينظر: الألب العربي وتاريخه: سليم، 49.

(8) ينظر: عصر سلاطين المماليك، 5/143.

- 6- الوظائف التي تُعطى لبعض الشخصيات في الدولة، فتكتب لهم التهاني بذلك المنصب، وتكتب أيضاً رسائل مدح لاستحقاقهم ذلك المنصب.
- 7- العودة من سفر أو حج، فتكتب رسائل التهنية، تهني بالعودة سالمًا غانمًا، أو الزواج فتكتب رسائل تهنية به.
- 8- وفاة أحد الأشخاص، فتكتب رسائل التعزية لمواساة أهل الميت.
- 9- حدوث بعض المشاحنات أو الخلافات بين الأشخاص فتكتب رسائل العتاب فيما بينهم.<sup>(1)</sup>

#### ثالثاً: العوامل العلمية:

- 1- حرية الكلمة التي تمتع بها كتاب العصر المملوكي، فاستطاعوا أن يجولوا برسائلهم في كل مجال، ويعالجوا كل الموضوعات من قريب أو بعيد.<sup>(2)</sup>
- 2- الصفات العلمية التي كان يتحلى بها كُتّاب الرسائل في هذا العصر من ثقافة واسعة ومعرفة جيدة بدقائق اللغة وفنون البلاغة وإجادة الخط وقواعد الإملاء.<sup>(3)</sup>
- 3- طريقة القاضي الفاضل في الرسائل، فقد عُرف بطريقته الأدبية المنمقة المعتمدة على التزام استخدام ألوان البيوع في رسائله، فكانت طريقته في الكتابة نهج الهداية للكُتّاب هذا العصر ففساروا على دربه.<sup>(4)</sup>
- 5- ديوان الإيشاء وما وضع من قيود وشروط على من يريد أن يتخذ الكتابة صنعة له، مع كثرة المكائيات التي كانت تخرج منه أو تعود له من تقاليد ومبايعات وعهود.<sup>(5)</sup>

- (1) ينظر: نماذج الرسائل الاجتماعية في المبحث الثالث من الفصل الثاني، 95، 83 من هذه الرسالة.
- (2) ينظر: الأدب العربي في الأندلس، 449 .
- (3) ينظر: الغصون اليبانة في أدب العصور المتتابعة: حسن عبد الرحمن سليم، جامعة الإمارات ط1، 2005، 374.
- (4) ينظر: الألب العربي وتاريخه، سليم، 43 وأيضاً بلاغة الكتاب في العصر العباسي، 300 .
- (5) ينظر: صبح الأعشى، 14 / 126.

6- اهتمام المماليك وحرصهم على العلم، فمنهم من كان يحفظ كتاباً كاملاً أو أحاديث نثرية ويعرضها على شيخه أو أحد رجال العلم لطلب إجازة علمية للتدريس أو رواية الأحاديث.<sup>(1)</sup>

7- رغبة الكُتّاب في هذا العصر لإظهار براعتهم وثقافتهم وقرائهم على الكتابة في فنون النثر المختلفة.

#### مكانة فن الرسائل:

ازدهر فن الرسائل في العصر المملوكي ازدهاراً ملحوظاً، واحتل مكانة مرموقة بين فنون النثر، وقد أخذ تلك المكانة بدايةً من ديوان الإنشاء، فكان كُتّاب الرسائل يعملون في ديوان الإنشاء ويهتمون بالمكتبات والرسائل، كما أخذ أهمية ومكانة من كُتّابها، فكان من يعمل في ديوان الإنشاء من أفضل كُتّاب البلاغة، حيث يقول المقرئ: "ديوان الإنشاء كان لا يتولاها إلا أجَل كُتّاب البلاغة ويخاطب بالشيخ الأجل، ويُسلم المكاتبات الواردة محتومة، فيعرضها على الخليفة من بعده وهو الذي يأمر بتزيلها، والخليفة يستشير في أكثر الأمور، هذا الأمر لا يصل إليه أحد".<sup>(2)</sup>

وقد اشترط على كاتب ديوان الإنشاء عدة شروط منها: حسن الخط.<sup>(3)</sup> والتفقه في علوم الإسلام ليساعده على الاستشهاد بكلام الله،<sup>(4)</sup> والعفاف والإخلاص وكنان السر، وتقوى الله وصلاح النبوة<sup>(5)</sup> هذه المنزلة التي احتلها كاتب ديوان الإنشاء – كاتب الرسائل – تُعطي هبة واحتراماً وتقديراً، وقد كان للكلمة عند العرب أهمية كبيرة جداً، فالكلمة عندهم تعادل السحر؛ لذا اهتموا باختيار كُتّاب الرسائل اختياراً حسناً واختاروا أهل الفقه والأدب والعقل الراجح والكياسة لأنهم عُدوا الأمة<sup>(6)</sup>

(1) ينظر عصر سلاطين المماليك، 5/ 243.

(2) المواعظ والاعتبار، 402/2.

(3) ينظر: نهاية الأرب، 12/7.

(4) ينظر: صبح الأعشى، 93/1، 94.

(5) ينظر: البرد الموشى في صناعة الإنشاء: موسى الموصلي، تحقيق عفاف صبرة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،

بيروت، لبنان، 1990م، 27، 30

(6) ينظر عصر سلاطين المماليك، 5/83. وأيضاً: بلاغة الكتاب في العصر العباسي، 98

حيث يقول عبد الحميد: "لو كان الوعي ينزل على أحد بعد الأنبياء لنزل على كتاب الرسائل".<sup>(1)</sup>

وقد كان للفاضي الفاضل دورٌ مهمٌ في إظهار مكانة الرسائل، حيث سار كتاب الرسائل على طريقته، فهو يعد أحد أهم أعمدة كُتّاب رسائل العصر الأيوبي، وتعتمد كتاباته على المعاني الخيالية والترم السجع والمحسنات البيعية، كما تعد رسائله مرجعاً تاريخياً للأحداث في عصره. وقد سار كُتّاب العصر المملوكي على طريقته.<sup>(2)</sup> وذلك لا يعني تخبطاً وشموليةً وعجزاً، في فن الرسائل فكانت حية قوية تعبر عن جميع نواحي الحياة، وعكست الحياة السياسية والحياة الاجتماعية والحياة العلمية.

كما أخذت الرسائل أهميتها من الكتابة، فكانت الكتابة أشرف مهنة، حيث يقول القلقشندي: "الكتابة من أشرف الصنائع، وأرفعها، وأربح البضائع وأفجعها، وأفضل المآثر وأعلاها، و لاسيما كتابة الإيشاء التي هي منها بمنزلة سلطانها لا يلتفت الملوك إلا إليها"<sup>(3)</sup>.

فهذه المكانة المميزة لكاتب الإيشاء وللكتابة تعطي الرسائل مكانة متميزة ومرموقة، وتعطيها إجلالاً وتعليماً. من الملاحظ أيضاً أن الرسائل تتميز بأرفع مكانة بين فنون النثر في هذا العصر، هذه المنزلة تتبع أيضاً من أنواعها، فهي تعكس الحياة السياسية بما فيها من انتصارات وفتوحات وتولية السلطة وتقليد وظائف الدولة، والتبشير بوفاء النيل.<sup>(4)</sup> فكان وفاة عيياً عندهم فهي تعكس بجسارة الحياة السياسية التي عاشها المماليك، كما تعكس الحياة الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية الوطيدة التي كانت سائدة في ذلك العصر: كتهنئة بزواج، أو بولادة ولد، أو عودة من سفر أو عودة من حج، وغيرها الكثير.<sup>(5)</sup> وهي انعكاس للحياة الاجتماعية المترابطة بين أفراد المجتمع. و تعكس تلك الرسائل الحياة العلمية البارعة التي تواجه من أدعى جمود علم هذا العصر وتخلقه، وهذه الرسائل تعكس جانباً من جوانب الحياة العلمية، ومنها إجازة التدريس وإجازة الرواية وإجازة العراضة.<sup>(6)</sup> والمكانة المتميزة التي

---

(1) ثمرات الأوراق: ابن حجة الحموي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، د. ط، بيروت، لبنان، 2005م، 128.

(2) ينظر: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء ولغة العرب: أحمد الهاشمي، مؤسسة المعارف، بيروت، 204/2.

(3) صبح الأعشى/1/ 30.

(4) ومن تلك النماذج ينظر البحث الأول من الفصل الثاني من هذا البحث، 81،48.

(5) ومن تلك النماذج ينظر البحث الثاني من الفصل الثاني من هذا البحث، 95،82.

(6) ومن تلك النماذج ينظر المحث الثالث من الفصل الثاني من هذا البحث، 133،96.

التي وصل إليها كُتاب الرسائل جعلت الكتابة أفضل حرفة، حيث يقول الفلاسفةندي: "لا بد للإنسان من حرفة يتعلق بها، ومعيشة يتمسك بسببها والكتابة هي الحرفة التي لا يلبق بطالب العلم سواها ولا يجوز له العدول عنها إلى ما عداها"<sup>(1)</sup> ولها مكانة مرموقة كونها تعد وثائق يُرجع إليها عند الحاجة، تحفظ الأحداث التي حدثت في هذا العصر.

---

(1) صبح الأعرشي، 126/14

## المبحث الثاني

### أشهر كتاب الرسائل في العصر المملوكي

#### • صلاح الدين الصفدي:

هو خليل بن أبيك بن عبد الله صلاح الدين الصفدي أبو الصفاء، الإمام الشاعر المشهور، المؤرخ الكبير. (1) قد كان محبباً للناس حسن المعاشرة جميل المودة. ولد سنة ست أو سبع وتسعين وستمائة في صفد في فلسطين<sup>(2)</sup>، وقد نشأ نشأة عربية خالصة، فحفظ القرآن وقرأ الحديث وتعلم الكتابة والرسم وبرع في الخط، ثم اتجه للأدب وأولع به، ثم اتجه للتاريخ ونظم الشعر وأتقن النحو والبلاغة واللغة مما أهله لتولي كتابة بيت المال في دمشق، وكتابة الإنشاء بدمشق والديار المصرية وتولى كتابة السر في حلب، وقد تقلد أعلى المناصب<sup>(3)</sup>.

شيوخه: (4)

أخذ الصفدي العلم على يد جمهرة من العلماء والأعلام في عصره؛ مما ساعده على صقل علمه، ومن أولئك الشيخ: القاضي بدر الدين بن جماعة، أبو الفتح بن سيد الناس، تقي الدين السبكي، أبو عبد الله النهدي، أبو حيان الأنلسي، ابن نيانة المصري، شهاب الدين محمود، الحافظ يوسف عبد الرحمن.

(1) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثمانية: ابن حجر العسقلاني، دار الجيل، د. ط، د.ت، بيروت، 88/2، 87 .

(2) الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط5، يوليو، 1980م، 315/2.

(3) ينظر، فهرس الفهارس والأبحاث ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات: عبد الحي الكتاني، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت، د. ط، 711/2  
وأيضاً ينظر تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون: خليل بن أبيك الصقلي: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، 1969م، دار الفكر العربي، مطبعة المدني، 5، 6. وأيضاً المنهل الصافي: يوسف بن تغري بردي: تحقيق نبيل عبد العزيز، مركز تحقيق التراث، د. ط، 1988، 5/ 241.

(4) شذرات الذهب، في أخبار من ذهب: أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي: دار الفكر، د.ت، د. ط، 200-201، وأيضاً: أعيان العصر وأعيان النصر: صلاح الدين الصفدي: تحقيق علي أبو زيد وآخرون، قدم له مازن المبارك، دار الفكر ، ط1: دمشق، 1998م، 9/1.

## (1) مؤلفاته:

لقد كثرت وتبوعت مؤلفات الصفتي فهي شاهد على سعة ثقافته وكثرة رحلته في طلب العلم. تلك المؤلفات التي تترخ بها المكتبة العربية، حيث 'كتب ما يقارب مائتين من المجلدات'<sup>(2)</sup> ومنها:

- الروافي بالوفيات.
  - أعيان العصر وأعيان النصر.
  - لامية العجم.
  - ألحان السواجع.
  - جر الذيل في وصف الخيل.
  - كشف الحال في وصف الخال.
  - نكت الهميان في نكت العميان.
- مذهبه النثري:

لقد اهتم الصفتي برسائله واستخدم فيها أغلب ألوان الدبّيع؛ فأكثر من السجع والجناس، واهتم بتضمين رسائله آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأشعاراً وأمثالاً.

وفاته:

في ليلة الأحد العاشر من شوال سنة ستمائة وأربع وستين، توفي الشيخ صلاح الدين خليل بن أبيك، وصلي عليه صبيحة يوم الأحد، ودفن بمقابر الصوفية في دمشق، وقيل إنه مات بالطاعون.<sup>(3)</sup>

## • محي الدين عبد الظاهر:

هو القاضي محيي الدين أبو الفضل، عبد الله بن رشيد الدين أبو محمد عبد الظاهر ابن شوان بن عبد الظاهر السعدي الرومي المصري<sup>(4)</sup>، ولد القاضي محي الدين بن عبد الظاهر في

- (1) الدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، 1/ 243، 244.
- (2) لاستعادة والأطلاع على مؤلفاته ينظر: كتاب الصفتي وأثره في الأدب والقد، محمد عبد المجيد لاشين: دار الأفاق العربية، ط1، 2005م، 93، 355.
- (3) البداية والنهاية، 14/ 379. وأيضاً: بدائع الزهور، 1/ 7.
- (4) الروافي بالوفيات، 17/ 135، وأيضاً: حسن المحاضرة، 1/ 570.



القاهرة، في التاسع من المحرم سنة عشرين وستمئة، في بيت علم ودين؛ فبدأ بحفظ القرآن الكريم، ودرس الفقه والحديث والتاريخ والسير، وأولع بالأدب،<sup>(1)</sup> وقد برع في الكتابة النثرية، وأصبح شيخ الترسل، وتقلد عدة وظائف منها كاتب السر وصاحب ديوان الإيشاء، فكان يقرأ الرسائل الواردة للسلطان<sup>(2)</sup>، وقد تقلد ذلك المنصب بجماعة كما يرى القلقشندي، حيث يقول: "يقال إنهم كانوا في أيام الظاهر بيبرس ثلاثة نفر، أرفعهم درجة القاضي محيي الدين عبد الظاهر"<sup>(3)</sup>، وقد تولى ديوان الإيشاء في عهد بيبرس وقلاوون وابنه الأشرف خليل، وكان له فضل في وضع مصطلحات ديوان الإيشاء، وأشاد معاصروه بذلك، وشهد له بذلك النويري: "كان محيي الدين أجلّ كتاب العصر وفضلاء مصر وأكابر أعيان الدولة، وافتخر بوجوده أبناء عصره."<sup>(4)</sup>

مؤلفاته: (5)

كثرت مؤلفات محي الدين عبد الظاهر ومنها:

1. الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر.
  2. تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور.
  3. الألطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الأشرفية.
- مذهبه النثري:

يعد محي الدين عبد الظاهر، من كبار كتّاب النثر في العصر المملوكي، فقد اشتغل في ديوان الإيشاء، وقد حرص على التزام السجع والجناس والطباق، والاقتباس من القرآن الكريم والشعر، وتميزت رسائله بسهولة ألفاظها وعذوبة أسلوبها.

---

(1) فوات الوفيات، محمد شاكر الكتيبي، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، لبنان د. ط، دبت، 179/2 وأيضاً: شذرات الذهب، 5/ 421.

(2) ينظر: النجوم الزاهرة، 32/8

(3) صبح الأعشى، 1/ 104.

(4) نهاية الأرب في فنون الأدب: شهاب الدين النويري: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 101/8

(5) الأعلام، 4/ 98.

(1) شيوخه:

تعلم من عدة شيوخ منهم:

جعفر الهمذاني، وعبد الله بن إسماعيل بن رمضان يوسف بن المحلي.

وفاته:

كانت وفاة القاضي محيي الدين عبد الظاهر في القاهرة، يوم الأربعاء أو الخميس من رجب سنة اثنتين وتسعين وستمائة هجرية، فكانت حياته اثنتين وسبعين سنة.<sup>(2)</sup>

• ابن حجة العموي:

هو أبو بكر بن علي بن عبد الله، تقي الدين العموي الحنفي الأزاري، المعروف بابن حجة بكسر الحاء.<sup>(3)</sup> ولد في حماة سنة 767هـ<sup>(4)</sup>، ونشأ فيها وحفظ القرآن وعمل في الحرير، وعقد الأزرار ولقب بالأزاري، ثم اتجه للعلم والأدب. ثم ارتحل إلى دمشق وزار القاهرة، وفيها راج اسمه وعظم قدره، أصبح مشيخ ديوان الإنشاء، فاشتهر وبَعْدَ صيته، وأصبح أحد خاصة الملك، فقد كان إماماً عارفاً بفنون الأدب متقماً فيه، طويل النفس في النظم والنثر، وحسن الأخلاق والمروءة<sup>(5)</sup>، وقد احتل مكانة أدبية وثقافية بارزة بوصفه شاعراً وأديباً وناقداً.

(6) شيوخه:

من أشهر من تعلم منهم ابن حجة العموي.

الشيخ عز الدين الموصللي، والشيخ ناصر الدين البارزي.

- 
- (1) شذرات الذهب، 5 / 421.
  - (2) بدائع الزهور، 1 / 372، وأيضاً: البداية والنهاية: ابن كثير، دار أبو حيان، ط1، 1996م، القاهرة، 13/427.
  - (3) الأعلام، 2 / 67.
  - (4) البلد الطالع، 1 / 165.
  - (5) ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: شمس الدين السخاوي، منشورات دار الحياة، بيروت، لبنان، 11 / 53، وينظر: إنباء الغمر بأبناء العمر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 2011، 3/522.
  - (6) شذرات الذهب، 7/220.

## آثاره الأدبية: (1)

لابن حجة الحموي مجموعة من مؤلفات، تتل على سعة اطلاعه وغزارة إنتاجه و طول باعه

في النظم والتأليف، ومنها :

- خزنة الأدب وغاية الأرب.
  - ثمرات الأوراق.
  - كشف اللثام.
  - بروق الغيث أو شرح لامية العجم.
  - بلوغ المرام من سيرة ابن هشام
  - بلوغ المراد من الحيوان والنبات والجماد.
  - الثمرات الشهية من الفواكه الحموية.
  - تأهيل الغريب.
  - أمان الخائفين من أمة سيد المرسلين.
- مذهبة النثري:

يعد ابن حجة الحموي من أشهر كتاب الرسائل في هذا العصر. ومن خلال دراسة بعض رسائله لوحظ حرصه على استخدام السجع والجناس والطباق والمقابلة بشكل فيه رقة وانسجام. مع اقتباس من القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر، والأمثال. والبدء بالبسملة أحياناً وبالحمد والتشهد والصلاة، والختم بـ"مته" و "وكرمه" و "إن شاء الله" واستخدام الصفات: المقر، والمقام، الجنب، الصاحب، الشريف.

---

(1) خزنة الأدب وغاية الألب: ابن حجة الحموي: شرح عصام شعيتو، دار الهلال، ط أخيرة، 2004م، 15/1، 16. وأيضاً: البدر الطالع، 165/1.

وفاته:

ظل بالقاخرة يمارس أعماله حتى عاد إلى حماة مسقط رأسه، وتوفي فيها في الخامس والعشرين من شعبان سنة سبع وثلاثون وثمان مائة هجرية..<sup>(1)</sup>

#### ● القلقشندي:

أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل شهاب الدين الفراري من قبيلة فرارة، القلقشندي القاهري الأصل الشافعي<sup>(2)</sup>، ولد في قلقشنده، وهي قرية قرب القاهرة سنة سبعمائة .<sup>(3)</sup>

قد نشأ نشأة حسنة، وترى تربية علمية صحيحة؛ نشأ في قلقشنده وتعلم فيها، فحفظ القرآن الكريم ثم بعد مدة سافر إلى الإسكندرية للاستزادة في العلم والتفقه في الدين، وحصل منها على إجازة بالتدريس، وإجازة بالرواية؛ فعرف بالذكاء والجد في التحصيل والتشغف بالكتابة، وصدّها أشرف مهبة، ثم استقر، وعكف على التأليف والتصنيف، وجلس للتدريس، واستفاد منه كثير من طلبة العلم، حيث كانوا يعرضون عليه ما حفظوه، ثم اختير ليكون منشى ديوان الإنشاء بالديار المصرية، وقد استمر في كتابة الإنشاء مدة طويلة وله عدد من الرسائل<sup>(4)</sup>.

شيوخه: (5) التلمذ القلقشندي على يد عدة من الشيوخ منهم:

- ابن الملقن: سراج الدين أبو حفص عمر بن أبي الحسن.
- الليث بن سعد.
- (6) مؤلفاته:
- قد كثرت وتوسعت آثاره و منها:
- صبح الأعرشى في صناعة الإنشاء .
- حلية الفضل وزينة الكرم في المفاخرة بين السيف والقلم.

- 
- (1) شذرات الذهب، 219/7.
  - (2) الضوء اللامع، 7/1
  - (3) الأعلام، 177/1.
  - (4) ينظر: تاريخ الأدب العربي: العصر المملوكي، عمر موسى باشا، دار الفكر دمشق، ط1، 1989م، 542، 547.
  - (5) ينظر السابق ، 544، 545
  - (6) الأعلام، 177/1.

- فلائد الجمان من قبائل العربان.
  - ضوء الصباح المسفور.
  - نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب.
- مذهبه الثثري:

من الملاحظ على رسائله أنه كان يلترم المحسنات البيعية من سجع وجناس وتورية؛ سائراً على طريقة القاضي الفاضل.

وفاته:

توفي القاضي شهاب الدين القلقندي ليلة السبت العاشر من جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، عن عمر ناهز خمسا وستين سنة.<sup>(1)</sup>

#### • ابن فضل الله العمري:

أحمد بن يحيى بن فضل الله بن المجلي بن دعجان بن خلف بن أبي الفضل بن منصور بن عبيد الله القرشي الحدوي العمري القاضي شهاب الدين، أبو العباس بن القاضي أبو المعالي محبي الدين<sup>(2)</sup>، ولد في الثالث من شوال سنة سبعمائة.<sup>(3)</sup>

نشأ في بيت علم ودين، فقد كان يتوقد نكاءً وفطنة، ويتفق بعه بالجواهر كلاماً، ويقطر كلامه فصاحة وبلاغة، واهتم بالأدب واللغة والكتابة، حتى استوت بديهته وارتجاله، فكان يكتب من رأس قلمه بديهياً. وقد عرف بأنه الإمام الفاضل المؤوء، الحافظ، حجة الكتاب، إمام أهل الأدب، أجرد رجالات الزمان كتابة وترسلاً<sup>(4)</sup> مما أهله ليكتب الإنشاء بدمشق، فقد أنشأ كثيراً من التقاليد والمناشير والواقيع عندما تولى والده كتابة السر في دمشق.

وعندما تولى والده كتابة السر في مصر، كان أحمد هو من يقرأ البريد على السلطان الناصر محمد بن قلاوون ويتفد المهمات.<sup>(5)</sup>

- (1) شذرات الذهب، 149/7.
- (2) فوات الوفيات، 157/1.
- (3) النجوم الزاهرة، 334/10.
- (4) الرافي بالوفيات، 163/8 وأيضاً: الدرر الكامنة، 331/3.
- (5) أعيان العصر وأعيان النصر، 419/1، 420، وأيضاً: النجوم الزاهرة، 235/10.

### شيوخه: (1)

تنوع علمه وثقافته، فتعلم الفقه والعروض والبلاغة والشعر والأدب من عدة شيوخ منهم:

- الشيخ كمال الدين ابن قاض شعبة.
  - قاضي القضاة شمس الدين بن مسلم.
  - الشيخ بروهان الدين.
  - الشيخ تقي الدين بن تيمية.
  - الشيخ شمس الدين الصائغ.
  - العلامة شهاب الدين محمود.
  - الشيخ كمال الدين الزملاكي.
- مؤلفاته: (2)

تنوعت المؤلفات بتنوع الثقافة منها:

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار.
  - مختصر قلائد العقيان.
  - النبذة الكافية في معرفة الكتابة والكافية.
  - ممالك عباد الصليب.
  - التعريف بالمصطلح الشريف.
  - يقطعة الساهر.
  - نفحة الروض.
  - دمعة الباكي.
- مذهبه الثري:

كان يلزم ألوان البلاغة في رسائله، ويكثر من الجناس والطباق والسجع والموازنة، والتشبيه ويصنم رسائله أبياتاً من الشعر، حيث كان "يشبه القاضي الفاضل في زمانه". (3)

- 
- (1) أعيان العصر 418/1. وأيضاً فوات الوفيات، 1/ 159.
  - (2) السابق، 10/ 160 و أيضاً الأعلام، 1/ 268.
  - (3) شذرات الذهب، 6/ 160.

وفاته:

مات في ذي الحجة سنة تسع وأربعين وسبعمائة، ودفن عند والده وأخيه بدر الدين محمد بالصالحية في دمشق.<sup>(1)</sup>

#### • ابن نباتة المصري:

محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن أبي الحسن بن علي بن يحيى بن ظاهر بن عبد الرحيم جمال الدين أبو بكر ابن نباتة المصري<sup>(2)</sup>، ولد في شهر ربيع الأول سنة ستمائة وست وثمانين في القاهرة.<sup>(3)</sup> نشأ بالديار المصرية، وتأدب فيها واشتغل بفي النظم والنثر، فاق أهل زمانه فيهما، وبيع في عدة علوم فهو الأديب الناظم النائر، وقد عُرف بلطافة نظمه وعضوية لفظه وجودة معانيه وجرأة كلامه وانسجام تركيبه، وعُرف بحسن خطه؛ فهو أعلى قيمة من الدرر. وقد رحل إلى الشام وتردد بين حماة وحلب ومدح رؤساءهما.<sup>(4)</sup>

شيوخه: (5) تتلمذ ابن نباتة على يد عدة من الشيوخ منهم:

- بهاء الدين ابن النحاس.
  - عبد الرحيم الدميري.
  - شرف الدين ابن نباتة.
  - الفخر ابن البخاري.
- مؤلفاته: (6)

كثرت تصانيف ابن نباتة ومنها:

– القطر النباتي.

- 
- (1) شذرات الذهب ، 160/6.
  - (2) الدرر الكامنة، 216/4.
  - (3) طبقات الشافعية: تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب السُّبكي، تحقيق مصطفى عبد القادر، وأحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999م، 153/5. وأيضاً: حسن محاضرة، 571/1.
  - (4) الوافي بالوفيات، 324/1. وأيضاً النجوم الزاهرة، 95/11.
  - (5) الدرر الكامنة، 216/4.
  - (6) البدر الطالع، 253/2.



- سوق الرقيق.
- مطالع الفوائد.
- سجع المطوق.
- مذهبه الثري:

اهتم في نثره باستخدام ألوان البلاغة من جناس وطباق وسجع وتشبيه وغيرها؛ فقد سلك طريق الفاضل، حيث إنه "الغاية في الفصاحة سلك منهج الفاضل وحدا حذوه".<sup>(1)</sup>

وفاته:

توفي ابن نباتة المصري في الثامن من صفر من سنة ثمان وستين وسبعمائة.<sup>(2)</sup>

#### • شهاب الدين محمود الحلبي:

هو محمود بن سلمان بن فهد، شهاب الدين أبو التناء الحلبي العلامة الإمام البارح البليغ الكاتب الحافظ الحلبي الدمشقي<sup>(3)</sup>، ولد في حلب سنة أربع وأربعين وستمائة<sup>(4)</sup>، نشأ فيها وتأدب وتفقته على يد عدد من العلماء والشيخ، وسمع الحديث ونسخ الكثير، ثم سلك طريقه في النظم والكتابة. ثم سافر إلى دمشق وتولى منصب كاتب السر فيها، وكان كاتباً في ديوان الإيتشاء بحلب والقاهرة، وقد استمر في دواوين الإيتشاء بالشام ومصر نحو خمسين عاماً، حيث كان شيخ صناعة الإيتشاء في عصره<sup>(5)</sup>. وقد كان كثير الفضائل بارعاً في علم الإيتشاء نظماً ونثراً، وكان مليحاً جداً، بل من خيار عباد الله طبعاً، كثير التواضع لم يغيره المنصب. وقد أحبه معاصروه كثيراً<sup>(6)</sup>.

(1) الوافي بالوفيات، 1/234 (2) النجوم الزاهرة، 95/11 وأيضاً: حسن المحاضرة، 1/571. وأيضاً شذرات الذهب، 6/212.

(2) النجوم الزاهرة، 95/11 وأيضاً: حسن المحاضرة، 1/571. وأيضاً شذرات الذهب، 6/212.

(3) فوات الوفيات، 82/4، وأيضاً: الدرر الكامنة، 4/224.

(4) شذرات الذهب، 5/69.

(5) ينظر النجوم الزاهرة، 9/190، 191. وأيضاً: البداية والنهاية، 14/152، وأيضاً السلوك، 2/180.

(6) الوافي بالوفيات، 1/66.

آثاره: (1)

- ذيل على الكامل لابن الأثير.
  - مقامة العشاق.
  - منازل الأحباب ومنازه الألباب.
  - حسن التوسل إلى صناعة التوسل.
- مذهبه النثري:

من الملاحظ على رسائله استخدامه للجاس والسجع والتشبيه والاستعارة وتضمن رسائله آيات قرآنية. ويهتم أيضاً ببراعة الاستهلال بذكر الرتب والألقاب ويراعي المناسبة وما يقتضيه الحال. ويتخير الكلام والمعاني (2).

شيوخه: (3)

تلمذ وسمع من عدة شيوخ، مما ساعده في نظمه ونثره، ومن أشهر من تعلم منهم، الرضي بن البرهان، يحيى بن عبد الرحمن الحنبلي، جمال الدين بن مالك، ابن المنجا.

وفاته:

قد توفي شهاب الدين محمود الحلبي ليلة السبت في شعبان سنة خمس وعشرين وسبعمائة، عن إحدى وثمانين سنة<sup>(4)</sup>.

---

(1) الإعلام: الزركلي، 172/7.

(2) للاستزادة: ينظر حسن التوسل إلى صناعة التوسل 61،15.

(3) الدرر الكامنة، 4/224.

(4) شذرات الذهب، 5/69.

## • جلال الدين القزويني:

محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق. من أحفاد أبي دلف العجلي، قاض، من أدباء الفقهاء. أصله من قزوين، ومولده بالموصل.

ولي قضاء دمشق سنة 724 هـ، ثم قضاء القضاة بمصر سنة 727، ووفاه السلطان الملك الناصر إلى دمشق سنة 738 ثم ولاة القضاة بها (1).

مؤلفاته (2):

- تلخيص المفاتيح في المعاني والبيان.
  - الإيضاح في شرح التلخيص.
  - السور المرجاني من شعر الأرجاني.
- شيوخه (3):

- شمس الدين الأبي.
- عز الدين الفاروشي.

مذهبه النثري:

عرف القزويني بأنه كاتب في العصر المملوكي، عرف بحبه الشديد للأدب وقد اعتاد على تدبير كتاباته بفنون شتى من البلاغة العربية حيث له كتاباً في المعاني والبيان. وكان حلو الكلام واللسان. واهتم بالسجع والجناس في رسائله.

وفاته:

توفي في منتصف جمادى الأولى، ودفن بمقبرة الصوفيّة في سنة تسع وثلاثين وسبع مائة، وشيع جنازته خلق عظيم إلى الغاية وكثر التأسف عليه؛ لما كان فيه من الحلم والمكارم وعدم الشتر وعدم مجازة المُسيء إلا بالإحسان (4).

---

(1) البداية والنهاية، 215/14.

(2) الاعلام، 192/6.

(3) الروافي بالوفيات، 199/3.

(4) النجوم الزاهرة 318/9

## • علاء الدين بن عبد الظاهر:

علي بن مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد الظاهر بن شومان الجامي المصري الصَّدْر الرئيس التَّيْل الكبير علاء الدين ابن القاضي فتح الدين ابن القاضي محي الدين، ولد سنة ست وسبعين وست مائة وكتب في الدولة المنصورية وعمره إِحْدَى عَشْرَةَ<sup>(1)</sup>.

شيوخه<sup>(2)</sup>:

- شمس الدين من ابن الخلال.
- فتح الدين عبد الظاهر.
- محي الدين بن عبد الظاهر.
- نجم الدين بن الأثير.

مذهبه النثري:

عرف علاء الدين بأنه كاتب رسائل له العديد منها. في عدة أنواع، والتي استخدم فيها فنون البلاغة المختلفة لاسيما السجع والجناس والتشبيه.

وفاته<sup>(3)</sup>

توفي في الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة 717هـ ، قد توفي هو و الأمير أرسلان الناصري التوارق، فقد كانا صديقين فرضا في وقت واحد بعلة واحدة وماتا في شهر واحد.

## • عمر بن الوردي:

أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس، الإمام الفقيه الأديب الشاعر، ولد في معزة النعمان سنة 689هـ، نشأ في حلب وتفقه فيها، وتلمذ على يد شيوخها.<sup>(4)</sup> وقد برع في الأدب والنحو، وشارك في علوم الدين واللغة. قد كان أحد فضلاء العصر و أدبائه و فقهاؤه وشعرائه وأجاد المنثور والمنظوم<sup>(5)</sup>.

- 
- (1) الوافي بالوفيات، 36/22.
  - (2) أعيان العصر وأعيان النصر 148/3.
  - (3) النجوم الزاهرة، 241/9.
  - (4) فوات الوفيات، 157/3.
  - (5) السابق 157/3.

شيوخه(1):

- شرف الدين البارزي.
- الفخر خطيب جبرين.
- صدر الدين محمد بن زين الدين عثمان.

مؤلفاته (2)

- البهجة الرردية.
- شرح ألفية ابن مالك.
- لامية ابن الرودي.

مذهبه النثري

قد شارك ابن الرودي في فنون النثر المختلفة ، وقد حرص على بناء تلك الفنون ،وقد سار ككتاب عصره واستخدم ألوان البلاغة المختلفة ،وكان يهتم اهتمام شديد بالسجع ويجادل أن يوازن بين طول السجعات .واهتم كثيراً بالشعر وكان يستشهد به كثيراً في كتاباته.

وفاته (3)

توفي ابن الرودي في حلب بمرض الطاعون سنة 749هـ ، دفن بالصالحية بجوار أخيه جمال الدين .

---

(1) الدرر الكامنة، 272/3.

(2) أعيان العصر وأعيان النصر 677/3.

(3) إعلاء النبلاء، 13/5.

# الفصل الثاني أنواع الرسائل وموضوعاتها

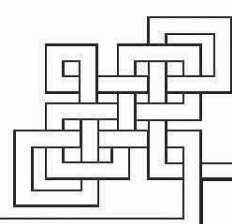
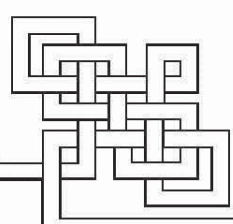
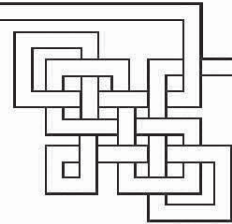
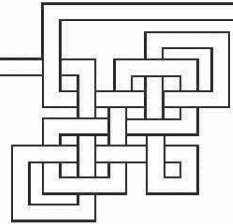
ويشتمل على مهاد نظري و ثلاثة مباحث:

مهاد نظري: رؤى تنظيرية: تصنيف الرسائل.

المبحث الأول: الرسائل السياسية.

المبحث الثاني: الرسائل الاجتماعية.

المبحث الثالث: الرسائل العلمية.



## مهاده نظري

### رؤى نظرية تصنيف الرسائل

لقد تعددت تصنيفات الرسائل وكثرت المسميات عند الدارسين ومن تلك المسميات: "ديوانية واخوانية و أدبية"<sup>(1)</sup> "سلطانية واخوانية وديوانية"<sup>(2)</sup> "رسمية و شخصية"<sup>(3)</sup> "سياسية واجتماعية ودينية"<sup>(4)</sup>. ومن خلال الاطلاع على فن الرسائل منذ العصر الإسلامي حتى العصر المملوكي، وجدت أن كثيراً من الدارسين عرفوا الرسائل الديوانية بأنها الرسائل التي كان يبعثها كتاب ديوان الإيثار في المناسبات الرسمية للدولة، جارية على لسان السلطان أو بأمر منه، وتتعدد وتنوع الرسائل بتعدد المناسبات، وما أكثرها وما أوفرها.<sup>(5)</sup> وقد عرفها آخر: بأنها الرسائل التي كانت تصدر عن ديوان الإيثار في بلاط الخلفاء والأمراء، تُرسل إلى العمال والولاة، وكان يتولى كتابتها كتاب متخصصون<sup>(6)</sup> وعرفها آخر بأنها رسائل الديوان الرسمية متعددة الموضوعات والمناسبات، منها ما يتبادله الملوك والسلاطين فيما بينهم من مهام الأمور وجلائل الأحداث في السلم والحرب ومنها رسائل صداقة وسلام، ويتبادل الود، والتحيات، والهدايا، والتهاني، ويعبرون فيها عن أطيب الأمنيات والرغبات في أن يسود السلام بينهم، ومنها رسائل الوعيد والإنذار بالحرب الطاحنة<sup>(7)</sup>.

ومن خلال دراسة فن الرسائل، فإن تسمية الرسائل الديوانية لم تكن تسمية دقيقة؛ وذلك لأنه ليست كل الرسائل قد أصدرت من الديوان، بل قد كانت هناك رسائل من القائد في أرض المعركة إلى الخليفة أو الملك: كرسالة من أبي عبيدة إلى عمر بن الخطاب بعد انتصار المسلمين على الروم

---

(1)العصر الإسلامي، 456، 465، وأيضاً، العصر العباسي الأول، 465، 91، وأيضاً، العصر العباسي الثاني، 562 .

(2) نقد النثر، 267.

(3) بلاغة الكتاب في العصر العباسي، 95.

(4) الفن ومفاهيمه، 102.

(5) عصر سلاطين المماليك، 112/5.

(6) مختارات من النثر العربي القديم: توفيق أبو الرب، دار الأمل، الأردن، إريد: 79 وأيضاً بلاغة الكتاب في العصر

العباسي، 54

(7) الأدب في العصر المملوكي: فنون النثر، محمد زغول سلام، 18، وأيضاً: الأدب العربي في الأندلس، 49



وقتلهم قتلاً عظيماً قد أرسل له رسالة يعلمه بذلك<sup>(1)</sup>، ورسالة أخرى من أبي عبيدة إلى عمر بن الخطاب بعد دخوله لحمص وطلب أهلها الصلح والأمان، أرسل إليه رسالة يخبره بذلك<sup>(2)</sup>، وهناك رسائل من ملك دولة إلى سلطان أو ملك دولة أخرى ومن ذلك رسالة طلب الصلح أرسلها ملك التتار محمود غازان إلى الناصر قلاوون<sup>(3)</sup>.

وكذلك تسمية الرسائل بالسلطانية لم تكن تسمية موقفة أيضاً، وذلك لأنه لم تكن كل الرسائل قد صدرت عن السلطان، فهناك ما صدر عن القضاة أو أشهر كتاب الديوان ومن ذلك: رسائل البشارات بعودة السلطان من سفر يكتبها القاضي، أو أحد الكتاب المشهورين إلى الشعب يبشروه بعودة السلطان من السفر<sup>(4)</sup>.

وشارة أخرى يكتبها للسلطان أحد أشهر الكتاب يبشره بميلاد مولود له أو لولده<sup>(5)</sup>، وهكذا يرى الدكتور نبيل أبو علي أن الرسائل التي تتعلق بأمر سياسة الدولة، وكيفية إحراز نصر، أو توطيد أركانها فالأولى أن تسمى رسائل سياسية<sup>(6)</sup>. وتسير الباحثة مع رأي الدكتور أبو علي بأنها رسائل سياسية أفضل من رسائل ديوانية.

ويرى أيضاً أن تسمية رسائل المدح والهجاء باسم رسائل أدبية، تسمية فيها ظلم لباقي أنواع الرسائل<sup>(7)</sup> وترى الباحثة أن هذا رأي صائب؛ وذلك لأن معظم الرسائل منذ النشأة إلى العصر المملوكي كانت تتميز بطابع أدبي رائع جداً حتى السياسية منها، وفيها من ألوان البلاغة ما كثر ومن ذلك تقليد كتبه علاء الدين بن عبد الظاهر<sup>(8)</sup>.

- 
- (1) جمهرة رسائل العرب، 1/155، 113.
  - (2) السابق، 1/ 160.
  - (3) النجوم الزاهرة، 8/111.
  - (4) فقهوة الإلتقاء، 79.
  - (5) السابق، 274.
  - (6) ينظر: نقد النشر، 268.
  - (7) السابق، 268.
  - (8) نهاية الأرب، 8/135.

ونسخة مرسوم بنبابة قلعة مصر كتبها بن فضل الله العمري<sup>(1)</sup>، كما أن الرسائل الديوانية لا تشير على وثيرة واحدة، ولا تلتزم نمطاً معيناً، بل تتفاوت بتفاوت الأغراض والأحوال، حيث عندما يكون موضوع الرسالة الإندثار والوعيد يستخدم الكاتب أسلوباً مشبعاً بالوعيد، مع جزالة التراكيب والاستعارات والكنايات. وفي بعض الرسائل كالمبايعات تتطلب استخدام الألفاظ والمعاني الحقيقية لأن هذا لا يحتمل التأويل والتحويل<sup>(2)</sup>.

أما بالنسبة للرسائل الإخوانية قد تعددت التسميات ومنها:

الرسائل الإخوانية: وهي التي تصور عواطف الأفراد ومشاعرهم من رغبة ورهبة ومديح وهجاء واعتذار وعتاب واستعطاف وتهنئة ورتاء وتعزية<sup>(3)</sup>.

ومنها أيضاً الرسائل الخاصة: وهي الرسائل الشخصية التي لا تتعلق بشؤون الدولة العامة، وجرى تسميتها بالرسائل الإخوانية<sup>(4)</sup>.

وتعد تلك الرسائل أفسح مجالاً، وأخصب خيالاً لعرض ذوق الأديب، فالكاتب حر طليق فيها، إن شاء كانت الطغف من الهواء، وإن شاء كانت أُنسى من الصخر وأصلب من الحديد<sup>(5)</sup>، وهي رسائل تضمنت العتاب والشكوى وتبادل الآراء والتهنئة والتعزية...ومن خلال ما سبق تعتقد الباحثة أن تسميتها بالإخوانية أو الخاصة لم تكن تسمية موقفة؛ وذلك لوجود رسائل لا تحمل الطابع الأخرى كالهجاء أو الذم، أو الشكوى ومن تلك الرسائل رسالة هجاء كتبها محي الدين عبد الظاهر<sup>(6)</sup>، لذا فضل تسميتها بالرسائل الاجتماعية لتكون أكثر دقة وشمولية<sup>(7)</sup> فهي لم تخرج عن إطار العلاقات الاجتماعية، حيث تصورها بين الأدياء والسلاطين وأصدقائهم وأجانبهم كالتعزية والتهنئة والشكر وغيرها

(1) صبح الأعشى، 208/12.

(2) ينظر الأدب العربي في الأندلس، 453.

(3)العصر العباسي الأول، 491.

(4) بلاغة الكتاب في العصر العباسي، 59.

(5) السابق، 99.

(6) تمام المتون في شرح رسالة ابن زيون، 415، 404.

(7) نقد النثر ، 268.

من المعاني الاجتماعية التي تربط المجتمع ببعضه .كما تتميز الرسائل الاجتماعية بالبساطة واستخدام عبارات المجاملة والتعظيم والمدح<sup>(1)</sup>.

ومن خلال البحث والدراسة والاطلاع لاحظت الباحثة وجود رسائل علمية<sup>(2)</sup> وهي على ثلاثة أنواع: إجازة التدريس، وإجازة العراضة، وإجازة بالرواية الأدبية، ونظراً لعدم وجود اختلاف في مسميات هذا النوع من الرسائل فضلت الباحثة أن تُورد كل نوع وتُعرف كل واحدة وتذكر نماذجها في البحث الثالث من هذا الفصل .

---

(1) ينظر : الغصون البياعية: 375، وأيضاً: النشر عند لسان الدين الخطيب: عبد الحليم الهروط، دار جريب، د. ط ، عمان، 2010م ، 56 وأيضاً: الألب العربي في الأندلس، 454  
(2) عصر سلاطين المماليك، 183/5

## المبحث الأول الرسائل السياسية

تعد الرسائل من أهم الفنون النثرية التي عُرِفَت في العصر المملوكي وما قبله، فقد استعملت لفظة الرسالة منذ القدم ولكنها ارتبطت بالنثر أكثر من الشعر، ولقد شهدت الرسائل بأنواعها نهضة جلية في الأدب المملوكي، وازدهرت في هذا العصر ازدهاراً ملحوظاً، وقد وصل كتابها منازل رفيعة عند سلاطين المماليك قاربت منزلة الوزراء.

وتنوعت الرسائل في العصر المملوكي، فكان منها السياسية والاجتماعية والعلمية، وكل نوع من هذه الأنواع ينبثق منه أقسام أخرى. وستبدأ الباحثة بالحديث عن الرسائل السياسية والتي تُعرف بأنها: "الرسائل الخاصة بشؤون الدولة في الداخل والخارج"<sup>(1)</sup> ولقد تعددت الرسائل السياسية بما يخدم سياسة الدولة الخارجية وسياستها الداخلية: فمنها ما وُجِه من الخليفة للسلطان، ومنها لملوك البلاد الأخرى، ومنها لموظفي الدولة الكبار والعاديين، ومنها ما هو للشعب، ومنها ما هو للجيش، وهكذا كانت الرسائل السياسية تهتم بحق بشؤون الدولة الخارجية وشؤونها الداخلية.

ومن الرسائل السياسية:

أولاً: الرسائل الملوكية.

فهي تعد أهم الرسائل السياسية كونها لها صلة للتعبير عن السياسة العليا للدولة، كصلح أو هدنة أو إنذار بحرب للأعداء ...

وتُعرف الرسائل الملوكية" بأنها المكاتبات التي كانت ترسل على لسان السلطان إلى غيره من الملوك والسلاطين والأمراء في أمر ذي بال، مبادأة بها أو رداً على مثلها"<sup>(2)</sup> وقد كانت الرسائل الملوكية تتعلق بالسياسة الخارجية للدولة غالباً.

ومن تلك الرسائل: كتاب السلطان الظاهر بيبرس، قد كتبه محيي الدين عبد الظاهر إلى بوهمند السادس<sup>(3)</sup>، في الرابع من شهر رمضان المعظم قد زحف العساكر إلى طرابلس وطافوا بالمدينة

(1) بلاغة الكتاب في العصر العباسي، 54

(2) عصر سلاطين المماليك، 113/5، وأيضاً: الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر

الحديث، 30

(3) بوهمند: أحد أمراء الصليبيين بالشام، وكان أمير أنطاكية، السلوك لمعرفة دول الملوك، 1/966

والقلعة وقتلوا أهل المدينة قتالاً شديداً . وشرع العساكر بالقتل والنهب والأسر ثم انتقلوا إلى أنطاكية وتم الاستيلاء عليها في شهر رمضان من عام 666هجرى، وكان بوهمند وقت فتح أنطاكية مقيماً بطرابلس ، فبعث السلطان يبشره بفتح أنطاكية<sup>(1)</sup> وكان في هذه البشرى من التهكم والاستهزاء الكثير ، حيث وجدت الباحثة أن السلطان صور ما أصاب طرابلس وأنطاكية من خراب ودمار مع استخدام العبارات والألفاظ الدالة على ألوان التهديد والوعيد.

ومن ثم تعد هذه الرسالة وثيقة تسجيل خبر الفتح، حيث وُجد في نهاية الرسالة ما نصه: "لما وصل هذا الكتاب إليه اشتد غضبه ولم يبلغه خبر أنطاكية إلا من هذا الكتاب"<sup>(2)</sup> ولقد بدأ الرسالة بمقدمة لفتح فيها لموضوع الرسالة وهو فتح أنطاكية، ثم بدأ يتكلم بالمرسل إليه ويُحدثه كيف تم الاستيلاء على أنطاكية، والسيطرة على كل ما فيها، ثم أخبره بيوم الفتح وشهره وساعته، ثم انتقل لوصف فتح أنطاكية وما عانته خيالة بوهمند من صرع تحت سناك الخيل، ووصف ما جرى لحرائرها ولرجالها من هولٍ وذل، وما لحق بالمدينة من ألوان الخراب والدمار .

ومن نص الرسالة: " قد علم القومص<sup>(3)</sup> الجليل المبجل، المَعزَز الهمام، الأسد الضُرْعَام بوهمند، فخر الأمة المسيحية، رئيس الطائفة الصليبية، كبير الأمة اليسوعية المنتقلة مخاطبته بأخذ أنطاكية منه، ... ألهمه الله رشده، وقرن بالخير قصده، وجعل النصيحة محفوظة عليه، ما كان من قصدنا طرابلس و غزونا له في عُقر الدار، وما شاهده بعد رجينا من إخراب المعائن وهدم الأحصار،...وكيف دارت الدوائر على كل دار ، ... ولا زرع إلا وهو محسود، ولا موجود لك إلا وهو منك مفقود، وفتحناها بالسيف في الساعة الرابعة من يوم السبت رابع شهر رمضان، وقتلنا كل من اخترته لحفظها والمحاماة عنها، ... فلو رأيت خيانتك وهم صرعى تحت أرجل الخيول، وديارك والنهاية فيها تصول، والكسابة فيها تجول، وأمواك وهي توزن بالقطار، ... ولو شاهدت النيران وهي في قصورك تخرق، والقتلى بنار الدنيا قبل نار الآخرة تخرق، وقصورك وأحوالها قد حالت، وكثيسة بولص وكثيسة القسيان وقد زلت وزالت، لكنت تقول، يا ليتني كنت تراباً ويا ليتني لم أوت

(1) السلوك، 1/966.

(2) السابق، 1/969.

(3) القومص: تعريب حرفي اللفظة اللاتينية (Comes)، أي الأمير، ومعناها الأصلي: اللاتينية: (الرفيق)، لأنه كان في بادئ الأمر يرافق الملك في حروبه وتقاتلته، ثم سُمِّيَ بالأمير . السابق، 1/969.

بهذا الخبر كتابا... لَتَبَيَّنْتَ أَنَّ إِلَهَهُ الَّذِي أُعْطَاكَ أَنْطَاكِيَةَ مِنْكَ اسْتَرْجَعَهَا، وَالرَّبِّ الَّذِي أُعْطَاكَ قَلْعَهَا مِنْكَ قَلْعَهَا، وَمِنَ الْأَرْضِ اقْتَلَعَهَا.<sup>(1)</sup>

ومن تلك الرسائل: رسائل طلب الصلح: "وهي الاتفاقات الموقعة بين ملكين"<sup>(2)</sup> ويُبدى كل ملك استعدادَه للصلح إذا صدقت النية وإلا فالحرب سجال بينهما ، ومن ذلك رسالة أرسلها ملك التتار محمود غازان<sup>(3)</sup> مع وفد إلى الناصر قلاوون. وتجمع هذه الرسالة في معانيها بين الوعد والوعيد المصالحة، وذكر فيها ما قام به جنود الناصر قلاوون من عبث وفساد في مَردِين<sup>(4)</sup>، وأعلن محمود غازان الحرب عليهم بسبب استغاثة أهل مَردِين به، وقد فعل ذلك بدافع الإسلام، ثم أرسل الرسالة يطلب الصلح ويستهدي السلطان، ومنها: "بسم الله الرحمن الرحيم، ونُتْهِى بِعَدِ السَّلَامِ إِلَيْهِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ أَهْلَ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَشَرَفَنَا بَدِينِ الْإِسْلَامِ وَإِيَّانَا، وَتَبَيَّنَّا لِإِقَامَةِ مَنَارِهِ وَسَدِّدْنَا؛ وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مَا كَانَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ، وَمَا كَانَ ذَلِكَ إِلَّا بِمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيَكُمْ، وَمَا اللَّهُ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ! وَسَبَبَ ذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ عَسَاكِرِكُمْ أَغَارُوا عَلَى مَردِينِ وَبِلَادِهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُعْظِمِ قَدْرَهُ، ... فَطَرَفُوا الْبِلَادَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا، وَقَتَلُوا وَسَبُّوا وَفَسَقُوا وَهَتَكُوا مُحَارِمَ اللَّهِ بِسُرْعَةٍ مِنْ ضَيْرٍ مُهْلَةٍ؛ وَأَكَلُوا الْحَرَامَ وَارْتَكَبُوا الْآثَامَ، ... فَأَتَوْنَا أَهْلَ مَردِينِ صَارِحِينَ... فَهَرَّجْنَا نَحْوَةَ الْكِرَامِ، وَحَرَكْنَا حِمِيَّةَ الْإِسْلَامِ،... وَدَخَلْنَا الْبِلَادَ وَقَمْنَا اللَّيْلَةَ، وَعَاهَدْنَا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مَا يُرْضِيهِ عِنْدَ بُلُوغِ الْأَمْنِيَّةِ؛ وَعَلِمْنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُرْضِي لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ بَأَنَّ يَسْعُوا فِي الْأَرْضِ فَسَادًا [وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ]، فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ لَقِينَاكُمْ بِنَيْةٍ صَادِقَةٍ، وَقَلَّوبَ عَلَى الْحِمِيَّةِ لِلَّذِينَ مُوَافِقَةٌ؛ فَمَرَّقْنَاكُمْ كُلَّ مَرَّقٍ، ثُمَّ رَفَعْنَا عَنْكُمْ حُكْمَ السِّيفِ الْبِئَارِ؛ وَتَقَدَّمْنَا إِلَى جِيوشِنَا لِأَلَّا يَسْعُوا فِي الْأَرْضِ كَمَا سَعَيْتُمْ، وَأَنْ يَنْتَشِرُوا مِنْ الْعَفْوِ وَالْعَفَافِ مَا طَوَيْتُمْ،... فَارْجِعِ الْآنَ فِي إِصْلَاحِ الرِّعَايَا، وَاجْتَهِدْ نَحْنُ وَإِيَّاكُمْ عَلَى الْعَدْلِ فِي سَائِرِ الْقَضَايَا فَقَدْ أَنْصَرَّتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ حَالُ الْبِلَادِ وَسَكَانِهَا، وَمَنْعَهَا الْخَوْفَ مِنَ الْقَرَارِ فِي أَوْطَانِهَا؛

(1) السلوك، 966/1.

(2) صبح الأعشى، 91/14.

(3) هو محمود غازان بن القان أرغون بن أبغا بن هولكو، تولى عرش المغول عقب مقتل "بايدو" في ذي الحجة سنة(694هـ)، وبعد أن اعتنق الإسلام تبعه جميع الأمراء والجنود المغول، وأسلم بإسلامه أكثر من مائة ألف شخص منهم في حدة وجيزة، ولقب نفسه باسم السلطان «محمود غازان»، وأعلن الإسلام دينًا رسميًا للدولة، الدرر الكامنة، 248/4.

(4) مَردِين، بكسر الراء والدال، قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة، وتشرف على دار وهي من أحسن القلاع وأعظمها. معجم البلدان، 39/5.

وتعزّ سقرّ التجار،...وأنت تعلم أيها الملك الجليل، أنني وأنت مطالبون بالحقير والجيل؛...وإنّ مصيرنا إلى الله؛ وأنا معتقون الإسلام قولاً وعملاً ونيةً، عاملون بفروضه في كلّ وصية... فإذا عاد من الملكّ الجواب فليسيّر لنا هدية الديار المصرية، لنعلم بإرسالها أن قد حصل منكم في إجابتنا للصلح صدق النية؛ ونهدي إليكم من بلادنا ما يليق أن نهديه إليكم، والسلام الطيب منا عليكم. إن شاء الله تعالى»<sup>(1)</sup>

وتعد هذه الرسالة من الرسائل التي كانت بين الملوك، بعد دخولهم في الإسلام<sup>(2)</sup>، ولقد رد الملك الناصر على رسالة الملك محمود غازان برسالة، تبين من خلال دراستها أنها مليئة بالوعيد، مع شكه في رغبة الملك محمود غازان بالصلح، وقد ذكره ما قام به الجنود المصريون من إذلال لآبائه وأجداده، وأدى استعداده للصلح إذا صدقت النية ولا فالحرب سجال، ويسوخ عدم انتصار جيشه في ماردین أن جنوده علموا بدين جنود غازان فلم يقاتلوا لأنه لا يحل لمسلم سفك دم أخيه المسلم. وفي نهاية الرسالة اعتذر عن إرسال هدية، ورأى أن الأولى أن محمود غازان هو البادئ بإرسال الهدية ليعبر عن رغبته الصادقة بالصلح وليس بخلاً منه. ومن تلك الرسالة: "بسم الله الرحمن الرحيم، علمنا ما أثار الملكّ إليه، وعول في قوله وفعله عليه؛ فأما قول الملك: قد جمعنا وإياكم كلمة الإسلام! وإنه لم يطرّق بلادنا ولا قصدّها إلا لما سبق به القضاء المحتوم، فهذا الأمر غير مجهول بل هو عندنا معلوم؛ وإنّ السبب في ذلك غارة بعض جيوشنا على ماردین، وإنهم قتلوا وسبّوا وهتكوا الحريم وفتلوا فعل من لا دين له؛ فالملكّ يعلم أن غارتنا ما برحت في بلادكم، مستمرة من عهد آبائكم وأجدادكم؛ وإنّ من فعل ما فعل من الفساد لم يكن برأينا ولا من أمرائنا ولا الأجناد؛ بل من الأطراف الطامعة ممن لا يؤيّه إليه، ولا يعول في فعل ولا قول عليه؛... فإن كنتم تريدون الصلح والإصلاح، وبواطنكم كظواهركم متتابعة في الصلح؛ وأنت أيها الملك طالب الصلح على التحقيق، وليس في فؤادكم من لا يشوبه تنميق؛ فنقدك سيف البغي، ومن سلّ سيف البغي قُتل به، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله؛ فيرسل إلينا من خواص دولتك رجل يكون منكم ممن إذا قطع بأمر وقتم عنده،... لتتأمّ معه فيما فيه الصلح لذات البين، وإن لم يكن كذلك عاد بخفي حنين. وأما ما طلبه الملك من الهدية من الديار المصرية فليس نجعل عليه،... وأما الواجب أن يُهدى أولاً من استهدى؛ لتقاب

(1) النجوم الزاهرة، 111/8

(2) صبح الأعشى، 65/8



هديته بأضعفها، وتتحقق صدق نيته، وإخلاص سريرته؛ ونفعل ما يكون فيه رضا الله عزّ وجلّ ورضا رسوله في الدنيا والآخرة...<sup>(1)</sup>

ورسالة أخرى من إيلخان أحمد تكدار<sup>(2)</sup> ملك المغول بغارس إلى السلطان الملك المنصور قلاوون سنة 681هـ/مجري، أرسلها إليه ليخبره فيها باعترافه الإسلام هو ومن معه من التتار، وقد بدأها بمقدمة حمد الله عز وجل، وأقر بنبوة محمد، وصلى وسلم عليه أفضل صلاة وأتم تسليم، ولتح في مقدمة الرسالة عن موضوع رسالته وهو الرغبة في الصلح، وطلب من السلطان قلاوون أن يتقفا معاً على ما فيه صلاح المسلمين، وعبر عن عمله الجاد من إصدار أوامره لإطفاء الفتنة حقناً للدماء، وأثنى أحمد تكدار على شيخ الإسلام وقوة المعارفين كمال الدين عبد الرحمن<sup>(3)</sup> فقد ساعد إيلخان وقواه على الصلح، وكان عوناً له في أمور الدين، وكرر رغبته في التمسك بالإسلام حتى تتعمر البلاد والمدائن، وفي نهاية الرسالة يأمل من الله التوفيق والسداد . ومن تلك الرسالة : بسم الله الرحمن الرحيم...أما بعد، فإنّ الله سبحانه وتعالى، بسابق عنايته، ونور هدايته، قد كان أرشدنا في صفوان الصّبا، وربعان الحداة، إلى الإقرار بربوبيّته، والاعتراف بوحديّته، والشهادة لمحمد، عليه أفضل الصلوات والسّلام، بصدق نبوّته، ... ولأُصدر أوامراً ما أمكنا إلا ما يُوجب حقن الدّماء، وتسكين الدّهماء، وتجري به في الأقطار نسائم الأمن والأمان، ويستريح به المسلمون في سائر الأمصار... تعظيماً لأمر الله، وشفقة على خلق الله، فألهنا الله تعالى إطفاء تلك النائرة، وتسكين الفتنة النائرة...وقوى عزمنا على ما رأيناه من دواعي الصّلاح، وتقني ما ظهر لنا به وجه النجاح، أنكار شيخ الإسلام قوة العارفين كمال الدين عبد الرحمن، الذي هو نعم العون لنا في أمور الدين، فأصدرناه رحمة من الله تعالى لمن دعاه، ونقمة على من أعرض عنه وعصاه... وقابلناه بالصّفح وقنا عفا الله عما سلف، وتقدّمنا بإصلاح أمور أوقاف المسلمين من المساجد والمشاهد والمدارس،...وأمرنا بتعظيم أمر الحج وتجهيز وقفه، وتأمين سبيله وتسيير قوافله، وأنا أطلقنا سبيل التّجار المتردّدين إلى تلك البلاد ليسافروا بحسب اختيارهم على أحسن قواعدهم، وحرّمنا على المساك... التّعريض لهم في مصادرهم ومواردهم...فإن وفقّ الله سلطان مصر إلى ما فيه صلاح

(1) النجوم الزاهرة، 8/113

(2) أحمد بن هولوكو قان بن تولى قان بن جكيز قان، أحد ملوك التتار، توفي سنة 683 النجوم الزاهرة، 7/362

(3) كمال الدين عبد الرحمن بن عبد المحسن بن صرعام الكاني المصري خطيب جامع القسبية. مات في شهر ربيع الآخر سنة عشرين وسبعمائة، وله ثلاث وتسعون سنة، حسن المحاضرة، 1/391

العالم، وانتظام أمور بني آدم، فقد وجب عليه التمسك بالعمرة الوثقى، وسلوك الطريقة المثلى، بفتح أبواب الطاعة والاتحاد، وبذل الإخلاص بحيث تتعمر تلك الممالك وتلك البلاد، وتسكن الفتنة النائرة... والله تعالى الموفق للرشاد والستاد، وهو المهيم على البلاد والعباد، وحسبنا الله وحده<sup>(1)</sup> ولقد رد السلطان المنصور قلاوون على رسالة إيلخان أحمد تكدار، فيعد البسلة، وحمد الله عز وجل، والصلاة على رسوله الكريم، أظهر الملك قلاوون سعادته بدخول إيلخان في الإسلام، ودعا الله أن يثبتته على ذلك، كما أثى عليه ومدحه لإطفائه نار الفتنة معتبراً ذلك الرأي الثاقب، وأثى على شيخ الإسلام كمال الدين ومدحه وعده من الصالحين، وبئيه قلاوون على أن الأعمال التي يقوم بها من إصلاح للبلاد والعباد هي واجب من واجبات الملك الذي يريد لملكه الدوام، ولقد كان إيلخان قد مد يد الصلح والصلح لما فيه من خير للمسلمين، وقد كان المنصور قلاوون من السابقين لمد يد الصلح معتبراً أن الصلح سيد الأحكام، وقد وضع بعض الشروط لذلك: منها عدم اعتداء أي منهما على أرض الآخر وتعيين مكان للقاء. ومن الرسالة: "... ولما فُتح هذا الكتاب بهذا الخبر المُعتم، والحديث الذي صُحح عند أهل الإسلام إسلامه، وأصبح الحديث ما روي عن مسلم، توجّهت الوجوه بالدعاء إلى الله سبحانه في أن يثبتته على ذلك بالقول الثابت، وأن يثبت حبّ هذا الدين في قلبه كما أنبت أحسن النبت من أحسن المنابت... فالحمد لله على أن شرح صدره للإسلام، وأهمه شريف هذا الإلهام... أما حكاية النائم إذا كان قصده الإصلاح ورأيه الإصلاح وأنه أطفأ تلك النائرة، وسكن تلك النائرة؛ فهذا فعل الملك المنقّي، المشفق من قومه على من بقى؛... والرجاء ببركته وبركة الصالحين أن تصبح كل دار للإسلام دار إقامة، حتى تتم شرائط الإيمان، ويعود شمل الإسلام مجتمعاً كأحسن ما كان؛... ومن العدل والإحسان، بالقلب واللسان، ولتقدّم بإصلاح الأوقاف والمساجد، فهذه صفات من يريد لملكه الدوام؛ على أنها وإن كانت من الأفعال الحسنة، والمشويات التي تستتطق بالدعاء الألسنة؛ فهي واجبات تؤدّي،... وأما الإشارة إلى أن باتفاق الكلمة يكون صلاح العالم، وانتظام شمل بني آدم؛ فلا راد لمن فتح أبواب الاتحاد، و جفح إلى لسلّم فما جار ولا حد،...، والصلح وإن كان سيد الأحكام فلا بدّ من أمور يُبنى عليها قواعده، ويعلم من مدلولها فوائد... إنه قد أعطاه الله من العطاء ما أخّاه به عن امتداد الطُرف إلى ما في يد غيره من أرض

(1) السلوك، 977/1

ومال، فإن حصلت الرغبة في الاتفاق على ذلك فالأمن حاصل... فُتُعِين مكاناً يكون فيه اللقاء، ويُعْطِي اللهُ النصر لمن يشاء"<sup>(1)</sup>

ورسالة أمان أرسلها المنصور قلاوون للتجار الذين يصلون إلى مصر. من الصين والهند والسند واليمن والعراق وبلاد الروم. كتبها فتح الدين بن عبد الظاهر. وتُعرَف رسالة الأمان بأنها:

"ما يُكتب عن الملوك لكل من خاف سطرتهم، لا سيما من خرج عن الطاعة، وخيف استتراء الفساد باستمرار خروجه عن الطاعة"<sup>(2)</sup> وقد بدأ رسالته هذه بدعوة التجار من أي بلد كانوا لدخول مصر، وأعطاهم الأمان لدخولها، ثم وصفها بأروع الأوصاف، وقد كانت ألفاظه وعباراته التي استخدمها لا تثل إلا على إعطاء الأمان لهم والأطمئنان على المال والنفس. ثم حث في رسالته على جلب الممالك والحواري وتَوَعَد بِسُرْآتِهِم ودَفَع على ما يريد التاجر رغبة منه كما صرَّح بتكثير جيش الإسلام. ومن الرسالة: "أعلى الله الأمر العالي لا زال عدله يحل الرعايا من الأمن في حصن حصين، ويستخلص الدعاة لدولته الزاهرة من أهل المشارق والمغرب فلا أحد إلا وهو من المخلصين، ويهيئ برحابها للمُتَّقِينَ جنة عدن من أي أبوابها شاء الناس دخولاً: من العراق، من العجم، من الروم، من الحجاز، من الهند، من الصين - أنه من أراد من الصِّدُور الأجلء الأكارب التِّجَار وأرباب التَّكْسِب، وأهل التَّسْبِب، من أهل هذه الأقاليم التي عُدَّت والتي لم تعد، ومن يؤثِّر الورود إلى ممالكنا إن أقام أو ترد... فليعزم عزم من قدر الله له في ذلك الخير والخيرة،... إذ أصبحت دار إسلام بجود تسبق سيوفهم العَلَّ؛ وقد عمر العدل أوطانها، وكثر سكَّانها، واتسعت أبنيتها إلى أن صارت ذات المدائن... فمن وقف على مرسومنا هذا من التِّجَار المقيمين باليمن والهند، والصِّين والسِّند، وغيرهم، فليأخذ الأمانة في الارتحال إليها، والقوم عليها، ليجد الفَعَال من العقال أكبر، ويرى إحساناً يقابل في الوفاء بهذه العهود بالأكثر، ويحلَّ منها في بلدة طيبة ورب غفور، وفي نعمة جزاؤها الشُّكر - وهل يُجازى إلا الشُّكور - وفي سلامة في النَّفْس والمال، وسعادة تُجَلِّي الأحوال وتُحَوِّل الآمال... ومن أحضر معه ممالك وحواري فله في قيمتهم ما يزيد على ما يريد،... فليستكثِر من يقر على جلبهم، ويعلم أن تكثير جيوش الإسلام هو الحات على طلبهم؛ لأن الإسلام بهم اليوم في

(1) السلوك، 981/1

(2) صبح الأعشى، 13/328

عزّ لواءه المنشور، وسلطانه المنصور، ومن أخصر منهم فقد أخرج من الظلمات إلى النور، ونزّ بالكفر أسسه وحد بالإيمان يومه، وقاتل عن الإسلام عشيرته وقومه".<sup>(1)</sup>

ورسالة أخرى وهي هدنة عقدت بين السلطان الظاهر بيبرس ومملكة بيروت، وقد كتبها محيي الدين عبد الظاهر. وتُعرف الهدنة بأنها: " صلح يقع بين زعيمين في زمن معلوم بشروط مخصوصة"<sup>(2)</sup> وتكون بين ملكين؛ وأكثر ما تكون بين الملوك أصحاب الحكم والنفوذ؛ وتكون إلى أجل معلوم يهادن بها أحدهما الآخر على نفسه، وعساكره، وبلاده، ورعاياه، وما يدخل في دائرته"<sup>(3)</sup>.

إن انتصارات المماليك قد حطمت معنويات أعدائهم بشكل كبير مما دفع الملوك للمصارعة لعقد هدنة معهم، ومن ذلك هذه الهدنة التي وقعت سنة 667 هـ، وتم تحديد مدتها بأنها عشر سنين، حدد تاريخ بداية الهدنة، وقد تم تحديد المدن التي ستمثلها الهدنة. وبهذه الهدنة ظهرت قوة سلطان الظاهر بيبرس وجيشه، ومن تلك الهدنة: " استقرت الهدنة المباركة بين السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس وبين الملكة الجيلة المصونة الفاخرة، فلانة ابنة فلان، مالكة بيروت وجميع جبالها وبلادها النخعية مدة عشر سنين متوالية، أوّلها يوم الخميس سادس رمضان سنة سبع وستين وستمائة الموافق لتاسع أيار سنة ألف وخمسمائة وثمانين يونانية - على بيروت... وأماكنها المضافة إليها: من حدّ جبيل ، ... وجميع ما في هذه الأماكن من الرعايا والتّجار، ومن سائر أصناف الناس أجمعين، والصادرين منها والواردين إليها من جميع أجناس النّاس، والمتريدين إلى بلاد السلطان فلان، وهي: المملكة الأنطاكية وقلاعها وبلادها، وجبّلة والأناقبة وقلاعها وبلادها، وحمص المحروسة وقلاعها وبلادها، وما هو مختصّ بها، ومملكة حصن عكا وما هو منسوب إليه، والمملكة الحموية وقلاعها وبلادها وما هو مختصّ بها... وما سيفتحه الله تعالى على يده ويد نوابه وخطمانه يكون داخلاً في هذه الهدنة المباركة، ... وكذلك رعيّة الملكة فلانة وخطمانها يكونون آمنين على أنفسهم وأموالهم وبضائعهم من السّطان ومن جميع نوابه وخطمانه ومن هو تحت حكمه وطاعته: برّاً وبحراً، ليلاً ونهاراً، وجميع بلاد السلطان، ..."<sup>(4)</sup>

(1) صبح الأعشى، 340/13

(2) التعرف بالمصطلح الشريف، ابن فضل الله العمري، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية،

ط1، بيروت، لبنان، 1988م، 211

(3) صبح الأعشى، 5/14

(4) صبح الأعشى، 40/14

## ثانياً: العهود والمبايعات.

لقد كثرت العهود والمبايعات في العصر المملوكي، تبعاً لحاجة الدولة لها. ويُعرف العهد بأنه: "رسالة من خليفة أو سلطان إلى من اختاره لولاية منصبه من بعده"<sup>(1)</sup> ابناً كان أو غير ابن لولاية العهد"<sup>(2)</sup>.

وتُعرف المبايعة بأنها: "رسالة ديوانية تكتب للخليفة أو الملك عند قيامه أول مرة بأعباء منصبه إقراراً له ورصاً عنه"<sup>(3)</sup> وكُتب العهود كانت تتضمن العهد بالإمارة أو القيادة أو القضاة. وكلها تشير إلى مهام الأمور التي سيقومون بها والأمال المتعلقة عليهم لما فيه من خير البلاد والعباد<sup>(4)</sup>. والعهد هو نمط من أنماط الرسائل السياسية، وغالباً ما يبدأ بخطبة تتضمن حمد الله عز وجل، والثناء عليه وشكوه، والصلاة على رسوله الكريم، وإظهاراً لعظمة السلطة، ومدح وتمجيد وذكر مناقب وصفات الملك المعهود إليه بالخلقة، تلك الصفات التي أهلته وساعدته على أخذ هذه المكانة وهذا المنصب، ثم يسرد العهد مع توصيته بعدة وصايا منها تقوى الله والعمل بشرعه الإسلامي وإنصاف الرعية.

ومن تلك العهود عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون، عن الحاكم بأمر الله أحمد بن أبي الربيع سليمان<sup>(5)</sup>، وقد كتبه القاضي شمس الدين إبراهيم بن القيسراني.

وقد افتتح العهد بخطبة حمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله الكريم، وذكر العاهد والمعهود إليه، مع نعت الأخير بصفات جليلة، ثم أبرز صفات وأسياباً جعلت محمد قلاوون أولى الناس بالخلقة من غيره، ويستمر في ذكر الصفات والمناقب التي ساعدت على حصوله على هذا المنصب، ثم ينتقل لذكر نص العهد، يستشف من نص العهد منه قوة حكم المماليك، حيث عُهدت وفُوضت إليه الخلافة

(1) الأدب العربي وتاريخه: سليم، 30

(2) عصر سلاطين المماليك، 125/5

(3) السابق، 126/5

(4) بلاغة الكتاب في العصر العباسي، 98

(5) هو أحمد بن علي بن الحسن الهاشمي أبو الربيع بن الحاكم بأمر الله العباسي ولد سنة (683هـ) وتوفي سنة (740هـ). البداية والنهاية، 219/14 وأيضاً الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية: محمّاس بن عبد الله بن محمد الطجود، ط 1، 1987 م، 687/2

براً وبحراً وشاماً ومصرًا وقرناً وبعثاً، وما سيفتحه الله عليه من البلاد، ومن نص العهد تعرّف السلطان محمد قلاوون الأماكن التي سيقع حكمه عليها، والأعمال المنوطة به من تقليد الملوك والوزراء وتجهيز عساكر، ومحاربة أو مهادنة أعداء، ثم دعاء له بتأييد ونصر وإعانة من الله، وفي نهاية النص قد أوصى الحاكم بأمر الله السلطان محمد قلاوون بحدّة وصايا تكون له معينة في حكمه، ثم ختم العهد بحمد الله والصلاة على رسوله الكريم.

ومن نص العهد: "من عبد الله وولّيه الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد أمير المؤمنين، إلى السلطان الأجلّ، العالم، العادل،...أبي الفتح محمد قسيم أمير المؤمنين أعز الله سلطانه، ولد السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدين قلاوون، قدّس الله روحه... الحمد لله الذي اجتبى سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم من أشرف بيت وقبيلة، ومنح الأئمة برسالته من خيرى الدنيا والآخرة الوسيلة،... وكنت أيها السيد،... أولى الأولياء بالملك الشريف... مع حاجة المسلمين لتعمير الأوطان،...؛وأعلنت السنة الأقدار بأنه لم يبق عن تقليد الممالك الإسلامية بحمد الله تعالى عذر؛ فاخترت على علم العالمين،...وعهد إليك في كلّ ما اشتملت عليه دعوة إمامته المعظمة،... وفوّض إليك سلطنة الممالك الإسلامية برّاً وبحراً، شاماً ومصرًا؛ قريباً وبعثاً، غوراً ونجداً؛ وما سيفتحه الله عليك من البلاد،... ويشراك! أنّ الله أبرم سبب تأييدك إبراماً لا تصل الأيدي إلى نقضه، وأنت سنّكت عن أمر طالما أتعب غيرك سؤاله في بعضه؛ وأن الله يُحسن لك العون وبك الصّون، فقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «يا عبد الرحمن بن سمرة! لا تسأل الإمارة فإنّك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعطت عليها»...والوصايا كثيرة وأولاها تقوى الله...وأما العمل فإنّه للبلاد عصارة، وللمساعدة أمانة، وللآخرة منجاة من اللّغس الأمانة؛ فليكن له شِعاراً وثنائاً، والحدود الشريفة فليحلّ بإقامتها لسانه، ولا يتعدّها بنقص ولا زيادة ومن يتعدّ حُدود الله فقد ظلم نفسه... الحمد لله وحده؛ وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلامه، حسينا الله ونعم الوكيل"<sup>(1)</sup>

وهذا عهد آخر من المنصور قلاوون لابنه الملك الأشرف صلاح الدين خليل<sup>(2)</sup>، وقد كتبه محيي الدين عبد الظاهر. ولقد بدأ العهد بمقدمة حمد الله عز وجل على سلطانه الثابت الأركان، ثم بدأ

(1) صبح الأعيى، 59/10

(2) السلطان الأشرف صلاح الدين خليل - ابن المنصور قلاوون - وكانت ولايته من سنة 689-693هجرى... البداية والنهاية، 385/13



بعرض صفات ومناقب ابنه الأثرف صلاح الدين، ثم أورد نص العهد، وأدخل السلاطين والأمرء والوهاب ومقدي الجيوش والرعية والعساكر في هذا النص الميمون بضرورة العمل ولاصباح له، واختتم العهد بعبارة وصايا منها تقوى الله، والعدل، ومضاعفة الخير، والاهتمام بأمراء الجيوش، والدعوة للجهاد، وقاتل الأعداء، والاهتمام بموسم الحج، ومن ذلك العهد: "الحمد لله الذي لم يزل له السمع والطاعة فيما أمر... نحمده على أن جعل سلطاننا ثابت الأركان،... ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تزيد قائلها توفيقاً وتجزل له تعويضاً،... ونشهد أن محمداً عبده ورسوله... فأطلقنا في أفق السلطنة كوكباً سعيداً كان لحسن الاستخلاف معداً، ومن لقبيل المسلمين خير ثواباً وخير مرداً، ومن يبشّر الله به من الأولياء المتقين وينذر من الأعداء قوماً لئلاً، ولم يبق إلا به أنسنا بعد ذهاب الذين تحسبهم (كالسيف فردا) والذي ما أمضى حده ضريبة إلا (قد البيض والأبدان قدأ) وهو الذي بقواعد السلطنة أدرى بقوانينها الأعرف، وعلى الرعايا الأطف وبالرعايا الأرف،... وهو الذي ما برح النصر يتسم من مهاب تأميلة الفلاح، ويتبسم ثغره فتنوتم الثغور من ميسمه اللجاج،... وآتاهم من نفاسة كرمه وحراسة سيفه وقامه تأمناً وتأملاً، فسمته الأبوّة الشريفة ولداً وسماه الله «خليلاً»،... اقتضى حسن المناسبة لتصالح الجمهور، والمراقبة لمصالح الأمور،... والمعاربة من فوائح كل أمر ميسور، أن نفوض إليه ولاية العهد الشريف بالسلطنة الشريفة المعظمة، المكرمة المفخمة المنظمة، وأن ييسط يده لمصافحتها بالعهد، وتحكمها في العساكر والجنود، وفي البحور والثغور وفي النهام والتجود، ١٠٠ لا وكل داخل في قبول هذا العقد الميمون... وأما الوصايا... فعليك بتقوى الله عز وجل فإنها ملاك سداك، وهلاك أصدائك،... والعدل فهو مشر غروس الأموال،...؛ وكثر لمن حوك التعمين والتعميل، وأمرء الجيوش فهم السور الواقية بين كل سور،... وهم ذخائر الملوك، وجواهر الستوك،...؛ فكن لجنودهم متحياً،..."<sup>(1)</sup>

وعهد آخر وهو عهد الملك المنصور "حسام الدين لاجين" عن الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد بن أبي الربيع سليمان، وقد كتبه شهاب الدين محمود الحلبي وكالعادة بدأ العهد بخطبة وضع فيها العاهد والمعهود إليه، وحمد الله عز وجل، وصلى على رسوله الكريم، ثم أورد العهد الذي عهد فيه للملك لاجين بالأمانة وبمصالح الناس وإعلاء كلمة الشرع وإقامته وعهد إليه بمصالح الحرمين وثالثهما، والاهتمام بالحجيج وغيرها من مصالح الإسلام والمسلمين، كما لم ينس الوصايا فمدحه وأثني عليه وأوصاه بالهدى والتقى و الاستناد للسند الأقوم والسبب الأقوى ومن ذلك العهد: " هذا عهد

(1) النجوم الزاهرة، 7/341



شريف تشهد به الأملاك لأشرف الملوك، وتسلط فيه من قواعد العهود المقتسة أحسن السلوك؛ من عبد الله ووليّه الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين، للسلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين؛ أبي الفتح لأجين المنصوري، أعز الله سلطانه.

أما بعد، فالحمد لله مؤتي الملك من يشاء من عياده، ومُعطي النصر من يجاهد فيه حق جهاد؛... ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،... وأن محمدا عبده ورسوله... ويسأله أن يصلي عليه ويسلم تسليمًا كثيرًا... وإن أمير المؤمنين لما اختصه الله به من البر المودع في قلبه، والنور الذي أصبح فيه على بيته من ربه؛... لم يزل يرضب إليه الله سبحانه ويستخيره في إقامة من ينهض في ملك الإسلام حقّ التّهوض، ويقوّض إليه الأمانة إلى من يرى أداء الأمانة فيهم من الفروض؛... وفي إعلاء منار الشّرع الشريف والانقياد إليه، والمسارعة إلى نفوذ حكمه فيما له وعليه،... وتفويض الحكم إلى كلّ من يتعين لذلك من أئمة الأئمة، وإقامة الشّرع الشريف على قواعده الأربعة، فإن اتفاق العلماء حجة واختلافهم رحمة؛ وفي مصالح الحرمين الشريفين وثالثهما الذي تشد الرحال أيضا إليه، وفي إقامة سبل الحجيج الذين دعاهم الله فقبوه واستدعاهم فقدموا عليه؛ وفوض إليه كلّ ما هو من لوازم خلافته الله في أرضه: ما ذكر وما لم يُذكر، تفويضًا لازمًا، وتقليدًا جازمًا، وعقدًا محكمًا، وعهدًا في مصالح الإسلام والمسلمين مُحكمًا، وأتقى عن الرصايا بما جبل عليه خلقه الشريف من التقوى، وهدي نفسه النفيسة إليه من التمسك بالسند الأقوم والسبب الأقوى؛ فسا يُتبه على حسنة إلا وهو أسبق إليها، ولا يدلّ على خلة إلا وفكره الشريف أسرع من فكر الدالّ عليها؛ (1) "...

ونسخة عهد أخري للسلطان الملك المنصور قلاوون عن الخليفة الإمام أبي العباس أحمد الحاكم بأمر الله. وقد كتب هذا العهد القاضي محبي الدين بن عبد الظاهر.

وقد بدأ العهد بخطبة حمد الله عز وجل، وشهد له بالوحدانية، وصلى على رسوله الكريم، ثم بدأ بمدح المنصور، ثم أورد العهد وفرضه بكلّ الامور كالمداين والخزائن، وكلّ عطاء وهبة وكلّ عزل وتولية وكلّ اتفاق وكلّ ولاية. وكالعادة قدم للمعهود عدة نصائح تكون له ذخراً وذكرًا، ومعينة له في حكمه، فنصحته بالعدل، والاهتمام بالربعية، وعدم تفصيل أحد، وأخذ الحق ووضعها في أهله، والجهاد والقتال ضد أعداء الدين و... من ذلك العهد: "الحمد لله الذي جعل آية السيف ناسخة لكثير من الآيات، وفاسخة لعقود أولي الشكّ والشبهات، الذي رفع بعض الخلق على بعض درجات،... وتشهد

(1) صبح الأعشى، 53/10

أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يتلذذ بذكرها اللسان، وتتعطر بنفحاتها الألفواه... ونصلي على سيدنا محمد الذي أكرمنا الله به صلى الله عليه وعلى آله... وبعد الحمد الله على أن أحمده عواقب الأمور، وأظهر للإسلام سلطاناً اشتدت به للأمة الظهور وشفيت الصدور،... وخرج أمر مولانا أمير المؤمنين - شرفه الله - أن يكون للمعز العالي، السلطاني، الملكي،... كل ما فوضه الله لمولانا أمير المؤمنين من حكم في الوجود، وفي التهائم والتجمود، وفي المدائن والخزائن، وفي الظواهر والبواطن، وفيما فتحه الله وفيما سيقطعه،... وفي كل جود ومن...، وفي كل تفرد بالنظر في أمور المسلمين بغير شريك، وفي كل تعاهد ونبد، وفي كل عطاء وأخذ، وفي كل عزل وتولية... ولاية عامة تامة منظمة، لا يتممها نسخ من خلفها ولا من بين يديها، ولا يعتربها فسخ بطراً عليها،... فالواجب أن يعمل جزئيات أمره وكلياته. وأن لا يخرج أحد عن مقدماته. والعمل، فهو الغرس المثمر، والسحاب الممطر، والروض المزهو... وزمام كل صلاح يجب أن يشغل به جميع أوقاته، هو تقوى الله، قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ ذلك نصب العين، وشغل القلب والشفتين، وأعداء الدين من أرمن وفرنج وتتر، فأذقهم وبال أمرهم في كل إيراد للغزو وإصدار...، واعلم أن الله نصيرك على ظلمهم وما للظالمين من أنصار. وأما غيرهم من مجاورهم من المسلمين فأحسن باستقائك منهم العلاج، وطبهم باستصلاحك فيأطبب الملكي والمنصوري ينصلح المزاج؛ والله الموفق بمتنه وكرمه<sup>(1)</sup>

ثالثاً: التقاليد.

والتقاليد هو "أمر تعيين يصدر إلى أحد موظفي الدولة الكبار يُسند إليه وظيفة ما، مثل رئيس ديوان الإنشاء أو قاضي القضاة، وفيه تُضفى عليه أتراب النشاء وبين سبب اختياره، ويوضح له اختصاصه ويوصيه بالعمل، وقد يُقرأ التقليد في مسجد أو بين جمهور على حسب أهميته"<sup>(2)</sup>.

ويُعرف أيضاً بأنه: "أمر تعيين يصدر إلى كبار موظفي الدولة، أو تسجيل لهذا الأمر، وإيحائاً به، يُكتب على لسان السلطان بقلم صاحب ديوان الإنشاء، أو أحد منسفي الديوان المتميزين"<sup>(3)</sup>.

(1) النجوم الأزهرة، 338/7

(2) الأدب العربي وتاريخه: سليم، 30

(3) عصر سلاطين المماليك، 132/5.

ولقد عدد الدكتور محمود رزق سليم الوظائف التي من أجلها تكتب التقاليد: ومنها صاحب ديوان الإنشاء، قاضي القضاة، والوزراء، ونواب السلطنة، كُتّاب السر وغيرها من الوظائف. والتقاليد تشبه في هذا الزمن المراسيم والأوامر التي يصدرها رئيس الدولة لتعيين كبار الموظفين كالوزراء والسفراء وشيوخ الأزهر ومديري الجامعات ومفتي الديار وأكابر النواب<sup>(1)</sup>.

فالتقليد نوع من أنواع الرسائل السياسية وغالباً ما يُبدأ هذا التقليد بخطبة يُحمد الله عز وجل على إحسانه وكرمه، ويُصلى على رسوله الكريم، ثم يبدأ بمدح المُقلد وذكر صفاته ومحاسنه من خلال اختيار ألفاظ التعظيم والإجلال، ثم يعرض التقليد والعمل الموكل إليه، وفي بعض التقاليد يتم ذكر سبب اختيار هذا الشخص لتقليد هذا المنصب والموهلات والأسباب التي دفعت لاختياره، ثم يوصيه شيئاً مما يكون له معنياً في هذه الوظيفة، ويختتم التقليد بدعاء له وأمل بالإصلاح والإحسان.

ولقد لوحظ أن التقليد والعهد رسائل سياسية بينهما تشابه كثير وتوافق كبير، غير أن الاختلاف أن العهد هو رسالة من السلطان أو الخليفة لولاية الخلافة أو السلطنة أو الحكم، أما التقليد فهو أمر تعيين إلى أحد موظفي الدولة لتسلم منصب أو وظيفة معينة.

وستورد الباحثة مجموعة من التقاليد ومنها:

تقليد كتبه ابن حجة الحموي لتقليد الإمام محمد الرازي الشافعي<sup>(2)</sup> ووظيفة النظر في دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية المحروسة، حيث بدأ التقليد بخطبة حمد الله، فيها عز وجل، وصلى على نبيه محمد أفضل الصلاة وأتم التسليم، ثم اتبع الخطبة بمدح الإمام محمد الرازي الشافعي، ثم أورد التقليد الذي فوضه فيه وظيفته النظر في دواوين الإنشاء بالممالك الإسلامية، ثم مدحه مرة أخرى، ثم أورد سبب اختياره لهذا المنصب، كما لم ينس الوصايا فأوصاه، وختتم التقليد بدعاء له بالتوفيق والصلاح. ومن نص التقليد: "بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أزال بالشمس المحمدية عنا كل ظلمة... نحمده على أن أطلع في أفق ملكنا الشريف شمساً في سعد سعودها زاهرة،... ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. شهادة تشرق بنور بهجتها طلعة الشمس، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي تعبدت أسنن الأقاليم بالصلاة عليه، صلى الله عليه وعلى آله

(1) عصر سلاطين المماليك، 5/ 132 وأيضاً: التعريف بالمصطلح الشريف، 119.

(2) هو محمد بن محمد الرازي الشافعي - توفي سنة 766. بدمشق عن عمر ناهز سبعين عاماً. وكان بحراً في جميع العلوم لا سيما في العلوم العقلية، الدرر الكامنة، 6/99

وأصحابه...فما شك عالم أن الإمام الرازي أفضل من النافضل، جهلوا قدره في غير أيامنا الأشرافية وكان الزمان نعم العجائزى ...، وقد أصبح أفق ديواننا الشريف مُقَمراً ومُشمساً...ولما كان الجنب الكريم العالي محمد الرازي الشافعي \_ضاصف الله نعمته\_ هو رأس العلماء الذي هام إليه تاج مصر من سبعة وجوه، ... ولو أدركه الخوارزمي رجح عن ترسله واهتدي بأتواره الشمسية، ...فذلك رسم بالأمر الشريف العالي السلطاني الملكي الأشرفي لازلت شمسوس دولته الأشرافية في غاية الشرف ...، أن نفوض للجنب الكريم المشار إليه وظيفة النظر في دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية المحروسة... فلينظر في ذلك فإنه أمس الناس قديماً وحديثاً بتدبير الدول، وفي حسن تدبيره بحمد الله ما يجمع لنا بين العلم والعمل ويقابل جمل هذه النعمة بتفاصيل شكره المتزايد...وقد أجمع الناس على أن الرازي هو شيخ الإسلام الذي أتى بتحصيل الحق...، وشاهد شمسنا التي أتت من المشرق (فبُهِت الذي كفر) وقال آمنت بمحمد ورسائله وصحابته...والوصايا كثيرة ولكن "لا يهدى التمر إلى هجر" ولا يهدى النور إلى الشمس ولا إلى القمر...والله تعالى يزيد هذه الشمس في أفق ملكنا الشريف شرفاً ويشيد بها رُبح هذه الوظيفة فإنه كان قد عفا، ويحسن ختامنا بكفاءة هذا الإمام، وما نحن قد قلنا حسينا الله وكفى<sup>(1)</sup>.

وتقليد آخر كتبه فخر الدين بن لقمان، حيث كان هذا التقليد من السلطان الظاهر بيبرس لولده السعيد<sup>(2)</sup>، حيث عرض السلطان بيبرس على الأمراء أمر تفويض ولده الملك السعيد لولاية السلطنة، فأجابوه بالسمع والطاعة، وقد بدأ الكاتب التقليد بخطبة حمد الله عز وجل على نعمائه وعطاياه وشهد بوحدايته، وصلى على رسوله الكريم، ثم بعد تلك الخطبة تحدث عن سبب اختيار السعيد لولاية السلطنة، مع مدحه وذكر محاسنه، واتبع ذلك بالتقليد والأعمال التي سيقوم بها، و دعا له بالنصر والتمكين والتوفيق، ولقد أعطى هذا التقليد أهمية كبرى حيث تم تعميمه على الشعب لضرورة الامتثال له ولأوامره وطاعته والنهوض على خدمته وقد ثرى بالإيوان بحضور الأمراء وأعيان الدولة . ومن ذلك التقليد: "الحمد لله الذي أجزل العطاء والمواهب، ... وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يبلغ بها يوم الإثهاد قاصية الغنى، وتجعل كل صعب هيناً. وأشهد أن محمداً عبده الذي صدح بالحق معنأ، صلى الله عليه وعلى آله الذين شيّدوا من المعالي البنا، وأصحابه الذين أحسنوا والله يجب من كان محسناً.

(1) قهوة الإثشاء، 418.

(2) الملك السعيد ناصر الدين مُحمّد بركة قان، ولد في صفر سنة ثمان وخمسين وستائة، السلوك، 107/2.

ويعد: فإنما لما... شد الله أزرنا بولندا الملك السعيد الأجل الكبير العالم العادل ناصر الدين بركه خاقان، أمتع الله الإسلام ببقائه، ... رأينا أن نفوض إليه حكم كل ما أمضى الله فيه حكماً من البلاد، ... وقلدناه أمر الديار المصرية والبلاد الشامية والقلاع والحصون، ... وأطلقنا تصرفه وحكمه في الخزائن والأموال، وتعيين الإقطاعات في الغيبة منا والحضور. وأمرنا أن لا يُرد أمره في جميع ما يقتضيه رأيه الشريف من الأمور. فبيديه الحل والعقد، والى أبوابه ينتهي القصد. فقد أضى بحمد الله حلية للمجد، والأيام تزهو به كما تزهو الدرر بواسطة العقد، وإليه في الأمور اللقبض والإبرام. وعليه المعتمد في فصل الأحكام. وإليه ترجع الولاية والعزل، وهو الفرع الذي زكا، ولا يركو الفرع إلا إذا كان طيب الأصل. ... والى الله نرغب أن يؤفقه لمراضيه، ويثبته رشده فيما يستقبل من أمور، ويؤيده بالنصر الذي ثرى أحاديثه وثقلى، ... ونسأل كل واقف على هذا التقليد أو من يسمع به من الأمراء والنواب والعساكر المنصورة - أيدهم الله تعالى - امتثال أمره، والقيام بما يجب عليه من طاعته في سره وجهره، والنهوض في خدمة ركابه، والاجتهاد في تسهيل ما يصعب من طلابه، ...<sup>(1)</sup>.

وهذا تقليد آخر كتب للفاضل شهاب الدين بن فضل الله وهو لتقليده بكتابة السر، حيث بدأ بخطبة حمد الله عز وجل فيها وشهد له بالوحدانية، وصلى على رسوله الكريم، ثم أورد بعد الخطبة حاجة الدولة لكتاب السر، وبدأ الكاتب يمدح شهاب الدين، ثم أورد سبب اختياره لهذه الوظيفة من سعة العلم، وقدرة وقوة النظر ثم أورد التقليد، وعزفه بالأعمال التي أوكلت إليه، ولم ينس الكاتب الرصايا فأوصاه بالنقوى فهو النخيرة النافعة ودعا له بالقوة والنور. ومن نص التقليد: "الحمد لله على عناية حفظت ملكنا الشريف ... نحمده حمداً يهيبُ مع الأنفاس في هباتها، ... ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تملأ الصحف بحسناتها... ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أدى الرسالة بما تحتمله من أماناتها، ... صلى الله عليه وعلى آله ... وسلم تسليمًا كثيرًا.

ويعد، فإن الملك عمود بناؤه يسرته، وارتقاهه بالتأسيس لمستقره، ... يكاتب ... يقاتل في الحرب ويستلم ببقائه رأيه ونقائ سحره، ... إذا جادل فيالحجة البالغة، وإذا جاب أطل الأمور الأرائفة، وإذا أمرنا بالعمل والإحسان سيرهما عتًا كالشمس البازخة... إنه المجلس العالِي، القضائي، الأجلِي... رئيس الأصحاب، ملائ الكتاب...، لسان السلطنة، مدير الدول، مشيد الممالك... فإننا

(1) السلوك، 969/1.



خطبناه لهذه الوظيفة... وتعين علينا أن نحكم له بهذا الاعتبار ونَحْمِلَه على هذا المقضى، وأن نطلعاه في سماء دستنا الشريف شهاباً أيضاً، وأن نقّده مهما ما زال هو القائم بتففيذ أشغاله... فرسم بالأمر الشريف العالي، السلطاني، الملكي، الناصري،... أن يستقلّ المجلس العالي، القضائي، الشّهابي «أحمد بن فضل الله» المشار إليه بحماية دواوين الإتنشاء الشريف بالممالك الإسلامية المحروسة... التصرف في المهمات الشريفة والتصرف؛ وهو المنفرد بتقديم البريد وعرضه، ومباشرة ختمه وقضه، وقراءته بين أيدينا، واستخراج مراسمنا الشريفة في كل مناب، ومشافهة وخطاب، وابتداء وجواب، وملطف ومكبر... ونحن نختصر له الوصايا لآته الذي يملئها، ونقتصر منها على التقوى فإنها الذخيرة النافعة لمن يُعانيها، والباقية الصالحة خير لمن يقتفيها، والله تعالى يقوي أسبابه، ويثير شهابه<sup>(1)</sup>.

وتقليد آخر بنبابة السلطنة بصفد وهو لسيف الدين الناصري<sup>(2)</sup>، وكتبه الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، وكعادة التقاليد بدأه بخطبة حمد الله فيها على نعمه وشهد له بوحديته وصى على رسوله الكريم، ثم وضع سبب اختياره لتولى هذا المنصب مع مدحه بأفاظ الإجلال والتقدير، ثم أورد التقليد الذي فُوض لتولى السلطنة الشريفة بصفد المحروسة، و في نهاية التقليد قدم له نصائح ووصايا ومنها الاهتمام بمصالح المسلمين ونشر العدل ومن ذلك التقيد: "الحمد لله الذي صان التّعور المحروسة... نحمده على نعمه التي جعلت سيف الجهاد رائد أوامرنا، وقائد جيوشنا إلى مواقف النصر وعساكرنا،... ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يستظل الإيمان، تحت لوائها،... ونشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم الأنبياء، وأشرف حملة الأنبياء، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه... وسلم تسليمًا كثيرًا... أما بعد... لما كان الجناح العالي هو السيّف الذي على عاتق الدولة نجاده، والليث الذي لم يزل في سبيل الله إغارتة، والغيث الذي يخصب... البلد الساحل،... اقتضت آراؤنا الشريفة أن نزيد حدّ عزمه إرهافاً، وأن نرهب العدا بياسه الذي يردّ آحاد ما تقدّم عليه من الجيوش آلافاً، وأن تُفوض إليه من أمور رعايانا ما إذا أسند إليه يؤسّغهم عدلاً وإنصافاً، فلذلك رسم بالأمر الشريف: أن تُفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بصفد المحروسة، تفويضاً يعلى قدره، ويُمضي في عموم مصالحها وخصوصها نهيته وأمره، ويُرهف في حفظ سواحلها

(1) صبح الأعيى، 298/11.

(2) أرسله الملك الناصر محمد إلى صفد وقد توفي سنة سبع وأربعين وسبع مائة. أعيان العصر وأعران النصر، 97/2.

ومراتها بيضه وسمره، فينتق هذه النعمة بياح شكره المديد، ويترق هذه المرتبة... ويعتز بلادها بالعل... وملاك الوصايا تقوى الله، وهي من أخص أوصافه، والجمع بين العزل والإحسان وهما من نتائج إنصافه؛ فإيجاعهما عمدي حكمه في القول والعمل؛ والله تعالى يجعله من أوليائه المتقين وقد فضل؛ والاعتماد... إن شاء الله تعالى<sup>(1)</sup>.

والنقل الأخير هو نقل لأمير سيف الدين سلال المنصوري<sup>(2)</sup> لنيابة السلطنة الشرفية، وقد كتبه علاء الدين بن عبد الظاهر، وقد بدء النقل كعادة التقاليد بخطبة حمد الله عز وجل، وشهد بوحداثيته، وصلّى على رسوله الكريم، ثم بدأ بمدح الأمير سلال المنصوري، ثم أورد التقليد لنيابة السلطنة والأعمال الموكلة إليه، ولم ينس الوصايا، ولكنها كانت حسب رأي الكاتب من الأمير شتملى وبه يُستضاء، وقد أنهى التقليد بالدعاء له. ومن ذلك التقليد: "الحمد لله الذي شيد ركن الإسلام بسيفه المنضى،... ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له... ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي بعثه الله لإقامة شعائر الإيمان،... صلى الله عليه وعلى آله وصحبه... وسلم تسليمًا كثيرًا... أما بعد فقد كفالة ممالكنا للولي الذي ما برح يتلقى أمرنا بفسيح صدره، ويتوقى حدوث كل ما تكرهه فينهض في دفعه بصائب رأيه وثاقب فكره؛ وكان الجناح الكريم العالي العادل العادل...، معز الإسلام والمسلمين... مقدم العساکر، أمير الجيوش،... نصره الملوك والسلاطين، (سلال المنصوري) نائب السلطنة المعظمة، وكافل الممالك الإسلامية، - أعز الله نصره- هو واسطة عقد الأولياء، وسيف الدولة الفاتك بالأعداء،... فذلك رُسم بالأمر الشريف العالي... لا برح يُوقى بهود الأولياء وبقي،... أن تكون كلمة الجناح الكريم العالي الأميري السيفي المشار إليه - أعز الله نصره- نافذة في كفالة الممالك الإسلامية، متحكمة في نيابة السلطنة المعظمة، وأوامره المطاعة في إمرة الجيوش... وليستكثر من الاقتداء بأحكامه في النهي عن المنكر والأمر بالمعروف؛ وأمرام الإسلام وجوده، فهم ودائع سره، وصنائع شكره، وطلائع نصره... والوصايا كثيرة لخيرها منه تُستملى، وللتبيلات على المصالح منه تُستفاد نقلاً وعقلاً؛ فمثله لا يُدل على صواب وهو المنقرت

(1) صبح الأعي، 205/12.

(2) سلال بن عبد الله المنصوري، الأمير سيف الدين، نائب السلطنة بديار مصر، كان تركي الجنسية. وكان أبوه أمير عند صاحب الروم، فلما غزا الماك الطاهر بيبرس التار كان سلال هذا ممن أسر في الواقعة. المنهل الصافي، 5/6.



بالسداد، والخبير بتفريغ كرب الخطوب ... والله تعالى يمتنفا من بركة كفاكته بالخَلِّ الغوافي ...، ويشدُّ أزر سلطاننا من مضافوته بمن أمسى جبل الخُوم الرواسي؛ إن شاء الله تعالى" (1).

رابعاً: التوقيح والمراسيم

التوقيح والمراسيم نوعان من أنواع الرسائل السياسية في العصر المملوكي وبينهما اختلاف، وستبدأ الباحثة بالحديث عن التوقيح .

فالتوقيح هو "أمر تعيين يصدر إلى أحد موظفي الدولة في الوظائف العادية أو الصغرى يُسند إليه الوظيفة"<sup>(2)</sup>.

ويُعرف أيضاً "نوع من أنواع الرسائل الديوانية التي تصدر عن السلطان بتعيين فلان في وظيفة بعينها من وظائف الدولة"<sup>(3)</sup> ولقد لوحظ أن التوقيح نوع من أنواع الرسائل السياسية التي عُرفت، وهي تشبه التقليد كثيراً، غير أن التقليد لتولي منصب أو وظيفة كبيرة عالية، أما التوقيح لتولي وظيفة صغيرة عادية في الدولة.

ولقد كان التقليد غالباً ما يبدأ بمقدمة يُحمد فيها الله عز وجل، ويشهد له بالوحدانية، ويُصلى على رسوله، ومقدمة كل توقيح تناسب الوظيفة المرادة، ثم يعرض موضوع التوقيح، وهو إذن للحصول على الوظيفة، ويُمدح المراد توظيفه، ويختتم التوقيح بوصايا، ودعاء.

وستورد الباحثة عدة تواقح منها: توقيح الشيخ الإمام العلامة الرئيس برهان الدين إبراهيم بن المرحوم غرس الدين خليل السكندري برياسة الطب بالديار المصرية المحروسة، وقد كتبه ابن حجة الحموي. ولقد بدأ التوقيح بمقدمة حمد الله عز وجل فيها على نعمة الصحة والعافية، وشهد له بالوحدانية ولبيته بالرسالة، ثم انتقل للحديث عن الموضوع وهو التوقيح وكان بمنزلة شهادة أو إذن للحصول على وظيفة رياسة الطب، ثم قام بمدح الشيخ برهان الدين إبراهيم، وعمل بهذا المدح سبب حصوله على وظيفة والده، ثم ختم التوقيح بدعاء دعا الله أن يحفظه ويعطيه الصحة والعافية.

(1) نهاية الأرب، 135/8.

(2) الأدب العربي، وتاريخه، 31.

(3) الأدب في العصر المملوكي: فنون النثر ، سلام، 29.

ومن ذلك التوقيع: "الحمد لله الحكيم اللطيف الذي أحسن علاجنا بالدخو والعافية، وأقننا من بحران الكفر وضعف اليقين بهدايته الشافية،... نحمده حمداً يعتدل به المزاج، ونشكره شكراً يصح به النبض ويسكن الانزعاج. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له...، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي خصه بالطب النبوي وسماه "يس" وشفاه بالقرآن الحكيم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه... وسلم تسليماً.

ويعد. فإن وضع الأتباء في محلها عين الحكمة، وإيصال الحق إلى أهله واجب... وكان المجلس السامي القضائي البرهاني إبراهيم بن المجلس السامي المرحوم خرس الدين خليل السكندري، -أدام الله تعالى رفعة-، ممن تكررت بأبوابنا الشريفة خدمته وخدمة والده... فذلك رسم بالأمر الشريف العالي... السلطاني الملكي المؤيدي...، أن يستقر المشار إليه في وظيفة رياضية الطب بالديار المصرية عوضاً عن والده بحكم وقته. ليعلم من عواطفنا الشريفة أننا راعينا حقوق والده ووقيناها، ويتلو في أيامنا الشريفة هذه بضاعتنا ردت إلينا؛ لأنه الأفاضل الذي إن بحث في العلوم الطبيعية فقد غرست في طبيعه والطبع أغلب، أو تكلم في الرياضة بكلامه الزاهر كان لفظه من القانون أطرب،... ولا حصل بين الجسم والصحة منافرة إلا وكان الصلح بينهما على يديه... فليباش ذلك على ما عهد من مبادئ أدواته التي هي غاية المنتهى، ولوصايا كثيرة، وأرسل حكيماً ولا توصه، والله تعالى يحفظه حفظ الصحة للأبدان، ولا برح دليل المناصحة في خدمتنا الشريفة يأتيها منه ببرهان، إن شاء الله<sup>(1)</sup>.

وتوقيع آخر كتبه ابن حجة الحموي، وهو توقيع المقر الزيني عبد الرحمن بن الخراط<sup>(2)</sup> بكتابة السر الشريف بطرابلس المحروس. وقد بدأ التوقيع بمقدمة حمد الله عز وجل وشهد له بالوحدانية وأنبه بالرسالة كعادة التوقيع، ثم انتقل لمدح عبد الرحمن وهو الموكل بوظيفة كتابة السر، ثم أورد التوقيع وأذن له باستلام الوظيفة وفي نهاية التوقيع قدم له الوصايا ودعا له بالتأييد والرشاد ومن ذلك التوقيع: "الحمد لله الذي زك دواوين الإنشاء في أيامنا الشريفة بهجة،... ونشكره شكراً يبتسم كل ثغر لبركته وسره. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،... ونشهد أن محمداً عبده ورسوله...، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه... وسلم تسليماً... وكان المجلس السامي الزيني عبد

(1) قهوة الإنشاء، 36.

(2) عبد الرحمن بن الخراط، أحد كتاب الإنشاء بالديار المصرية، ولد بحماة في سنة سبع وسبعين وسبعمائة، توفي ليلة الثلاثاء ثاني المحرم سنة أربعين وثمانمائة. وكان فاضلاً، أدبياً بليغاً، المنهل الصافي، 213/7.

الرحمن بن الخراط، أدام الله تعالى نعمته، ممن في حُسن بيانه إيضاح ولسر إيداع، ولأدب إليه اللغات لأنه بجواهر ترصيعه يُثنف الأسماع. وهو الأفاضل الذي إذا نظم أزال بسهولة نظمه الإبهام والتوهيم.... فذلك رسم بالأمر الشريف العالي ... المؤيدي السيفي،... أن يستقر المشار إليه في وظيفة كتابة السر الشريف بطرابلس المحروسة؛ لأنه ممن يُحسن التحبير ويحصل به الاكتفاء والتعميم،... فبيئاش ذلك ويجعل الاستعانة بالله ...، ليصير لشقة الإنشاء به بعد النقص تسهولهم وتكميل، ...، ولأصول التهذيب والتأديب مبالغة وترفيح، والوصايا كثيرة ولا يخفى على الأديب الأفاضل الاحتراس والفرق بين المستوي والمقلوب، وعليه يحسن النسق في جمع الفرائد ليظهر براعة التخلص في عنوان كل مطلوب؛ لأنه الأفاضل إن ...جاور البحر فالبحور تحت تصريف أوامره في نقضه وإبرامه، والله تعالى يجعل نظم هذا الثغر بحسن أدبه في بلاغة وانسجام، وكما أحسن له الابتداء يعضده بديع السموات والأرض بحسن الختام، بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى<sup>(1)</sup>.

توقيع آخر لقاضي القضاة ناصر الدين محمد بن العديم<sup>(2)</sup>، بعورته إلى وظيفة قاضي القضاة بالديار المصرية، بعد وفاة قاضي القضاة السابق ، وكالعادة بُدئ التوقيع بمقدمة حمد الله عز وجل، ووحده وشهد بنوة محمد -صلى الله عليه وسلم- ، ثم بدأ يمدحه ويذكر أحسن صفاته، ثم أورد له التوقيع بالوظيفة ليكون قاضي القضاة، وقد ختم التوقيع بوصايا تُعينه في عمله وتكون له ذخراً وذكرًا، ودعا له بالعزة، وحسن الختام، وقوة الرأي والسعادة، ومن ذلك التوقيع: "الحمد لله المبدئ المعيد، المانع المعطي...الهادي إلى التمسك بالأحكام المحمدية... وتشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له... وتشهد أن محمداً عبده ورسوله... صلى الله عليه وعلى اله وصحبه...وسلم تسليمًا...ولما كان الجنب العالي الحاكمي الناصري محمد بن المرحوم كمال الدين بن العديم، -أعز الله أحكامه- هو الذي أعرب عن جميل هذه الصفات...، وحكم له بصحة ذلك حكماً صحيحاً مستوفياً شرائطه،... فإنه نشأ (بِرا بوالديه ولم يكن جباراً عصياً)... فلذلك رُسم بالأمر الشريف العالي السلطاني...متع الله الإسلام والمسلمين ببقاء زمانه الذي أيامه أعياد ولباليه مواسم،... أن يُفرض للمشار إليه قضاء قضية الحنفية بالديار المصرية، فهو المختار لهذا المذهب ، وليس للدرر قيمة عند أوصافه المنظومة،... فهو واسطة عقده الذي عليها الخناصر تُعقد،...فليتق هذا

(1) قهوة الإنشاء، 114.

(2) ناصر الدين أبو غانم محمد بن عمر بن إبراهيم بن محمد العقيلي الحنفي المعروف بابن العديم، الضوء اللامع، 235/8.

الإقبال بالقبول والشكر المتزايد ويعلم أن في صلتنا للصابرين نعم العائد... ليشاش وظيفته على ما أجزاها من جميل عوائده... فإنه من البيت الكمال الذي جاء لبيع الفضائل تكميلاً، وغريب العلم تأهلاً... والوصايا كثيرة وهو ممن تتسم نسمات قبولها، وأقام برهان دليلها، فإنه لم يخل له من القيام بمصالح المسلمين فكر، ولكنه تجيد ذكر على ذكر، والله تعالى يقيم به عماد بيته الذي شيده الله بحسن السجايا، ويُعز أحكامه ويجعله دائم النفوذ في القضايا، ويحسن ختامه في جميع أحواله"<sup>(1)</sup>.

أما المراسيم: فهي ما يكتب في صغائر الأمور التي لا تتعلق بالولاية<sup>(2)</sup>.

وتُعرف أيضاً بأنها: "رسائل تتصدى لعلاج حالات اجتماعية كإبطال سلوك مشين أو أمر قبيح يخالف الدين"<sup>(3)</sup> وتُعد المراسيم رسائل سياسية، يبدؤها الكاتب بمقمة يمد الله عز وجل ويشكره على نعمائه، ثم يتحدث عن مصالح الرعية وعصاة البلاد، ثم يورد قوله: "رسم بالأمر الشريف أن يكون كذا وكذا" حسب المرسوم، ويورد أمراً بضرورة العمل بهذا المرسوم ويختتمه بالدعاء.

ومن تلك المراسيم: نسخة مرسوم بالمسامحة بالبنواقي مما في ذم الجند والرعايا بالشام، كتب به في الدولة الناصرية في عهد محمد بن قلاوون، كتبه العلامة كمال الدين الزملاكاني، ولقد قرئ على المنبر بالجامع الأموي بدمشق المحروسة، ولقد بدأ الكاتب المرسوم بخطبة حمد الله عز وجل على نعمه وصلي على رسوله الكريم، ثم انتقل للحديث عن الانتصارات والفتوحات التي حُقت، وانتشار السعة والذعة، ثم أورد المرسوم بالمسامحة بالبنواقي مما في ذم الجند. كما حدث هؤلاء الجنود على حمد الله وشكره على هذا الإعفاء وهذه المسامحة، ودعاهم لرفع الأذعية لأيام الدولة الزاهرة، وحث كل من يعرف ويرى هذا المرسوم أن يعمل به وأن يعتمد حكمه. ومن ذلك المرسوم: "الحمد لله الذي وسَّع كل شيء رحمةً وعلماً، وسمع نداء كل حيِّ رافئاً وحطماً،... نحمده على نعمه التي غمّرت رعايانا بإدامة الإحسان إليهم... ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له... ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي جلا الفتنة، وهدى الأمة،... صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذي أمروا بالتيسير...، وسلم تسليمًا كثيرًا.

(1) قهوة الإثشاء، 19.

(2) عصر سلاطين المماليك، 139/5، وأيضاً التعريف بالمصطلح الشريف، 120.

(3) الأدب في العصر المملوكي، فنون النثر، سلام، 4.

وبعد، فإن الله تعالى لما خصّ أيامنا الزاهرة بالفتوح التي أتامت الرعايا، في مهاد أمنها، وأتالت البرايا، مواقع يمنها ومنها، وكفّت أكفّ الحوادث عن البلاد وأهلها، ونشرت عليهم أجنحة البشائر في حزن الأرض وسهولها،... رأينا أن تُفسح لهم مجال الدّعة والسكون... ونسامحهم بالأموال التي أهملوها وهي كالأعمال محسوبة عليهم، ونعفيهم من الطلب بالبواقى التي نسوها كالأجال،... فذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال برّه عميماً، وفضله لحسن النظر في مصالِح رعاياه مُديماً أن تُسامح مدينة دمشق المحروسة وسائر الأعمال الشامية بما عليها من البواقى من الدواوين المعمورة إلى المُدد المعنية في التذكرة الكريمة المتوجة بالخط الشريف... فليتفقوا هذه النعمة بياح الشكر المديد، ويستقبلوا هذه المنّة بحمد الله تعالى فإنّ الحمد يستدعي المزيد، ويُقبلوا على مصالِحهم بقلوب أزال الأمن قلقها، وأذهبت هذه المسامحة البرورة فروعها... وليتوقروا على رفع الأذعية الصالحة لأيامنا الزاهرة،...، فقد تصدّقنا بهذه البواقى التي أبقت لنا أجراها وهي أكمل ما يُقتنى، وخفقت أفعال رعايانا وذلك أجمل ما به يُعتنى. وسبيل كل واقف على هذا المرسوم الشريف اعتماد حكمه، والوقوف عند حدّه ورسمه؛...<sup>(1)</sup>

وهذا مرسوم آخر بمسامحة بواقى دمشق وأعمالها، من إنشاء شهاب الدين محمود الحلبي، بدأ المرسوم بخطبة حمد الله عز وجل كونه المسامح المعطي الرؤوف بعباده، وشهد له بالرحمانية، وصلى على رسوله الكريم، ثم أورد مقدمة المرسوم تحدث فيها عن الملك والنصر والتأييد من الله، ومصالح البلاد والعباد التي يقوم بها طاعة الله، و ضرورة إعفاء دمشق من البواقى لتتجه لهم لإعمار البلاد، ثم أورد المرسوم بالمسامحة وبريب منه ابتغاء الثواب من الله عز وجل. وختم المرسوم بضرورة شكر الله عز وجل على هذه المحاسن، وضرورة الدعاء لأيام الدولة الزاهرة بالبقاء والتأييد، وحث الجميع على المسارعة للعمل بهذا المرسوم، ومن ذلك المرسوم: "الحمد لله الرؤوف بخلقه، المتجاوز لعباده عما قصّروا فيه من حقه،... نحمده على نعمه التي عمت الرعايا بتوالي الإحسان إليهم،... وتشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له... وتشهد أنّ محمداً عبده ورسوله الذي أسكت السنة الشرك وأخرسها،... صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين شفّعوا العدل بالإحسان،... وسلّم تسليمًا كثيرًا.

(1) صبح الأعشى، 28/13.

ويعد، فإننا لما آتانا الله من ملك الإسلام، وخصنا به من الحكم العائم، في أمة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وآتينا به من النصر على أعداء دينه، وأمّتنا به من تأييده ودوام تمكينه... اقتضت آراؤنا الشريفة أن نعفي منها ذمماً كانت في أخلال إسارها، وأثقال انكسارها، وروعة اقتضائها... فرسم بالأمر الشريف - زاده الله تعالى علواً وتشریفاً، وأمضاه بما يعم الآمال رفقاً بالرعايا وتخفيفاً... أن يسامح... فليستقر حكم هذه المسامحة استقراً يبقى رسمها، ويحو من تلك البواقى رسمها واسمها، ويضع عن كواهل الرعايا أعباءها، ويسير بين البرايا أخبارها الحسنة وأبناؤها.

فقد ابتغينا بالمسامحة بهذه الجُمْل الموافرة ثواب الله وما عند الله خير وأبقى، وأعتقدنا بها ذم من كانت عليه من ملكة المال الذي كان له باستيلاء الطّلب واستمراره مسترقاً، تقرباً إلى الله تعالى لما فيه من إيثار التخفيف،... وتوفير همّ الرعايا على عمارة البلاد... فليقابلوا هذه النعم بشكر الله على ما خصّ دولتنا به من هذه المحاسن،... وبيتهاها آياتنا الزاهرة بالأدعية التي تخلد سلطانها، وتشدّد أركانها، وتعلي منار الدين باعتلائها، وتؤيّد بها بالملائكة المقربين على أعداء الله وأعدائها، وسبيل كل واقف على مرسومنا هذا: من ولاية الأمر أجمعين العمل بمضمونه، والانتهاؤ إلى مكنونه، والمبادرة إلى إثبات هذه الحسنة، والمسارة إلى العمل بهذه المسامحة التي تستدعي مسارّ القلوب وثناء الألسنة...<sup>(1)</sup>.

خامساً: المشارات.

وتعرف المشاراة بأنها: "رسالة شائعة تنشر بمجيء السلطان من رحلة أو غزو أو تنشر بانتصار الجيش أو وفاة النبل أو ولادة مولود . وقد تُقرأ المشاراة في المساجد كالخطب، أو تُرسل للافتاق لإعلانها أو قراءتها على الجمهور"<sup>(2)</sup> وتعرف أيضاً: "أطرف رسائل الديوان لما يتباح فيها للمثنى من ألوان الوصف والمبالغة، وكأنه فيها حر الزمام يسرح ويمرح كما لك لقلقه وطاب، ولقد شبهت برسائل الوصف لكثرة استخدام جمال التصوير وروعة التعبير"<sup>(3)</sup>.

(1) صبح الأعيى، 24/13.

(2) الأدب العربي، وتاريخه، سليم، 31.

(3) عصر سلاطين المماليك، 143/5.



ولقد كثرت موضوعات البشارات، ومناسباتها، ورسائلها وكان منها: عودة السلطان من سفر فككتب الرسائل تبشّر بعودته، تحرك جيش للحرب في موقعة ما فيبشّر الشعب بالانتصار، ويشجع الجنود على القتال، ومنها أيضاً فيضان النيل وتحول الأرض الجرداء إلى أرض عطاء؛ فيبشّر الشعب بذلك، ومنها بشارة بولادة مولود للملك أو للسلطان يبشرون الشعب بولادته ويهتفون الملك به، وغيره الكثير من الأنواع

كما أن البشارة لا تقتصر على داخل البلاد وشعبها، بل منها ما يرسل للبلاد البعيدة المورالية له ليشيرها بالنصر، أو للمعادية له فيرسلها تهكماً وتهديداً<sup>(1)</sup>.

والبشارة نمط من أنماط الرسائل السياسية، وغالباً ما تبدأ البشارة بمقدمة يدعى فيها المرسل إليه هذه البشارة حسب كل واحدة، ثم ينتقل لموضوع البشارة ويتحدث عنه ويسهب في ذلك، وتختتم البشارة بدعاء حسب كل موضوع من موضوعات البشارات.

ومن ذلك بشارة بوفاء النيل، كتبها صلاح الدين الصفدي إلى بعض النواب، حيث جرت العادة كل سنة إذا وفي النيل أن يرسل السلطان بشيراً بذلك إلى البلاد لتطمئن قلوب العباد وهي عادة قديمة إلا أنها مستخدمة.

لقد بدأ الكاتب البشارة بمقدمة دعا فيها للجناب العالي المرسل إليه هذه البشارة، وخصه بسلام وشكر كريمين، ثم انتقل للحديث عن النيل وأهميته، ثم أردف حديثه بموضوع البشارة وهو وفاء النيل وما يحدث له عند وفائه، ثم يختم البشارة بكلمة توجه للجناب العالي ليأخذ حظه من هذه البشارة ودعا له بالبقاء واستمرار التهاني والأفراح والأبناء الحسنة ومن تلك البشارة: "صاعف الله نعمة الجناب وسر نفسه بأنفس بشرى، وأسمعه من الهناء كل آية أكبر من الأخرى، .... هذه المكاتبه إلى الجناب العالي تخصه بسلام يرى كالماء انسجاماً، ويروق كالزهر ابتساماً، ... ونقص عليه من أنباء النيل الذي خص الله البلاد المصرية بوفاءه وفائه، ... والنيل له الآيات الكبر، وفيه العجائب والعر، منها وجود الوفا، عند عدم الصفا، و بلوغ الهرم، إذا احتد واضطرم، وأمن كل فريق، إذا فُطع الطريق، .... وهو أنه في هذا العام المبارك جذب البلاد من الجذب وخصها بذراعه، ... وتضرع بمد ذراعه إلينا، وسلم عند الوفاء بأصابعه علينا. ونشر علم ستره، وطلب لكرم طباعه جبر العالم بكسره... فليأخذ الجناب العالي حظه من هذه البشيرة التي جاءت باليمن والمنح، ... وليتلقاها بشكر يضيء

(1) ينظر عصر سلاطين المماليك، 5/ 143



به في الدجى أديم الأفق، ويتخذها عقداً تحيط منه بالفق إلى النطق، ولتقدم الجناح العالي بالألا يحرك الميزان في هذه البشرية بالجباية لسانه، وليعط كل عامل في بلادنا بذلك أمانه، وليعمل بمقتضى هذا المرسوم حتى لا يرى في إسقاط الجباية خيانة، والله يديم الجناح العالي لقص الأبناء الحسنة عليه، ويمتعه بجلاء عرائس التهاني والأفراح لديه.<sup>(1)</sup>

بشارة أخرى وهي للتبشير بالمولود، ولقد كانت البشارة بالمولود موجودة في العصر المملوكي، وها هو ابن حجة الحموي يكتب بشارة بمولود المقام الشريف سيدي أحمد<sup>(2)</sup>، قد تحدث في هذه البشارة عن مولد أحمد وما حدث بميلاده من ارتفاع للمصائب، وسرور الجميع بمولده، وابتهاج النيل وابتسام ثغر الإسكندرية، ببشرى ميلاده وقد ختم البشارة بدعاء الله ليجدد المسرات والسعادة، ومن تلك البشارة: "صاعف الله تعالى نعمة الجناح، ولا زال سمعه الكريم مشفقاً من عقود مسراتنا بكل دره، ورباحين بشائرنا تحفه بما يوضع نشره من الحضرة.

صدرت هذه المكاتبة تهدي من غرشنا الشريف ما أثمر وذنق قطوفه إليه، ليعلم أن الله قد أسبغ ظلال دوحنا الوريث عليه... وتبدي لعلمه الكريم أن مولد أحمد أمست به مشيختنا الشريفة أحمديّة. وظهر هو والثريا في أفق واحد فارقت العاهات عن أيماننا المؤبديّة، وأزال مرارة هذا الفصل بحلاوة مولده القاهرة،... وولد في تختنا الشريف فأمست النصررة ورية الفرح في هذا التخت تتولد. فقابلته البدر فأمسى سناه مرمياً على الطريق... وابتهج النيل...، وابتسم ثغر الإسكندرية وأبسته هذه البشرية تشريعاً ودار الطراز، ظهر يوم الأحد وخدمه طالع سعيد فقلنا: "ما أبرك ليلة الاثنين وود الأفق أن يضعه من رأس نجومه وعين شمسها على الرأس والعين. وقد آثرنا علم الجناح بهذه البشرية ليأخذ منها حظه...، ويمتطي ظهور مسراتها فقد تاووناه من طرف كل سطر عنان...، ويتحلى بعد مولد أحمد من نسيج مدآحه بيرده، والله تعالى يجعل حلل مسراته في أيماننا الشريفة محددة،..."<sup>(3)</sup>

وبشارة أخرى كتبها ابن حجة الحموي بحلول ركاب المولى الشريف بالديار المصرية، في

مستهل شهر رمضان سنة سبع عشرة وثمان مائة، ولقد كانت تلك البشارة ليطمئن قلوب العباد على

(1) حسن المحاضرة، 369/2.

(2) هو شهاب الدين أبو السعادات أحمد بن الشيخ المحمودي، السلطان المظفر، الصوة اللامع، 313/1.

(3) فقهة الإفتاء، 274.

وصوله الشريف للبلاد وقد كان ذلك اليوم يوماً مشهوداً. وقد تحدث فيها الكاتب عن حلول ووصول الركاب للديار المصرية ،وتركه لبلاد الشام بأمن وأمان واعتبر أن ذهابه لبلاد الشام لماً للشمل، ونشر للعمل، ثم تحدث عن وصوله للقاهرة وجلسه فيها على كرسي ملكه وانتشار المسرة والسعادة لوصوله وحمد الله عز وجل على عودته. ومن تلك الإشارة: "أعز الله تعالى أنصار الجناح الكريم، صدرت هذه المكاتبة...وتبدي لعلمه الكريم حلول ركابنا الشريف بالدير المصرية بعدما تركنا قطوف الأمان بأدواح الشام دانية،... واستظرننا بخيول النصر على ممالكنا الشامية عند العود، فقد جعله الله استطراداً بديعاً وحصل به لف الشمل ونشر العدل الذي ما برح لتيجان الملوك ترصيعاً، .. حماة المحروسة قالت ما برحت مشرفة بالمؤيد،...وضعت دمشق بجحكها على تلك الدقوف، ولعبت أنامل التسييم بعيدانها، وظهرت عُرة الفرح بميدانها،... وقال العمل للخائف من الظلم (أقبل ولا تخف إنك من الأمنين) وفتح باب الرحمة بالبيت المقدس فما أبهى ذلك الفتح وأبرك. وبلغ الهناء الزئبد بصدر ذلك الحرم المششح وأدرك، وقال له الفرح بالتين والزيتون (ألم نشرح لك صدرك) ...، وظهر بديع الانسجام لأهل البيت المحرم، وضحى بشير الهناء بذلك البيت الشريف وزعزم، وأمست أصداء دولتنا الشريفة في صفد مقرنين بالأصفاة...وجال الهناء في غزة...، وصار النصر إلى أن وصل من القاهرة إلى بابه ودخل منه بقوة وسلطان، وجلسنا على كرسي ملكنا الذي تولدت التصرة والاجتماع بتخته الشريف، وتطابقت المسرة به بين التالد والطريف، وراق ميد بحر النيل وظهر من بديعه لأهل مصر الاحتفاء،...هذا وصارت على شاطئه كالآذان لأنها مالت طرباً لسماع هذه البشري وهي صعدة الصماء، وابتسم الثغر الإسكندري وأقرم بذره، وصفق بكغوف موجه على رقص قيان الجوارى بحره. وقد أتحفنا الجناح ببسيط هذه البشري ليأخذ منها حظه بالوافر، ويقرع مسامح الصم بإعلان البشر، والله تعالى يطلق السنة الأقالم بتهانيه ويملاً بطون الدفاتر وكما أحسن براسته في الأول يحسن ختامه في الآخر بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى"<sup>(1)</sup>.

وبشارة أخرى كتبها ابن حجة الحموي في وفاء النيل، وقد تحدث في هذه الإشارة عن وفاء النيل، وآثار هذا الوفاء على الأشجار والنبات والأرض وعلى المدن المصرية، وقد تقفن في حديثه وفي بشارته هذه وأنهى البشارة بدعوة المقر لأخذ حظه من هذه البشارة ومنها: "وأيدي لعلمه الكريم ظهور آية النيل الذي عاملنا فيه بالحسنى وزيادة، وأجراه لنا في طرق الوفاء على أجمل عادة، وخلق أصابعه ليزول الإبهام فأعلن المسلمون بالشهادة؛ كسر جسره فأمسى كل قلب بهذا الكسر

(1) قهوة الإنشاء، 79.

مجبوراً؛... فقد قُتل ثغور الإسلام وأرشفها ريقه الحلو فمالت أطراف غصونها إليه، وشيب خيره في الصعيد بالقصب؛ ومد سبائك الذهب إلى جزيرة الذهب،... وعمته البركة فأجرى سواقي ملكه إلى أن غدت جنة تجري من تحتها الأنهار،... وسقى الأرض سلاطته الخمرية فخدمته بحلو النبات، وأدخله إلى جنات النخيل والأعناب، فائق النوى والحب فأرضع جنين النبت وأحيا له أمهات المصنف والأب، وصافحته كفوف الموز فختمها بخواتمه العقيقية، ولبس الرود تشريفه وقال أرجو أن تكون شوكتي في أيامه قوية،... ولبس سُريوش الأثرج وترقع إلى أن لبس بعده التاج وفتح منشور الأرض بعلانية بسعة الرزق وقد نفذ أمره وراج... وحظي بالممشوق وبلغ من كل أمنية مناه فلا سكن على البحر إلا تحرك ساكنه بعد ما تفقه وأتقن باب المياه ومد شفاه أمواجه إلى تقبيل فم الجسر وزاد يسرته فاستحلى المصريون زائده على الفور... ووصل أهل دمياط في برزخ بين المالح وبينه،... وأمست سود الجوارى كالحسنات في حُمره وجناته، وكلما زاد زاد الله في حسناته، فلا فقير سد إلا حصل له من فيض نعمه فتوح، ولا ميت خليج إلا عاش به ودبت فيه الروح، ولكنه احمرت عينه على الناس بزيادة وترفع... وقد أثرا المقر بهذه البشري التي عم فضلها براً وبحراً، وحثاه عن البحر ولا حرج وشرحنا له حالاً وصدراً، لياخذ حظه من هذه البشارة من طبيات ذلك النسيم أنفاساً عاطرة، والله تعالى يوصل بشائرنا الشريفة بسمعة الكريم ليصير بها في كل وقت مشفقاً...<sup>(1)</sup>

(1) ثمرات الأوراق ، 230

## المبحث الثاني الرسائل الاجتماعية

شهد العصر المملوكي نشاطاً واسعاً في الرسائل الاجتماعية، التي اهتمت بمظاهر الحياة الاجتماعية، والصلات الإنسانية بين أفراد المجتمع في شتى المناسبات، ومن هنا تعددت الرسائل التي الاجتماعية؛ فكان منها: رسائل المديح، ورسائل التهئة، ورسائل الشكر، ورسائل التعزية، ورسائل العتاب .

وهذه الرسائل تعطي صورة واقعية عن العلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك العصر؛ فالتهئة لها أثر إيجابي في الأفراح ، والتعزية ترسخ مفهوم الوقوف بجنية إزاء أحران الناس، ومحاولة التخفيف عنهم، والهدية تزيد من المحبة بين الناس وترفع لكتابة رسائل الشكر وتتمى العلاقات الحسنة بين أفراد المجتمع .

وبقية الرسائل لها الأثر الإيجابي الكبير في حياة الناس، ومن هنا بدأ الكتاب يكتبون الرسائل ويتقنون بها، وشملت جميع مناحي الحياة الاجتماعية .

وقد كانت الرسائل الاجتماعية فضلاً عن أسلوبها الفني البديع تتميز بسمت أدبي دقيق؛ فقد بدأت بمقدمة فيها حمد الله والصلاة على رسوله الكريم، وبيانات بارعة تناسب ألفاظها ومعانيها موضوع الرسالة؛ مع وضع عبارات الود والشوق والمديح، ثم عرض الموضوع، ثم يختمها بكلمة ختامية يدعو فيها للمرسل إليه .وستبدأ الباحثة بالحديث عن أنواع تلك الرسائل:

### أولاً: رسائل المديح:

تعد من أهم الرسائل الاجتماعية في العرض تبعاً لموضوعها، ولا تكاد تخلو رسالة من المديح، كما يعد هذا النوع من الرسائل فرصة جيدة للكتاب لإظهار عواطفهم وحبهم وتقديرهم لبعضهم . ويظهر الكاتب فضل الممدوح وكريم خصاله .

ومن رسائل المديح: رسالة كتبها شهاب الدين الفقيهندي في مدح المقر الفحي أبي المعالي فتح الله صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالديار المصرية، لحصوله على وظيفة صاحب ديوان الإنشاء، فتحصل معنى المدح لاستحقاقه هذه الوظيفة عن جدارة، مع تهنته وقد كانت للمدح أقرب .

وقد بدأ الرسالة بمقدمة حمد الله عز وجل وشهد له بالوحدانية، ولبّيه بالرسالة، وصلّى عليه وسلم أفضل صلاة وأتم تسليم، ثم انتقل للحديث عن مكانة وظيفه رئاسة ديوان الإنشاء، وبين منزلة صاحب ديوان الإنشاء فمدحه بشتى ضروب المدح، فهو كليم الملك، وعيد المملكة واسطة الرعية عن الملك.

ثم تحدث عن وجود ديوان الإنشاء بلا صاحب حقبة من الزمن إلى أن تم اختياره لهذا المنصب، وقد نُعت بحسن الرأي ووصف بيانه بالسحر الحلال. ثم يعتز في نهاية الرسالة عن تقصيره وعجزه عن إيفاء الممدوح حقه من الثناء والشكر. ومنها: "الحمد لله الذي جعل الفتح محط رحال القرائح الجائدة، ومستقر نواها،...نحمده على أن خصّ المملكة المصرية من إيداع سيرها المصون بأوسع صدر رحيب،... وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،...وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل نبي سَنَّ المعروف ونَب إليه، ... صلى الله عليه وعلى آله وصحبه...وسلم تسليمًا كثيرًا. وبعث....

ولا خفاء أن صاحب ديوان الإنشاء من هذه الرتبة بالمحلّ الأرفع، والمنزلة التي لا تُدافع ولا تُفزع، والمقام الذي تتردّ بصدرته، فكان كالمصدر لا يُنتهى ولا يُجمع؛ إذ هو كليم الملك ونَجيبه، بل عميد المملكة وِعادها، ورُكْنها الأعظم وسِنادها...ثم قد مضت برهة من الأيام و ديوان الإنشاء من نظر من هو مُتَّصف ببعض هذه الأوصاف عايط... إلى أن طَلع نَبْر الزمان وتَوَضَّح شُرُوقه، وظَهرت تباشير صِبَاحه...، فأقْبِيت الدولة الظاهرية بسعادتها، وتلقَّتها الأيام الناصرية جارية منها على وفق عاداتها،... فكان خُلاصة اضْطِافئهما، ورُزْدَةُ انْتِفائهما، المقرُّ الأشرف، العالِي،...، الفتحِي، نظام الممالك الإسلامية وزمام سياستها، ومُفْعِدُ أمورها، ؛ أبو المعالي فتح الله صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية،...فإن تكلم أتى من بيانه بالسحر الحلال، ...  
يُؤَلِّفُ التَّوَالِيَةَ الْمُنْتَشِرَةَ مِنْطِقُهُ      وَيُنْظِمُ الدَّرَّ بِالْأَقْلَامِ فِي الْكُتُبِ!

إن اعترافي بالعجز في مدحه أبلغ مما أتبه، وإقراري بالتقصير في شكره أولى ...  
ولو أن لي في كلِّ مَنبَتِ شَعْرَةٍ      لساناً يُطِيلُ الشُّكْرَ فِيهِ لَقَصَّراً!<sup>(1)</sup>

(1) صبح الأعيى ، 14/191

ومن تلك الرسائل رسائل المدح المدح التي كانت تُكتب على المصنفات أو القصائد المنظومة، حيث إذا نظم الشاعر قصيدة وأجاد فيها كتب أهل الصناعة يمدحون قصيدته. ومن ذلك رسالة كتبها الشيخ صلاح الدين الصفدي على مصنف وضعه الشيخ تاج الدين علي بن الدرهم الموصلي الشافعي. فأعجب به أشد الإعجاب كون واضعها علامة بل أشهر علامة، وكل الأئمة تعترف بما في ذلك الكتاب من أدلة، وكل التصنيفات تقف أمامه، ففيه أدلة لا تُعارض ، وقد ختم الرسالة بأبيات شعر مدح فيها الكتاب ومن تلك الرسالة :

"وَقَفْتُ عَلَى هَذَا التَّصْنِيفِ الَّذِي وَضَعَهُ هَذَا العَلَامَةُ، وَتَشَرُّ بِهِ فِي المَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ أَعْلَامُهُ، وَأَصْبَحَ وَنَسِيتهُ إِلَيْهِ أَشْهَرُ عِلْمٍ وَأَبْهَرُ عِلَامَةٍ...، كُلُّ الأئِمَّةِ تَعْتَرِفُ بِمَا فِيهِ مِنَ الأَدَلَّةِ، وَكُلُّ التَّصَانِيفِ تَقُولُ أَمَامَهُ: بِسْمِ اللّهِ؛ كَمَ فِيهِ مِنْ دَلِيلٍ لَا يُعَارِضُ بِمَا يُقْفِضُهُ، وَكَمَ فِيهِ مِنْ حُجَّةٍ يَكِلُ عَنْهَا الخَصْمُ لِأَنَّ عَقْلَهُ عَلَى مَحَاكٍ التَّقْدِيرِ عَرِضُهُ؛ قَدْ آتَى مَا ادَّعَاهُ بِالحَدِيثِ وَالآثَرِ، وَتَقَلَّ مَذْهَبُ كُلِّ إِمَامٍ سَبَقَ وَمَا عَشَرَ؛ لَقَدْ سَرَّ الشَّافِعِيُّ بِحُصْنِ قَوْلِهِ الَّذِي هَدَّيْتَهُ، وَجَعَلَ أَعْلَامَ مَذْهَبِهِ مُذْهَبَهُ، وَأَتَى فِيهِ بِتَكْتِيفِ تَطْرِبٍ مِنْ أَسْرَارِ الخَرْفِ، ..."

أَلَمْ يَرَمْ بِمُصَرِّفِهِ مُصَرِّفًا  
لِيَرْمِلِ المَرَادَ فِيهِ هِ  
كَمَ فِيهِ بِرُزْدِ حُجَّةٍ  
وَكَسَمِ دَالِيهِ سَرَّ سَبِيئُهُ  
فَلَمَّ يَكْمِنُ مِنْ بَعْدِهِ  
مُخَالَفٌ قَطُّ يُرَى!! (1)

ورسالة مدح أخرى كتبها المقر الشهابي بن فضل الله العمري يدح فيها قصيدة ميمية للشيخ صلاح الدين الصفدي ، قد مدح فيها الأمير سيف الدين الجاي الناصري، وقد مدحها ابن فضل العمري فكانت كلمات القصيدة تكاد أن تُرى من شدة جمالها وبلاغتها، وكانت لا تقاس بأمثالها من الكلام، والمدح فيها قد أعطى جمالاً ورونقاً للقصيدة، وبذلك استحقت القصيدة المدح.

ومن تلك الرسالة: "وَقَفْتُ عَلَى هَذِهِ القَصِيدَةِ الَّتِي أَشْرَقَتْ مَعَانِيهَا فَكَانَتْ تُرَى، وَتَمَكَّنَتْ قَوَائِمَهَا فَاسْتَمْسَكَ بِهَا الإِدْبُ لَمَّا كَانَتْ المِيمَاتُ فِيهَا كَالغُرَا، فَوَجَّهَتْهَا مُشْتَمِلَةً مِنَ البِلَاغَةِ بِوَزْنِهَا عَلَى البحر

(1) صبح الأعشى، 14/335



المحيط، لطيفة لا تقاس بأمثالها من الكلام المركب لأنها من البسيط، فَنَطَرْتُ إليها مَكْتَسِبًا من بيّانها سحر الحق، مُتَعَجِّبًا من مُشَبِّهاتها لغرس يُسْرِعُ الإثمار في الورق، ثم فَطِنْتُ إلى أن الممدوح بها أعرّة الله تعالى...بَرَّحت مناقبه بما كان مصونًا في أُخْبِيَةِ النفوس؛ وقد استوجب هذا المادح عطف الله تعالى قلبه عليه من منّاحه خطًا جزيلاً، وحبًا يقول به لمن قصد المساواة به: لو كنتُ مُتَخَذًا حَبْلًا لا تحفنتُ فُلَانًا حَبْلًا:

مَمْدُورُ الْمَأْمُوكِ لِسَمْعِهِ      عَلَى الْغَالِي مَقَامِي مُقَامِي  
تَهْنِئِي إِلَى الْيَوْمِ جَنَابِيهِ      الْقَصِيدَةُ وَالْقَصْدُ الْيَوْمُ (1)

ورسالة مدح أخرى كتبها الفافندي في مدح قصيدة نظمها شرف الدين عيسى بن حجاج الشاعر المعروف بالعالية<sup>(2)</sup>، وقد مدح فيها الرسول \_صلى الله عليه وسلم\_، بدأها بمقدمة حمد الله عز وجل لأنه أحل سحر البيان، وذلك الألفاظ وفتح طرق الفصاحة، ثم صلى على رسوله الكريم، ثم انتقل لموضوع الرسالة، وقام بمدح الشاعر شرف الدين بأجمل عبارات المدح ودعا له بالرفعة والسبق، وعاد مرة أخرى يمدح القصيدة فكانت بليغة فريدة بيتية لا مثيل لها. والأدباء يستظلون بظلمها ومنها: "أما بعد الحمد لله الذي أَحَلَّ سِحْرَ الْبَيَانِ، وَأَقْرَأَ أَهْلَ الْبِلَاغَةِ مِنْ بَدِيعِ النَّجْوَى عَلَى مَا يَشْهَدُ بِصِحَّتِهِ الْبَيَانِ،... وَأَوْضَحَ لَهُمْ طُرُقَ الْفَصَاحَةِ فَقَدَتْ لَدَيْهِمْ - بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى - سَهْلَةَ الْقِيَادِ،... وَالصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... فَأَيُّ وَقْفَتْ عَلَى الْبَدِيعِيَّةِ الْبَدِيعَةِ الَّتِي نَظَمَهَا الْفَاضِلُ الْأَرْفَعُ، أَدِيبُ الزَّمَانِ، وَشَاعِرُ الْأَوَانِ، شَرَفُ الدِّينِ أَبُو الرُّوحِ عَيْسَى الْعَالِيَةُ - أَعْلَى اللَّهُ تَعَالَى مَنَارَ أَدَبِهِ... وَيَبِغُ بِهِ مِنْ قَصَبِ السَّبْقِ مَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَرَاهُ عَلَى الْبُعْدِ مُضَاهِيهِ -... (فَطَّلْتُ أَعْيُنُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ)

وكيف لا تخضع لها الأعناق، وتتل لها رقاب الشعراء على الإطلاق، وهي اليتيمة التي أضعفت الأفهام عن مثلها، والفريدة التي اعترفت كل طويل التجاد بالقصور عن وصلها... إن ذكرت ألفاظها فما الدرّ المنثور؟ أو جليت معانيها أخلجت الروض الممطور، أو اعتبر تحرير وزنها فاق

(1) صبح الأعيى، 336/14.

(2) شرف الدين عيسى بن حجاج السعدي المصري الحنبلي، الأديب الفاضل، المعروف العالية. كان فاضلا في النحو واللغة، توفي سنة 807. شذرات الذهب، 9/109.



الدَّهَبَ تَحْرِيراً، أَوْ قُوَيْلَتْ قَوَارِفُهَا بِغَيْرِهَا زَكَتٌ تَوْفِيراً وَرَسَمَتْ تَوْفِيراً... فَأَطْنَابُهَا - لَفْصَاخَتِهَا - لَا يُعَدُّ إِطْنَابًا، وَإِجَارُهَا - لِإِبْلَاغَتِهَا - يَمُدُّ عَلَى الْمَعَانِي مِنْ حُسْنِ السَّبِّكَ أَطْنَابًا ...

وبالجملة فما أثرها الجميلة لا تحصى، وجمالها الماثورة لا تُعدُّ ولا تُستقصى... و«ابن المقفع» يَهْدِي بِهَدْيِهَا وَيُرْوِي عَنْ بِلَاغَتِهَا، «وَأَمْرُ الْقَيْسِ» يَقْتَبِسُ مِنْ صَنَعَةِ شِعْرِهَا، وَ«الْأَعَشَى» يَسْتَضِي بِطَلْعَةِ يَدْرِهَا...<sup>(1)</sup>

ثانياً: رسائل التهنية:

تعد هذه الرسائل عن العلاقات بين الأصدقاء والأحباب، ويتجلى فيها التعبير عن معاني المودة والإخاء والامتنان؛ فالحياة الاجتماعية مليئة بالمناسبات، منها عودة من حج، أو زواج، أو عودة لوظيفة، أو ولادة مولود جديد وغيرها من المناسبات. ومن تلك الرسائل رسالة تهنية كتبها جمال الدين بن نباتة عن نائب الشام إلى القاضي علاء الدين بن فضل الله كاتب السر الشريف، بالأبواب الشريفة بالديار المصرية عند عودته من الكرك للديار المصرية كتبها مهتماً له بالعودة. وتحدث في بداية الرسالة عن الأمل بأن يعود القاضي علاء الدين إلى الديار المصرية سالماً آمناً، ثم انتقل ليحمد الله عز وجل على عودته وقدم له التهنية بالسلامة، وصور ابتهاج وفرحة الملوك ببشرى عودته إلى دياره، واستقراره إلى كتابة السر بالأبواب الشريفة السلطانية. ومن تلك الرسالة: "تَقَبَّلِ الْبَاسِطَةَ الشَّرِيفَةَ لَا زَالَتْ خِنَاصِرُ الْحَمْدِ عَلَى فَضْلِ بِنَاتِهَا مَعْقُودَةً، وَمَأْتِرُ الْبِأَسِّ وَالكَرْمِ لَهَا وَمِنْهَا شَاهِدَةٌ وَمَشْهُودَةٌ... وَيُنْهِي مَا وَصَلَ إِلَيْهِ وَإِلَى الْأَوْلِيَاءِ مِنَ السُّرُورِ، وَمَا رَفَعَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْإِبْتِهَاجِ مِنَ الشُّرُورِ، وَمَا طَوَّرِحَ فِي أَخْبَارِ الْمَسْرُورِ، بِوُصُولِ مَوْلَانَا وَمِنْ مَعَهُ إِلَى مَسَاكِنِ الْعَرِّ سَاكِنِينَ، وَدُخُولِهِمْ كَدُخُولِ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى مِصْرَ آمِنِينَ، وَاسْتِقْرَارِهِ فِي أَشْرَفِ مَكَانٍ وَمَكَانَةٍ... فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنْ أَقَرَّ الْعِيُونَ بِمَعَاوِدَةِ ظِلِّهِ الْوَرِيفِ، وَعَلَى أَنْ شَفَى الصُّدُورَ بِغُرْبِهِ وَأَوَّلَاهَا وَأَوَّلَاهَا صَدْرَ السَّرِّ الشَّرِيفِ، وَعَلَى أَنْ أَجَزَلَ الْهَيْاءَ وَقَدْ شَمَلَ ظِلُّهُ، وَقَدْ كَمَلَ بَابِنِ الْفَضْلِ فَضْلُهُ، وَقَدْ يَهَّرَ سِتَارَهُ وَسِتَانَهُ... وَقَدْ أَخَذَ الْمَمْلُوكُ حِظَّهُ مِنْ هَذِهِ الْبِشْرَى، وَوَالَى السُّجُودَ لِلَّهِ شُكْرًا، ... (وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا)<sup>(2)</sup>.

(1) صبح الأَعْشى، 337/14

(2) صبح الأَعْشى، 36/9

وتهنئة أخرى كتبها الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، وهي تهنئة بالبنين، وقد بدأ الرسالة بأبيات من الشعر عبر فيها عن السعادة والتهنئة المقدمة والبشارات للمتبع بالأولاد، ودعوة بتجديد المسرات والبشائر، ثم انتقل لشكر الله على نعمة الولد الموفق النجيب، ودعا له بالحياة والبقاء وطول العمر والصحة والسلامة والسعادة، وختم التهنئة ببيت شعر خاطب فيه والد المولود بأن الله قد أعطاه الحياة ليرى ولده أفضل الناس. ومن تلك الرسالة:

"هَنِّئْتُ بِالْإِسْسَعِافِ وَالْإِسْنَعَادِ وَتَقَادِ أَمْرٍ فِي الْعَدَا بِنَّةِ قَادِ

وَبَقِيَتْ مَا بَقِيَ الزَّمَانُ مَهْمَا وَوَقِيَتْ شَتْرَ شَمَاتَةِ الْخُسَادِ

حَتَّى يَخَاطِبَكَ الزَّمَانُ مَبَشِّرَا مَتَعَمَّتْ بِتِ الْإِخْوَانِ وَالْأَوْلَادِ

جدد الله في كل يوم له مسرة وبشرى، وأطاب لعرفه عرفاً وبشراً، وشد له بولده السعيد الطلعة أزاراً، وسرى به الهموم عن القلوب وأصارها لديه أسرى، ورفع درجته إلى سماء المعالي يُقال: سُبْحَانَ الَّذِي بَعْدَهُ أَسْرَى.

المملوك يخدم المولى ويهنيبه ويشكره ويطلععه على ما حصل له من الابتهاج... وظهور ميمون الغرة الذي جاء لأهله بأمان من صروف الدهر، وهو الولد العزيز الموفق النجيب، فلان، أبقاه الله تعالى ليحيا مشكوراً محمداً، وأدام عزة وعلاهُ، وأعلى نجمه وخلد شرفه وبهاه، وضاعف سناءه وسناه، وأرانا منه ما أرانا من السعادة في أبيه، فسّر وابتهج بهذه النعمة غاية السرور والابتهاج، وتأنح له له في شكر إحسان المولى...، وسأل الله تعالى أن يطول له عمراً، ويجعله لإسعاد والده وإسعافه ذخراً، ليرتعا في رياض الأعة في صحة وسلامة، ويجعلها في فناء العلاء لهما دار إقامة، ويبثها من السعادة درجة عالية لا تُرام، وتخضع لهما الليالي والأيام،...

مَدَّ لَكَ اللَّهُ الْحَيَاةَ مَدًّا حَتَّى تَرَى نَجَاكَ هَذَا جَدًّا<sup>(1)</sup>

وتهنئة أخرى كتبها الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، في تهنئة بقدم من سفر، بدأها الحلبي بمقدمة دعا الله عز وجل أن يديم ظل من سافر، يرفع محله ومكانته وهنأه بقدمه من السفر ولم تشمل الأهل بعد طول الغياب.

(1) صبح الأعشى، 37/9

ومن تلك الرسالة: " أدام الله ظلّه، ورفع محطّه، وشكّر إنعامه وفضله، وأعزّ أنصاره، وضاعف اقتداره، ولا زال مؤيداً في حركاته، مستمداً في سائر فعلاته، مصحوباً بالسلامة ...، مخصوصاً من الله تعالى بالأخوان والأنصار.

الملوك يتهي بعد تقبيل الأرض، والقيام بما يجب من سنته والفرض، علمه بحلول ركابه العالي بمغناه، واستقرار خاطره الشريف في محله ومثواه، وجمع الشمل بالأهل بعد طول الغيبة، ... ففضصف لتلك فرحه وسروره، وزل عن قلبه قليل الهمة وكثيره، فإله يمنح المولى أطيب المنازل، وأسّر الزواجل، ويجعل تجارة مجده رابحة، وأوامر دوام عزه لائحة، حتى تشد نفسه الكريمة قول أبي الطيّب .

أنا من جميع الناس أطيب منزلا وأسّر راحلةً وأرديح متجسرا  
لا زالت الأعين فريرة برويته، وقلوب الإخوان قارة بمشاهدته، والأوجه وسيمة، والتعم مقيمة، -إن شاء الله تعالى-<sup>(1)</sup>

تهنئة أخرى كتبها صلاح الدين الصفدي مهتاً القاضي إبراهيم بن محمود بن سلمان بن فهد<sup>(2)</sup> بعودته إلى منصب كتابة السر الشريف بحلب، وقد بدأ الرسالة بأبيات من الشعر تحدث فيها عن عودته الغراء التي أفرحت وجوه البشر، وأصبح حوضه مليئاً بالتهاني لهذه العودة المظفورة، وتحدث عن الابتهاج والسرور والهناء الذي حصل بفضل هذه العودة الميمونة، و أنهى رسالته بدعاء له ليديم الله تلك الأيام السعيدة .ومن تلك الرسالة :

"بعودتك الغراء فُرت نواظر وأمست وجوه البشر وهي نواضر  
فروض الأماني ظلّه بك وارف وحروض التهاني ظلّه منك وافر  
يقبل الأرض ويهني نفسه والأنام والأيام، ومن خط الطروس، وشرح برودها بالأقلام، ومن كتب الإنشاء فأخى من كلامه بين الجواهر في النظام...؛ لأن مولانا يسط الله ظله \_ بركة هذا الوجود، ومن هيات نسيمه ينشق الناس عرف الهبات والوجد، ويتهي ما حصل له من الابتهاج والسرور، و

(1) صبح الأعيى، 37/9

(2) إبراهيم بن محمود بن سلمان بن فهد الحائي القاضي جمال الدين أبو إسحاق ابن الشيخ العلامة شهاب الدين محمود، ولد سنة ست وتسعين وست مائة في شتّان، الرافي بالوفيات، 6/ 92

الهناء الذي التحف منه بالتحف وجباه الجُور، فالله تعالى يديم أيام مولانا التي هي أمان من الحوادث والغير، وجمال الكتب والسَّير، بمنه وكرمه - إن شاء الله تعالى<sup>(1)</sup> -  
ثالثاً: رسائل الشكر:

كانت هذه الرسائل تُذبح بعبارات المدح والثناء والشكر وهي تُرسل بين الأصدقاء، وتكون لشكره على هدية أو شكر على تهنئة قد أرسلها له ، أو شكر على مساعدة قد قدمها الصديق لصديقه.  
ومن ذلك رسالة شكر أرسلها إبراهيم بن محمود بن سلمان بن فهد، رد فيها على صلاح الدين الصفدي؛ الذي أرسل له رسالة تهنئة بمناسبة العودة لمنصب كتابة السر . وقد بدأ الرسالة بأبيات من الشعر وشكره فيها على التهاني والبشائر واعتذر له على تقصيره عن شكره أفضل الشكر وختمت الرسالة بدعاء له ليبلغه الله الأماني ومن تلك الرسالة:

"بفضل صلاح الدين سُررت سرائر      ووأقأت إليها بالتهنائي البشائر  
وبالسبق منه حاز كل فضيلة      فأخسائه والفضائل وأفـ  
أتاني كتابٌ منه أبهج ناطري      حتى الروضَ رَواه من السخج ماطر

يُقبل الأرض لا زالت مطأعها مشارق الأنوار، و مرايعها مراتح التهاني ومواطن المسار، وينهى ورود الشُّرف العالي، المشتمل من جوهـر البديع على ما يُجمل زهر اللألي، فقتله الملوك حين وفاقه، وأجل محله حين تلقاه،... وعظّم مولانا الكريم محيطاً بأن الملوك كان قد حُط عنه واستراح وسكن، وأغلق الدكان وزم الوطن...، ما أمكنه إلا التسليم لحكم الله وأمره، والرضا بما قدره من حلو القضاء ومهره، ولعل ذلك أن لا يكون لشرِّ قضاة الله، بل لخيرِ قدره، رزقٍ يَسره، وأجر ساقه وقزره ... وقد تقَدَّ الملوك لمولانا هذا الإحسان، وهو يعتز من التقصير عن القيام بشكر هذه العوارف الحسان، فلو كان بين يدي مولانا لا فتحة له من المعاني كل باب، واقتبس من فوائد، وفراذه ما ينظمه في سلك هذا الجواب، وإنما بُعدُه عن فضائل مولانا أوجبت له الاعتراف بتقصيره والتعويض بقيل اللفظ عن كثيره، ... والله يُبلغه من الأماني نهاية التأميل بمنه وكرمه - إن شاء الله.<sup>(2)</sup>

(1) ألحان السوايح، 42/1

(2) ألحان السوايح، 43/1

ورسالة شكر كتبها زين الدين بن الوردى إلى أحد أصدقائه، قد أهدى إليه صقورين ؛ فكتب رسالة يشكره فيها على هذه الهدية ويمدحه ويصف الصقورين . ومن تلك الرسالة: "ويتهي وصول الصقورين فسرس العبد بهذين الحزين اللذين تحن الجوارح إليهما من وجهين، ويعز على ابن المعتز أن يذكر لهما في تشبيهاته شبيهين، فوقع الصقوران من المملوك بموقع ي فوق النس، وتأمل نحوهما فإذا هما منصوبان ... فقلهما حمر كسيوفه، وأجحتهما مسيلة كفمائم يره على رعاياه وضيوفه . ومخالبهما كالمناجل لحصاد أعمار أعدائه وأعمار الطير . ومناقيرهما كالآلهة المبيثرة له ولرؤيائه بكل خير . فلسان حال كل منهما يقول لمرسليه: تفرقوا فبكسبي أجمعكم، ويخطف لهم الخطفة ويعود بسرعة، فبينما يطربرون لغيبته، تورا "طائرکم معکم" فما أحسن ما يرجع كل واحد منهما من أفاقه . وقد التزم طائر في عتقه، وكم أهلكنا في الوحش من قرون . فما أحق هذا الجبر بمقابلة الشاء عليه . وأن يمد المملوك لهاتين البيتين يديه، ومن كرامات مولانا أنه أصبح جابراً بكاسرين، فرجبا برسوله الذي إن قدم رسول بأيمن طائر، فقد قدم هو بأيمن طائرين . والسلام عليكم"<sup>(1)</sup>

وكتلك رسالة شكر بعثها الصغدني إلى نائب طرابلس يشكره فيها على هدية، وهي ثوب صوف أزرق في غاية الحسن . وقد بدأ الرسالة بتقديم الشكر الذي يليق بالنائب، وقد اختار عبارات الشكر والعرفان لتناسب المقام المرسل إليه، ثم بدأ يصف الهدية ، ثم دعا الله أن يعين المملوك على شكر هذه الهدية . ومن تلك الرسالة: "يقبل الأرض، ويتهي ورود المرسوم الكريم أعلاه تعالى، فوقف المملوك له قائماً، ... ووضع على رأسه وعينيه، فقبل الأرض وكرر ذلك، كأن مولانا - أعزه الله تعالى - حاضر والمملوك بين يديه، وراه متوجاً بالاسم الكريم فعلم أن طالعاه مسعود، وفاح أريجه... وعلم أن كاتبها حرسه الله تعالى قد تأني فيها وتأنيق، وديجها بأنواع المنتور فقابل المملوك ما فيها من الجبر والصدقة بدعاء يرفعه، والملائكة بين سراق العرش تضعه، والله الكريم لعلمه بإخلاصه يستجيب له لما يسمعه، فإن المملوك ما توهم أن العبد يركى له المولى حقوقه، ... ووصل ما تصدق به مولانا ملك الأمراء أعز الله أنصاره من الصوف... ذي لون أزرق يحسن أن يكون سماءً، ما أحسن لونه الأزرق لأن البدر أهداه، وما أحكم نسجه فإن صانعه أتقن ما أحمله فيه وسداه، ... وقد غفر المملوك به من تنوب الدهر ما مضى وما بقي، وجعل تاريخ قدومه عيداً ... والله يوزع المملوك شكر هذه الصدقات التي عم سبحانه وأغرق... ويديم الله أيام مولانا ملك

(1) عصر سلاطين المماليك، 166/5

الأمرء لمماليك أبوابه وضمائه، ويعفر بإحسانها لهم ذنوب زمانهم، فإنهم من ظله الوراف في أمانه، بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى<sup>(1)</sup>.

رابعاً: رسائل التعزية:

التعزية من الأغراض التي تناولها الكتاب في رسائلهم، وتصور تلك الرسائل المصائب الأليم وما له من وقع عظيم على النفوس، وغالباً ما تتضمن معاني الدعوة إلى الصبر والجلد والتسليم بقضاء الله وقدره، وتسليية أهل الفقيد وال تخفيف عنه، والدعاء له بالعوض، ويذكر محاسن الميت. ومن رسائل التعزية: رسالة كتبها شهاب الدين محمود الحلبي لأحد الأشخاص، يُعزّيه بوفاة ولده وقد بدأ رسالته بالحزن والأسى على فقد الولد، ثم ذكر محاسن ذلك الولد المتوفى. فقد كان أمل والده وشاح صدره وصاحب ذكر جميل، ثم ذكر والد الفقيد بأن الموت كأس يشرب منه الجميع، ثم قدم المواساة والتعزية، في هذا المصباح الجلل، وذكره بضرورة حمد الله على حلو القضاء ومرة، ثم دعا له بعظيم الأجر وطول العمر وشرح الصدر. ومن تلك الرسالة: "رزقه الله تعالى ثباتاً على رزيقه وصبراً، وجعل له مع كل عسر يسراً، وأبقاه مفدي بالأنفس والنفاس"، وكان له أعظم حافظٍ من نوب الدهر وأجلّ حارس.

المملوك يتهي علمه بهذه النازلة التي فقتت القلوب والأجساد، وكادت أن تفرق بين الأرواح والأجساد،...، ولبتلت من المدامع كل مصون، وأذابت المهج تحرقاً وتلبهاً، وجعلت كل قلب في نارٍ الأسي والأسف متقنياً، وهي وفاة ولده الذي صغر سنه، وتزايد لفقده هم المملوك وحزنه. ونجائك لا يبكي على فتر سنه... ولكن على قدر الأصل ...

ويبقى الذكر الجميل بعده، ففقد من بين أتريابه، وغيّب منظره الوسيم في لحدّه وتريابه، وسيدينا يعلم أن الموت منهل لا بد من ورده، وابن آدم زرع لا بد من حصده، وأن المنية تشمل الصغير والكبير، والجيل والحقير، والعتي والفقير، فينبغي له استعمال صبره، والاستيشار بمضايفة أجره، والله يتمتعه بأهله وطول عمره... أعظم الله أجر مولانا ومنحه صبراً جميلاً، وأجرًا جزيلاً، ... ولهذا أصدر المملوك هذه المطالعة يدعو لمولانا فيها ويعزّيه، وينيب فقيده بالسنة الأقالم ويبيّنه، ويبشّره بما وعد الله الصابرين على مثل هذه الرزية ويسئله... وعلى كل حال فهو أجدر من استعان على هذه

(1) أعيان العصر، 425/5.



الحادثة بصبره، وشرح لما قد فُتّر فسيح صدره، وشكر الله على حلو القضاء ومره...، وثاني القمرين أقل فقام مقامه هلال قدم من سفر، وفي بقاء المولى ما يوجب التسليم للقنر والقضاء، والشكر لله تعالى في حالتي الشدة والترخاء، جعله الله في حرز لا يزال حزيناً مكيناً، وحسن على ممر الأيام حصيناً. وله: أعظم الله أجره، وأطال عمره، وشرح صدره، وأجزل صبره، وسخر له دهره...<sup>(1)</sup>

وتعزية أخرى كتبها شهاب الدين محمود الحلبي إلى الأمير عز الدين الحموي، يعزیه ويواسيه فقد بولده. وقد بدأها بإظهار الحزن والأسى على هذه المصيبة التي حلت، فهي مصيبة صدّعت القلوب وشغلت العيون بالبكاء، وانتقل لمدح الميت وذكر محاسنه فقد كان شمساً في أهله شجاعاً أسداً شامخاً، ثم انتقل للحديث عن العبد المؤمن عند موته بلا أوزار ولا فتنة بالدين فسيعطيه الله نوراً، ثم ذكّره بضرورة الرضا بقضاء الله وقدره وحمد الله على ما بقي لديه من الأولاد، فهم عز له. وختم التعزية بدعاء ليعظم الله أجره ويجعله ذخراً للإسلام، ولا يسمع تعزية بعدها ومن تلك الرسالة: "المملوك يُقتل اليد الكريمة، وينتهي أنه النّبأ الذي صدّع قلبه، وشغل بالبعاء طرفه وبالأسف لسانه وبالحنن لبّه؛ وهو ما قدره الله تعالى من وفاة المولى الأمير ركن الدين عمر -تغمده الله برضوانه- الذي اختار الله له ما لديه، ... على أن الدين فقد منه زكناً شديداً، ورأياً سديداً، وعزماً وحرماً معيناً مفيداً، وأميراً أردنا أن يعيش سعيداً، فأبى الله إلا أن يموت شهيداً؛ إقانا لله وأنا إليه راجعون". ... وللمواكب بطلوع طلّغته أي إشراق، وللعيون عن مشاهدة كماله وأبهته جلالة أي إغضاء وأي إطراق. والله... أي شمس ما رأته الجوّاري الكئس إلا قلن: "حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك!"; وأي حصن كانت منه ثمار الشجاعة تُجتنى، ... وإذا انتقل العبد إلى الله تعالى غير مفتون في دينه...؛ وعبّط بقومه على أكرم الأكرمين مسروراً، ولقي الله وقد جعل في قلبه نوراً وفي سمعه نوراً وفي بصره نوراً. والمولى أعزه الله تعالى أولى من تلقى أمر الله بالتسليم والرضا، وقابل أقاربه بأن الخيرة فيما قدر وقضى؛ وحمد الله على ما وهب من بقاء إخوته الذين فيهم أعظم خلف، وأجمل عوض... والله تعالى يجزل له من الأجر أوفاه، ويحفظ عليه - وقد فعل - أخراه؛ ويجعله للإسلام ذخراً، ولا يسمعه مع طول البقاء بعدها تعزية أخرى.<sup>(2)</sup>

(1) صبح الأعشى 82/9.

(2) نهاية الأرب في فنون الأدب، 5/176.



وتعزية أخرى كتبها تقي الدين بن حجة الحموي بوفاة المقر الأشرف صارم الدين إبراهيم بن المؤيد<sup>(1)</sup>. وقد بدأ التعزية بإظهار الحزن والأسى والألم لحلول هذه المصيبة، ووصف حال الناس عند سماع هذا الخبر ودعا للميت بالرحمة.

ومن تلك الرسالة: "أعز الله أنصار المقر الكريم وأحسن عزاءه وأعظم أجره، وأفرغ عليه دروع الصبر فإن سهام هذه المحنة مصيبة لمن فقد صبره... صدرت هذه المكاتبة تشرح له دوحة صدرنا الشريف فقدت ثمرة الفؤاد، اشتغل الناس بزيادة الدمع من زيادة البحر وكل من البحرين طما وزاد.

وتبدى لعلمه الكريم فقد المقر الأشرف ، روى الله من غيث الرحمة ثراه، وسقى نباته الحسن ورجاه، فبإله من رزقه حثا التراب في وجهه البذور... علا نغمته فأخذت نبات نمش حظها من عزائه، ومشى على الماء من دموع الناس فاستوت المياه والأخشاب عن بكائه. وصلينا عليه وعلى المحاسن يوم الجمعة، وماتت مكارم الأخلاق لموته قد دفت معه، وترفعت تربته على الشهب لما ضمت الكرم ... فرحم الله ذلك الصارم الذي قطع مسراتنا بعده، وتجاوز الحزن عندنا لفقده حده، ولقد زلنا رجوع الناس عن شدة الحزن عليه علماً بأنهم سامعون، فقالوا عند إقبال مُصيبته: "إنا لله وإنا إليه راجعون". والله تعالى يُحسن له العزاء في هذا المصاب، ويحسن أيضاً ختامه بجزيل الثواب. بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم".<sup>(2)</sup>

خامساً: رسائل العتاب

إنها رسائل تحللت مكاناً مميزاً بين أنواع الرسائل الاجتماعية، والعتاب لا يكون إلا لمن أحبه الشخص ، وفي رسالة العتاب \_ غالباً \_ ألفاظ تدل على المحبة و المودة . ومن تلك الرسائل رسالة كتبها شهاب الدين محمود وقد ذكر فيها محاسن صديقه الذي يعاتبه، وأثنى عليه ومدحه. وقد دمجها بأبيات من الشعر في العتاب. ومن تلك الرسالة: "ويتهي أنه ما زال يتلو آيات محاسنه وحمده، ويرفع رايات إحصائه ومجده، ويتولاه ولا يتولى عن محبته، ويكثر الثناء على المعوي فطنته وجزيل مزرعته، وقد صار يُنْشَاه من المولى صُدُوداً، وأعراضاً يَغِيظُ به صديقاً وَيَسُرُّ به حَسُوداً، ... يُوجب

(1) إبراهيم بن شيخ الأثير صارم الدين بن المؤيد أبي الأئصر المحمودي الطاهري. توفي ليلة الجمعة خامس عشر

جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرون وثمانمائة. الضوء اللامع : 1/ 53 والمتهل الصافي لابن تغري بردي، 82/1

(2) فقهرة الإنشاء، 294

إبعاده، ... ولا يعلم سبباً يوجب سببه، ولا شيئاً يحدث عتبه، مع أن المملوك أحق أن يبداً بالإعراض، ويرْفَل من إغفال موثته في الثوب الفضفاض، فإن المولى آلمه بالقول مراراً، وجعل سحابة حيقه تهمي عليه مدراراً، وهو يحتمل الأذى ...، ولا يظهر إلا محبة، ولا يُبطن له إلا مودة، فإن شاهد المولى بعد إعراضه إعراضاً فليتم نفسه، أو أحرقه لهب نار الجفاء فلا يشكو مسه، يُحيط بذلك علماً، ورأيه العالِي.

مولاي قد طال التباعد بيننا أو ما سميت قطيعتي ومالاي؟  
إن لم ترق لحالتي يا هاجري مولاي قل لي من يرق لحالي<sup>(1)</sup>  
و رسالة عتاب أخرى كتبها جمال الدين بن نباتة يعاتب الصفدي، وقد عبر فيها ابن نباتة عن حاله من كسر للخاطر، وعدم سعادته بسبب جفاء وانقطاع صلاح الدين الصفدي عنه واعتبر أن هذا العتاب ما هو إلا دليل على المحبة والشوق. وقد عبر عن شوقه ولهفته لتعود المياه إلى ما كانت عليه سابقاً ودعا له في نهاية الرسالة بالبقاء والإعانة من الله عز وجل.  
ومن تلك الرسالة:

"رضيت بالكتب بعد أقرب فأنقطعت  
حتى رضيت سلاماً في حواشيها  
ويتهي أنه كان كسير الخاطر، حسير الناظر، لانقطاع بر مولانا الممتاز ولامتناع المؤمنك من المكتبة ظناً أن بينها وبين القصد حجاز...

لا تفرعن سماع ممن تهوى بتعدادك الكذوب  
مما نناقش الأجباب إلا ممن يعيش بسلام حبيب  
وقد علم الله شوق المؤمنك إلى تلك الخلائق وبيعها، والألفاظ وبيعها، وشجوه الذي أخفى الجاد...  
لم يترك الدهر لي خلا أسر به إلا اصطفاه بتأيي أو بهجران

والله تعالى يحرس مولانا حيث كان، ويمده بمعونتي المكنان والإمكان، ويصون نفاسة نفسه وإن تعيرت على أحبابها، وأعرضت عن غلماتها، ... المؤمنك يقبل يد الجباب الأخوي البرهاني شكر الله

(1) صبح الأعشى، 197/9.

إحسانه، وأوضح في استخفاف رتب الفضل برهانه، وود المملوك لو رآه عند القدوم من حلب فكان يوفي بعض قروض فضله وقروض بذله، ولكن أبي الحال المتأسب إلا أن تبدأ هديّة ذلك المولى تحيته فيقابها المملوك ببخله يا مؤلانا بلغ المملوك تقدم المقر الفلاني وتبينه وتعينه وأراد المملوك مطالعته<sup>(1)</sup>.

---

(1) الراعي بالوفيات، 240/1.

## المبحث الثالث الرسائل العلمية

إن الرسائل العلمية لها أهمية كبيرة عند العلماء والأدباء كونها وسيلة دالة على المكانة العلمية والأدبية التي وصلوا إليها، وهي من الأمور المُمترقة التي يُسعى لها يشتى الوسائل للحصول عليها. وتقسم الرسائل العلمية إلى: إجازات علمية، وإجازات عرضة، وإجازات بالرواية الأدبية.

وقبل التفريق بين كل واحدة منها والتعرف عليها لا بد من التفريق بين الإجازة والاستحابة، فالاستحابة: "طلب الإجازة - رسالة يكتبها أحد الأدباء إلى صديق له أديب يطلب منه أن يمنحه إجازة برواية آثاره الأدبية. أو إجازة بالتدريس، أو إجازة لرواية كتب معينة... أما الإجازة فهي رسالة يرث بها الأديب على من استحابه ويسمح له ويأذن برواية الكتب أو التدريس"<sup>(1)</sup>.

### أولاً: الإجازة العلمية

**إجازة الإفتاء أو التدريس:** فهي شهادة يمنحها أحد الشيوخ لواحد من طلابه بعد أن يجتبره في مادته العلمية، ويتأكد من أنه قد فهمها فهماً جيداً يؤهله للتصدي للإفتاء أو التعليم، وهي أعلى الإجازات الدراسية حينذاك، ولقد كان كثير من الطلاب يحرصون على الإكثار منها، وذلك بالترام عدد من شيوخ العلم<sup>(2)</sup>.

ومن ثم تعد إنشأ الطالب للتدريس بعد اجتيازه لقواعد معينة، وهداً معيناً، حيث يقول الفقهندي: "أما الإجازة بالفتيا فقد جرت العادة أنه إذا تأهل بعض أهل العلم للفتيا والتدريس أن يأذن له شيخه في أن يُفتي ويُدرس ويكتب له بذلك"<sup>(3)</sup> وهذه الإجازة لها أهمية في نفس الطالب لأنها تعطيه الإذن بالتدريس، وتساعد على الحصول على وظيفة في مجال العلم وهذا يفتح مجال وصوله للمناصب العليا في الدولة.

وهي بهذا تشبه الشهادات العلمية التي تُمنح للطلاب في هذا الوقت وبها يُسمح له بالدخول إلى الوظائف، ولقد كان الطلاب حريصين كل الحرص على لقاء أشهر الشيوخ أغلب الوقت؛ ليتعلموا منه

(1) ينظر: الأدب العربي وتاريخه عصر المماليك: سليم، 32

(2) السابق، 32

(3) صبح الأعشى، 14/364

ويأخذوا العلم الوفير ليساعدهم ذلك على أخذ الإجازة، وإن أعدد الطلاب الراغبين في الحصول على الإجازات كثيرة جداً.

ولكن إجازات الشيخ والأدباء لم تكن تُعطى اعتباراً وبغير وعي، بل لا بد من التأكد من أن الطالب مواظبٌ على طلب العلم، وحريص عليه ومثابر، وحريص على لقاء أشهر الشيوخ بكل الوسائل؛ بمعنى أنهم كانوا يقدرون الأمانة حق تقديرها.<sup>(1)</sup>

وعالماً ما تبدأ الإجازة بمقدمة يُحمد الله عز وجل ويثني عليه، مع بعض الإطالة في الحمد، ثم الصلاة على النبي الكريم، ثم حديث عن العلم المراد إجازته أو عن رواية الشعر، أو النثر، أو التأليف، ويُمدح كل من المحييز وتُذكر المنزلة العلمية الخاصة به، والمجاز وتُذكر محاسنه ومزايه، ثم الإجازة أو الإذن، وفي أغلب الإجازات تورد التوصية للطالب ليسير وفق منهج علمي سليم ثم الدعاء بالتوفيق وزيادة الفضل.

ومن تلك الإجازات: إجازة العلامة سراج الدين بن الملقن<sup>(2)</sup> لتلميذه شهاب الدين القلقشندي، بتدريس فقه الشافعي. بدأ الإجازة بمقدمة حمد الله عز وجل على نعمة العلم، وأكثر من حمده وشهد له بالوحدانية، وصلى على رسوله الكريم، ثم انتقل للإشادة بعلم الشريعة، وبين منزلة هذا العلم بين العلوم وضروريته لمصالح الناس في الدنيا والآخرة، وقد عظم مكانة من حفظها وتعلمها، ولمتح بأن هذا العلم من أقوى أسباب العبادة، ثم ذكر المحييز وبين ما امتاز به من فضائل، ثم عرض الإجازة والإذن، ثم التوصية بما ينبغي أن يتبعه، وهو دستور علمي قويم، ثم الدعاء للمجاز بالتوفيق، وختمها بقوله: حسبنا الله ونعم الوكيل. ومما زادها مكانة وقيمة أنها كتبت بخط القاضي تاج الدين بن غنوم؛ موقع الحكم العزيز بالإسكندرية. ومن تلك الإجازة: "الحمد لله الذي رفع للعلماء مقدراً، وأجزل نعمه عليهم، إذ أعلى لهم مناراً...، أما بعد، استقر عند ذوي القلوب السليمة والمعقول الراجحة المستقيمة، أن منزلة علم الشريعة عند الله تعالى أعلى المنازل، وفضله أفضل المآثر،...ولما كان فلان - أدام الله تعالى تسيده وتوفيقه، ويسر إلى الخيرات طريقه - ممن شئب وثقأ في طلب العلم والفضيلة، وتخلق بالأخلاق الجميلة الجليلة،... استخار الله تعالى سيدنا وشيخنا وبركتنا العبد الفقير إلى الله تعالى، الشيخ الإمام العلامة، فريد دهره،... جمال العلماء، أوحد الفضلاء، عمدة

(1) ينظر: عصر سلاطين المماليك، 5/183-184

(2) صبح الأعشى، 14/322

الفقهاء، سراج الدين أبو حفص عمر، مفتي الإسلام والمسلمين... وأنّ وأجاز لفلان المسمّى فيه، آدم الله تعالى معاليه، أن يدرس مذهب الإمام المجتهد المطلق العالم الربّاني، أبي عبد الله محمد بن إدريس المطلبّي، الشافعيّ، رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجتّة متقبّله ومثواه، وأن يقرأ ما شاء من الكتب المصنّفة فيه، وأن يفيد ذلك لطالبه، حيث حلّ وأقام، كيف ما شاء متى شاء وأين شاء، وأن يفتي من قصد استفئاه خطأ ولفظاً، على مقتضى مذهبه الشريف المشار إليه. فليتنقّ أيده الله تعالى هذه الحلة الشريفة...، وليعلم قدر ما أنعم الله تعالى عليه، وأسدى من الإحسان الوافر إليه،... ولا يستكف أن يقول فيما لا يعلم: لا أعلم، فذاك قول سعيّد قائله. وقد جاء: «جتّة العالم لا أدري»؛ فالله تعالى يبرزنا وإياه التوفيق والتحقيق...، ويهدينا إلى سواء السبيل، فهو حسينا ونعم الوكيل.<sup>(1)</sup>

وهذه إجازة أخرى كتبها فتح الدين بن سيد الناس لصلاح الدين الصفدي، بعد أن قام صلاح الدين الصفدي باستجازة فتح الدين، ليقوم برواية جميع أنواع العلوم من تفسير لكتاب الله وسنة رسوله، وأثر التابعين، وكتب الأدب من قول منظوم ومثور، وتأليف، ولقد أجاز فتح الدين صلاح الدين. ولقد بدأ هذه الإجازة بعقمة حمد الله عز وجل على ابتعائه لحمد بأنواره الساطعة، وصى على رسوله الكريم، ثم بدأ يمدح الصفدي بأسمى ألفاظ المدح، ثم أورد الإجازة، وأن له فيها بإصلاح ما تعثر عليه بالزك والهم، وإن دل هذا على شيء يدل على المكانة العلمية التي يتحلّى بها الصفدي، ثم أوصاه بالتحري والتأكد قبل نشر أو تعليم أو رواية شيء من مؤلفاته، ودعا له بالتأييد والتوفيق. ومن استجازة الصفدي:

"...إجازة كاتب هذه الأحرف جميع ما رواه من أنواع العلوم، وما حمّله من تفسير لكتاب الله تعالى، أو سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أثر عن الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم - ومن بعدهم إلى عصرنا هذا يسمّاع من شيوخه أو يقرأه من لفظه، أو سماع يقرأه خيره، أو بطريق الإجازة خاصة كانت أو عامّة أو باذن أو مناولة أو وصيّة كيف ما تأدى ذلك إليه إلى غير ذلك من كتب الأدب وغيرها. وإجازة ما له من مقول نظماً ونثراً وتأليفاً وجمعاً في سائر العلوم،"<sup>(2)</sup>.

(1) صبح الأعشى، 322/1

(2) الراوي بالوقفات، 1/231

ومن إجازة فتح الدين للصفدي: "الحمد لله المُجيب من دَعَاة القَرِيب مِمَّن نادى نداءه الَّذِي ابتعث مُحَمَّدًا ، ... صلى الله عَلَيْهِ وعلى آله وَصَحْبِهِ ...، وسلم عَلَيْهِ وَكَتَبَهُم تَسْلِيمًا عَذْبًا، قَلَمًا كَتَبْتَ أَيُّهَا الصَّخْر الَّذِي يَشْرَح الصُّدُور شِفَاءً، والبر الَّذِي يبهز الدور سنا وسناء... ولاقياس أنوار العلم طالبا...، وقد ألبسته الفصاحة ما ألبسته من حسن تِلْكَ الفظة... فالآداب حرسه الله تَعَالَى رياض هُوَ مَجْتَنِي غُروسها، وسماء هُوَ مَجْتَنِي أقمراها وشموسها، ... وسبق الغائتين، وحوز البراعتين، وسر الصناعتين، وهُوَ مجمع البَحْرين ...، أن أُجِز لك ما عُدِّي، فَكأنما أَلزمتني أن أتجاوز حدي، تولا الأُفُور بأن الرّواية عن الأقران نهج ، والأعْزاف بأن للكبير بأن للكبير من بحر الصَّغير الاعتراف ...، فنعَم قد أُجِزت لك ما رويته من أنواع العُلُوم، وما حَمَلته على الشَّرْط المَعْرُوف والمَعْرُف المَعْنُوم، وما تضمّنه الاستدعاء الرقيم، بخطك الكَرِيم، ممَّا اقتحده زندي ، وما صدر عن قريحتي من النثر والأنظم...، وقد أُجِزت لك ... أن تروى عني ما لي من تصنيف أبقيته، في أي معنى انتقيته، وأجِزت لك أيديك الله جَميع ذلك، بِشَرْط النَّحْرِي فيما هُنَّاك، تبركاً بالأخول في هَذِهِ الحلبه،"<sup>(1)</sup>.

إجازة أخرى كتبها جمال الدين بن نباتة، لصالح الدين الصفدي، بعد أن قام الصفدي باستحارة ابن نباتة لرواية المصنفات من أحاديث نبوية ومؤلفات أدبية، وإجازته لبروي نظماً ونثراً وتالياً، وقد بدأ الاستحارة بمقدمة حمد الله عز وجل، ومدح جمال الدين، ثم طلب الإجازة لرواية المصنفات على اختلاف أنواعها، وفي نهاية الاستحارة ذكر نسبه ومولده ومكانه. ومن استحارة الصفدي: "الحمد لله على نعمائه السؤل من إحسان سيدنا الشيخ الإمام العالم العلامة رحمة أهل الأدب...، جمال الدين أبي عبد الله محمد بن نباتة جمع به الله به شتات أهل الأدب... إجازة كاتب هذه الأحرف فسح الله له في مدته من رواية المصنفات في الأحاديث النبوية، والتأليفات الأدبية على اختلاف أوضاعها وتباين أجناسها وأنواعها بحسب ما يؤدي ذلك إليه اتصال به من سماع وإجازة أو وصية، أو إجازة من مشايخ العلم الذين أخذ عنهم وإجازة ما له أحسن الله إليه من يقول نظماً ونثراً أو تالياً أو وضعاً، إجازة خاصة، وإثبات ماله من التصانيف إلى هذا التاريخ بخطه الكريم، وإجازة ما لعله يقع بعد ذلك إجازة عامة... فإن الرياض لا ينقطع زهرها والبحار لا ينفد درها، خليل بن أبيك بن عبد الله الألبكي بالقاهرة المحروسة، وحسبنا الله ونعم الوكيل"<sup>(2)</sup>.

(1) الروفي بالوفيات، 231/1

(2) تمام المتن ، 7 وأيضاً المنهل الصافي، 244/5



ثم رد ابن نباتة على الصقلي وأرسل له إجازة، وقد بدأها بالبسلة وحمد الله عز وجل وبالصلاة على سيدنا محمد، ثم استطرد الأستاذ المجيز وأفاض في ذكر محاسن المستجيز وتحدث عنه وعن آدابه حديثاً شائقاً، واستمر ابن نباتة يثني على صاحبه، ثم تحدث عن نفسه مبدياً تواضعه مع مدح الصقلي، ثم انتقل لعرض إجازته للصفي لبروي المسموع والمأثور والمنظوم والمتنور. وأورد مكان وتاريخ ولادته وعدد بعض الشيوخ الذين روى عنهم وتلمذ على يديهم، وأورد أيضاً المصنفات التي ألفها وأجاز له أن يروها.

ومن تلك الإجازة: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أما بعد الحمد لله الذي إذا توجه ذو السؤال إليه فأن، وإذا استدعى كرمه ذو الطلب أجاب وأجآن، والصلاة على سيدنا مُحَمَّد...، وعلى آله وصحبه... بدأتني أعزك الله من الوصف بما قل عنه مكاني، واضمحل عياني، وكاد من الخجل (يضيق صدري ولا يُطلق لساني)، وحمّلت كاهلي من الأمن ما لم يستطع...، سألتني...، أن أجيبك وأجيزك،... وأقابل لسنتك المطلق بلساني المحصور...، فتحيرت بين أمرين أمرين، ووقع ذهني السقيم بين دائن مضرين، إن فعلت ما أمرت فما أنا من أرباب هذا القدر العالي، والصدر الحاني، ومن أنا من أبناء مصر حتى أقدم لهذا الملك العزيز، وكيف أطلب مع إقرار علمي بأن أجيب وأجيز... وأن منعك فقد أسأت الألب والمطلوب حسن الألب مني... وأجزت لك أن تروى عني ما تجوز لي روايته من مسموع ومأثور، ومنظوم ومثور، وإجازة ومأولة ومراسلة ونقل وتصنيف... فأما مولدي فبمصر... وأما شيوخ الحديث الذين رويت عنهم سمّاعاً وحضوراً فمن أقدمهم الشيخ شهاب الدين أبو الهيجاء... وأما مصنفاتي التي هي كالياسمين لا تتأوي جمعها... (كتاب مجمع الفوائد) (كتاب القطر النباتي)... أجزت لك أعزك الله روايتها عني ورواية ما أدونه وأجمعه بعد ما حسبنا اقترحه استدعاؤك ونمقه ونسخه وحققه وتضمنه سؤالك الذي تصدقت به على فمك السؤال ومنك الصّدقة والله تعالى يشكر عهدك الجميل، وكلما تك الجزلة وكرمك الجزيل، ويمتد فنون الفضائل المليحة إلى ظل قمك الظليل، ولا يُقدم الأحباب الآداب من اسمك وبسمك خير صاحب وخبيل...<sup>(1)</sup>.

(1) الروابي بالوفيات، 1/236

وهذه إجازة أخرى كتبها العلامة أثير الدين أبو حيان<sup>(1)</sup> بعد أن قام صلاح الدين الصفدي بإرسال استجازة لأبي حيان لرواية المصنفات الأدبية والدينية وغيرها من العلوم المختلفة، وإجازته لرواية مؤلفات أبي حيان .

ومن استجازة الصفدي "المسؤول من إحصان سيدنا الشيخ الإمام العالم العلامة لسان العرب، ترجمان الأديب ، ، جامع الفصائل... إجازة كاتب هذه الأحرف ما رواه- فسبح الله في مدته - من المسانيد والمصنفات والستين والمجاميع الحديثية، والتصانيف الأدبية نظماً ونثراً إلى غير ذلك من أصناف العلوم على اختلاف أوضاعها، وتباين أجناسها وأنواعها، ممّا تلقاه ببلاد الأندلس وإفريقية، والإسكندرية والديار المصرية، والبلاد الحجازية، وغيرها من البلدان بقراءة أو سماع أو مناولة أو إجازة خاصة أو عامة كيف ما تآدى ذلك إليه، وإجازة ما له أدام الله إفادته من التصانيف في تفسير القرآن العظيم والعلوم الحديثية والأدبية وغيرها وما له من نظم ونثر إجازة خاصة وأن يثبت بخطه تصانيفه إلى حين هذا التاريخ وأن يُجيزه إجازة عامة لما يتجدد له من بعد ذلك على رأي من يراه ويجوزة منعماً متفضلاً إن شاء الله تعالى"<sup>(2)</sup>.

فرد أبو حيان على الصفدي وأرسل له الإجازة التي بدأها بعبارات المدح والفخر، والدعاء له بالتأييد والتوفيق، ثم أورد الإجازة لرواية كل مصنفاته من نظم ونثر، ثم عدد له بعض الشيوخ الذين قرأ عليهم، والشيوخ الذين روى عنهم بالسماع أو القراءة، وعدد بعض الأدياء والنحاة الذين كتب عنهم وعدد بعض مؤلفاته.

ومن إجازة أبو حيان: "أعزك الله ظننت بالإنسان جميلاً فغليت، وأبديت من الإحصان جزيراً وما باليت، ...، يا ابن الكرام وأنت أبصر من يشيم، ... أما أختك فواضلك وفضائك، ومعارفك وعوارفك... وتأرجت الأكوان من أريج فحاتك، ولأنت أعرف بمن تقصد للدرية، ... وقد أجزت لك أيدك الله جميع ما رويته عن أشياخي بجزيرة الأندلس وبلاد إفريقية وديار مصر والحجاز وغير ذلك بقراءة وسماع ومناولة وإجازة بمشافهة وكتابة، وجميع ما أُجيز لي أن أرويه بالثناء والعراق وغير ذلك، وجميع ما صنفته واختصرته وجمعهه وأنشأته نثراً ونظماً، وجميع ما سألت في هذا الاستدعاء، فمن مروياتي الأكتاب العزيز قرأته بالقرارات السبغ على جماعة من أعلام الشيخ فخر الدين أبو

(1) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، فريد العصر وشيخ الزمان. الروفي بالوفيات، 175/5

(2) السابق، 181/5

الظاهر إسماعيل بن هبة الله المصري... وأما شيوخي الذين رويت عنهم بإسماع أو القراءة فهم كثير... فمنهم القاضي أبو علي الحسن بن عبد العزيز بن أبي الأخص القريشي... وممن كتبت عنهم من مشاهير الأدباء البوصيري، التلمساني، الورلق... وأما ما صنفت فمن ذلك البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم، إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب كتاب الأسفار، كتاب التذيل والتكميل في شرح التسهيل...<sup>(1)</sup>

وإجازة أخيرة كتبها ركن الدين بن القريع إلى صلاح الدين الصفدي، بعد أن استجازه الصفدي لرواية المنثور والمنظوم والجمع والتصنيف. ولقد أرسل ابن القريع الإجازة برواية الشعر والنثر أو تأليف كتاب، وقد بدأ الإجازة بحمد الله عز وجل خالق السماء والأرض، وصلى على رسوله الكريم وعلى آله وصحبه.

ثم أورد الإجازة للصفدي بجزء رواية ما يرويه ابن القريع من أقوال أو مصنفات. ودعا له بالتوفيق بالقول والفعال، وزيادة من فضل الله عليه.

ومن الاستحارة: "المسؤول من إسمان سيدنا الشيخ الإمام العالم العلامة الكامل جامع شتات الأنفائيل وارث علوم الأوائل حجة المناظرين سيف المتكلمين .

سباق غايات السورى في بحثه فالبرق يسرى في السحاب بحجته ويهبط منه بالمصواب صبا لها برز على الأبياد سادة نفة ويضوع من تلك المباحث ما يرى أشهى من المسك السحيق ويشه المنكّم الذي ذهلت بصائر أولي المنطق نحوه، وأنتجت مقدماته المظروب عبوة... إجازة كاتب هذه الأحرف ما له من مقول منظوم أو منثور وضع أو تأليف، جمع أو تصنيف، إلى غير ذلك على اختلاف الأوصاف، وتباين الأجناس والأنواع"<sup>(2)</sup>.

ومن الإجازة: " يقول العبد الفقير إلى رحمة ربه، وعفوه عما تعاطم من ذنبه، محمد بن محمد بن عبد الرحمن القرشي الجعفري المعزوف بابن القريع، بعد حمد الله ذي المجد والسناء والعظمة والكبرياء، الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء، خالق الأرض والسماء، وجاعل الإصباح والإمساء،

(1) الرافعي بالرفيات، 182/5

(2) السابق، 191/1

وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى مَا مِنْ بِهِ مِنْ تَضَاعُفِ الْآلَاءِ، وَتَرْدِافِ النِّعَمَاءِ، نَحْمَدُهُ وَنُذَكِّرُهُ، وَنُعْبِدُهُ وَنَشْكُرُهُ، لِنَقْرَهُ بِاسْتِحْقَاقِ ذَلِكَ، وَتَوْفُرِ مَا يَسْتَعْرِقُ الْحَمْدَ وَالشُّكْرَ فَهَذَاكَ، مَعَ مَا خَصَّنَا بِهِ مِنَ الْعِلْمِ، وَأَضَاءِ بِهِ بِضِيَانِهَا مِنْ نُورِ الْفَهْمِ، وَنُصَلِّيْ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ فَازُوا مِنْ كُلِّ فَضْلٍ يَعْظُمُ الْحَظُّ وَوَفُورِ الْقِسْمِ، أُجِزْتَ لِقَلَانِ وَتُذَكِّرُنِي

جَمَاعِ أَشْكَاتِ الْفَضَائِلِ وَاللُّذِي سَبَقَ السِّرَاعَ يَبْطِئُهُ وَيَمَكِّثُهُ فَكَلَّانَهُمْ يَتَفَتَّحُونَ بِجِجْدِ دَوْلٍ وَيَسِيرُ فِي سَهْلِ الطَّرِيقِ وَيُرْثُهُ

جَمِيعِ مَا يَجُوزُ لِي أَنْ أُرَوِّبَهُ مِمَّا رَوَيْتَهُ مِنْ أَصْنَافِ المَرْوِيَّاتِ أَوْ قَاتِنَهُ نِظْمًا أَوْ نَثْرًا أَوْ اخْتِصَتْهُ مِنْ مَسْأَلَةٍ عِلْمِيَّةٍ مَفْتُوحًا، أَوْ اخْتَرْتَهُ مِنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ وَاسْتَبْتَبْتَ الدَّلِيلَ عَلَيْهِ مَرَجِحًا، مِمَّا لَمْ أَصْنَعُهُ فِي تَصْنِيفٍ وَلَا أَجْمَعُهُ فِي تَأْلِيفٍ عَلَى شَرَطِ ذَلِكَ عِنْدَ أَهْلِ الْأَثَرِ

وَقَفَّيْهُ لِمَا لَمْ يَرْضُضْ لِي فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَمَا يَذُرِّي وَرَاذَهُ فَضْرًا إِلَّا أَلَى فِي فَضْلِهِ بِمَا بِهِ يَأْمَنُ فِي الْحَثْرِ (1)

ثانيًا: إجازة العراضة

إنها إجازة علمية أيضاً وتشبه إجازة الفتياء والتدريس، مع فرق بسيط بينهما، وهو أن إجازة العراضة موضوعها التأكد من حفظ الطالب لكتاب أو كتب معينة يعرضها على شيخه، فيقوم الشيخ باختبار بعض المواضيع من الكتاب لاختباره فيه، وإذا تأكد من تمام حفظه أعطاه ومنحه إجازة العراضة ليروي هذه الكتب. وسميت عراضة لأن الطالب يعرض على شيخه ما يحفظه. (2)

ويقول القفطندي في هذا الموضوع: "أما الإجازة بعراضة الكتب، فقد جرت العادة أن بعض الطلبة إذا حفظ كتاباً في الفقه، أو النحو، أو غير ذلك من الفنون، يعرضه على مشايخ العصر، فيقطع الشيخ المعروف عليه ذلك الكتاب، ويفتح منه أبواباً ومواضع، يستقرئه إياها من أي مكان اتقى، فإن مضى فيها من غير توقف ولا تلثم، استدل بحفظه تلك المواضع على حفظه لجميع الكتاب، وكتب له بذلك كل من عرض عليه، في ورق مريح صغير، يأتي كل منهم بقر ما عنده من

(1) الروافي بالرفيات، 192/1

(2) ينظر عصر سلاطين المماليك، 190/5

الملكة في الإنشاء، وما يناسب ذلك المقام من براعة الاستهلال فيكتب: «وكانك عرض عليّ فلان»، أو: «عرض عليّ وكتبه فلان»<sup>(1)</sup>.

ومما يزيد إجازة العراضة قيمة مكانة الأستاذ المجيز، ولا تكتب الإجازة إلا بعد التأكد من حسن حفظ الطالب.

وعالياً ما تكون إجازة العراضة مبدوعة بمقدمة يمد الكاتب الله فيها حمداً يليق بجلال وجهه الكريم، ويصلي على سيدنا محمد أفضل صلاة وأتم تسليم، ثم يتحدث عن موضوع الإجازة، ويمدح الطالب مدحاً يستحقه على حفظه وفهمه، ثم يورد نص الإجازة، وفي بعض الأحيان كان يختم الإجازة بدعاء للطالب.

ومن تلك الإجازات:

إجازة كتبها العلامة بدر الدين محمد بن أبي المخزومي المالكي لشهاب الدين الشافعي<sup>(2)</sup>، حيث عرض عليه كتاب: "عدة الأحكام" للحافظ عبد الغني<sup>(3)</sup>، وشذور الذهب للشيخ جمال الدين بن هشام المصري<sup>(4)</sup>.

ولقد بدأها بحمد الله عز وجل والصلاة على رسوله الكريم وعلى آله وصحبه الذين بنوا كل الأمور على أساس التقوى، ثم تحدث عن موضوع الإجازة وهو عرض شهاب الدين أبو العباس طائفة متفرقة من كتابي عدة الأحكام وشذور الذهب . عرضاً جيداً يؤكد حفظه وصحة عرض الكتابين، ومن ثم إجازته لرواية هذين الكتابين وقد خُتمت الإجازة بدعاء له . ومنها: " أما بعد الحمد لله على كرمه الذي هو عمدتنا في النجاة يوم العرض...والصلاة والسلام على سيدنا محمد...وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً... فقد عرض عليّ الجواب...الشهابيّ، شهاب الدين... أبو العباس

(1) صبح الأعيشى ، 36/14.

(2) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن المسلم بن هبة الله بن حسان بن مُحَمَّد بن مُصَوَّر بن أحمد شهاب الدين الشافعي الحمويّ ولد في شَوَّال سنة 674، الدرر الكامنة، 208/1.

(3) عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المفسري الحنبلي الحافظ الإمام. أورد زمانه في علم الحديث والحفظ؛ تقي الدين أبو محمد الزاهد العابد، صاحب العمدة والكمال وغير ذلك من التصانيف. نزل مصر في آخر عمره، ومات بها يوم الاثنين ثالث عشر من شهر ربيع الأول سنة ستمائة؛ وله تسع وخمسون سنة، حسن المحاضرة، 1/ 354 .

(4) عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام: من أئمة العربية. مولده ووفاته بمصر. الأعلام، 4/ 147.

أحمد ابن سيدنا المقر الكريم العالي،... أطاب الله حديثه، وجمع له بالإعراب عن علو الهمة قديم الفضل وحديثه - طائفة متفرقة من «عمدة الأحكام» للحافظ عبد الغني المقدسي، و «شذور الذهب»، للعلامة جمال الدين بن هشام - رحمة الله عليهما - عرضا قصرت دونه القرائح على طول جهدها، ... وأذن امتحانه فيها بأن جواهر الكتابين قد حصلت بمجموعها في خزنة حفظه... وسابق أقرانه فكانت له زينة التفضيل في حلبة السباق،...، واقتخر من والده بالفاضل الذي ارتفع في ديوان الإثشاء خبره، وهز المعاطف بتوقعه الذي لا يزال يحتره ويحبره، ونحاها بإنشائه الذي هو عمدة المتأدبين فلا عجب في رفعه، ونظم بيانه نفاثس الدرر ففقدتها بالعين «صحاح الجوهري»، وفتح بجيش بلاغته معاقل المعاني الممتعة... والله تعالى يبهج نفسه بما يصبح به الحاسد وهو مكمد، ويُقر عينه بهذا الولد التَّجِيب حتى لا يبرح يقول: أشكر الله وأحمد، بمحمد وآله» (1)

وإجازة أخرى كتبها الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الدائم لابن نجم الدين أبي الفتح محمد، حيث عرض عليه المنهاج في الفقه للنووي، ولقد بدأ الإجازة بمقدمة حمد الله عز وجل، وصى على رسوله الكريم وعلى آله وصحبه، ثم انتقل إلى موضوع الإجازة وهو عرض نجم الدين على شمس الدين مواضع من المنهاج في فقه الأمام الشافعي بمواضع دلت على حفظه، ومدحه مدحا ينم على المكانة العلمية التي يتمتع بها، ومن ثم كان ذلك بمنزلة إجازة وأذن له لروايتها.

ومن تلك الإجازة: " الحمد لله الذي أوضح بنجم الدين منهاج الفقه وأثاره، وأفصح لسانه بكتاب من عند الله وأثاره، فسطعت أنوار شهابه لمن استبطه وأثاره - من يُرد الله به خيرا يُفقهه في الدين ويرفع مناره - والصلاة والسلام على سيدنا محمد ....

وبعد، فقد عرض على الفقيه الفاضل نجل الأفاضل، وسليل الأمثال، ذو الهمة العلية، والفظنة النخبة، والقطرة الزكية، نجم الدين، أبو عبد الله محمد بن فلان، نفع الله به كما نفع بوالده، وجمع له بين طارف العلم وتآله - مواضع متعددة من «المنهاج» في فقه الإمام الشافعي المطبّي - رضي الله عنه وعنا به - تأليف الحبر العلامة ولي الله أبي زكريا بن شرف بن مري التَّوَوِّي، سقى الله

(1) صحیح الأعمش، 327/14



تعالى ثراه، وجعل الجنة مأواه، دلّ حفظه لها على حفظ الكتاب، كما فتح الله له مناهج الخير ، وكان العرض في يوم كذا".<sup>(1)</sup>

وإجازة أخرى كتبها الفقهني لمحمد شمس الدين<sup>(2)</sup> من أبناء بعض الإخوان، حيث عرض محمد على الفقهني الأربعين حديثاً للشيخ محي الدين النووي. والورقات في الأصول لإمام الحرمين والمحة البرية في النحو لشيخ أثير الدين أبي حيان. وكان ذلك كله دفعة واحدة وهو ابن عشر سنين.

ولقد بدأ الفقهني الإجازة بمقدمة حمد الله عز وجل، وصلى على رسوله الكريم، ومدح محمد شمس الدين مدحاً يحق له على هذا الإنجاز من حفظ أكثر من كتاب وهو ابن عشر سنين، فعمرو العلمي أكبر من عمره الزمني وهذا إن دل على شيء إنما يدل على الحياة العلمية والثقافية التي كانت في ذلك العصر.

ثم انتقل لعرض موضوع الإجازة مع التأكيد مما حفظه وكانت بمنزلة إذن وإجازة له ليرويها. ومن تلك الإجازة "حمد الله الذي أطلع من دراري الأفاضل في أفي التجابة شمساً، وأظهر من أفاضل الدراري ما يغض به المخالف طرفاً ويرفع به المخالف رأساً، وألحق بالأصل الكريم فرعه في التجابة فطاب جنى وأعرق أصلاً وزكا غرساً، وأبرز من ذوي الفطر السليمة من فاق بذكائه الأقران فأدرك العربية في لمحة، وسما بفهمه الثاقب على الأمثال فأسمى وفهم «الورقات» لديه كالصفحة، وخرق بكرم يدايته العادة فجاز الأربعين لثون العشر وأتى على ذلك بما يشهد له بالصحة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي عنت بركة اسمه الشريف سميته ففاز منها بأوفر نصيب، وخص يلاهام التسمية به أولو الفضل والنهي فما سمي به إلا نجيب، وعلى آله وصحبه الذين أئبعت بهم روضة العلم وأزهرت، وأورقت شجرة المعارف وأثمرت.

وبعد، فقد عرض عليّ فلان مواضع من كتاب كذا وكتاب كذا، فمر فيها مرور الصبأ، وجرى في ميائها جزيّ الجواد فما حاد عن سنن الطريق ولا كبا"<sup>(3)</sup>

(1) صبح الأعشى ، 330/14

(2) محمد بن محمد بن أحمد، أبو عبد الله، شمس الدين المقسي السعدي الدمشقي الحنبلي، الأعلام ، 45/7

(3) صبح الأعشى، 331/14



وإجازة أخرى كتبها علامة عصره الشيخ عز الدين بن جماعة، حيث عرض عليه نجم الدين أبو الفتح محمد<sup>(1)</sup> بعضاً من كتب ابن جماعة، وقد أورد الإجازة ومدح فيها نجم الدين، ثم أدن له أن يروي عنه مصنفاته من منظوم ومثور ومنقول .

ومن تلك الإجازة: "كذلك عرض عليّ المذكور باطنها عرضاً حسناً، محترماً مهذباً متقناً ؛ عرض من أتقن حفظه، ورّين بحُسن الأداء لفظه، وأجزل له من عين الغاية حظه... وقد دلتني ذلك منه نفعه الله تعالى ونفع به، ووصل أسباب الخير بسببه، على علوّ همته، ووؤفور أريحته، وتوقّد فكرته، واتقاد فطنته؛ وأصله في ذلك كله عريق:

سجّيةٌ تلك منهم غيرُ مُحذّرةٍ إنَّ الخلائق - فاسأعلم - شَرَّها البِدَعُ!  
وقد أدنّت له أن يروي عني الكتاب المذكور، وجميع ما يجوز لي وصّي روايته من مُصنّفاتي وغيرها من منظوم ومثور، ومنقول ومعقول ومأثور، بشرطه المعتبر، عند أهل الأثر. وكتب فلان في تاريخ كذا.<sup>(2)</sup>

وإجازة أخيرة كتبها ابن الرودي لابن العطار<sup>(3)</sup>، حيث عرض عليه كتاب النبيه وقد بدأ الإجازة بمقدمة كالعادة حمد الله عز وجل وصلى على رسوله الكريم، ثم انتقل إلى موضوع الإجازة، حيث قام ابن العطار بعرض كتاب النبيه على ابن الرودي، وتأكّد من خلالها ابن الرودي من حفظه للكتاب كاملاً، ثم مدح هذا الطفل الصغير على هذا الحفظ، ودعا الله عز وجل أن يثبتهُ نباتاً حسناً. ومن تلك الإجازة: "أما بعد الحمد لله بحامده كلها. والصلاة على نبيه أشرف البرية رتبة وأجلها، وعلى آله وصحبه أحق الناس بكلمة التقوى وأهلها. فقد عرض عليّ ابن العطار أئبته الله نباتاً حسناً وبلغه من فهم العلم المُتني، عرضاً زاد هذا الطفل طويلاً...، دل به على حفظ الكتاب كله، فأكبرت لصغره سنه مثل ذلك من مثله. قائلًا: "إنك من أطفال أرجو أن تكون لهم في العلوم رسوخاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم

(1) نجم الدين أبو الفتح محمد بن عبد الدائم الحنطلي، برع في الفنون، وتقرّر مدرسا للحنطالية في مدرسة جمال الدين ، وكان عاقلاً، رصيناً، توفي في ليلة الجمعة رابع عشر من ربيع الأول بالطاعون عن بضع وثلاثين سنة، شذرات الذهب، 208/9

(2) صبح الأعيشى ، 330/14

(3) أبو بكر منصور بن نصر المعروف بابن العطار، توفى ليلة الثامن عشر من ذي القعدة سنة 575، سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1985، 203/22

لتكونوا شيوخاً، سر الله بك أياك في السر والجهر. فهو سبحانه إذا شاء خرق العادة فيصالح باين العطار ما أفسد الجهر<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً الإجازة بالرواية الأدبية

وهي إجازة برواية المؤلفات الأدبية التي ألفها المجيز، وهذا النوع يسبقه استعلاء أو استجازة من طالب الإجازة؛ وهو أن يسعى أديب إلى أديب آخر يكون أنجح منه أدباً، وأرحب أفقاً، وأبعد شهرة، فيكتب له رسالة يطلب منه أن يمنحه إجازة برواية آثاره الأدبية ومصنفاته ومروياته سواء أكانت شعراً أم نثراً ليكون أحد رواة أدبه تشريفاً له أو تحملاً لأمانة الرواية عنه<sup>(2)</sup>.

وعالماً ما ترسل للشيخ أو الأديب يطلب منه التلميز الإجازة ليروي عنه كتبه على اختلاف أنواعها. وربما كانت رغبة التلميز أن يحصل على إجازة برواية ما قد ألفه المجيز، أو ما سيؤلفه في المستقبل، ويكون الاستعلاء أو الاستجازة مرسله مع عبارات المدح والشكر والثناء .

ومن تلك الإجازات: إجازة جمال الدين بن نباتة المصري التي كتبها لصلاح الدين الصفدي، بعد استجازة له أرسلها الصفدي إليه ليمنحه إجازة خاصة وإجازة عامة، والسماح له برواية كتبه المختلفة، ولقد بدأ الصفدي استجازته بحمد الله عز وجل والصلوة على رسوله الكريم ثم بدأ ينعته المجيز بصفات المدح والثناء وذكر اسم جمال الدين مع عبارات المدح، ثم عرض طلب الإجازة لرواية المصنفات التي ألفها، ووضح أنه يرغب بالرواية عنه في الماضي والحاضر، وهو ما قصده بإجازة خاصة، ورغب في الرواية عنه كل ما يقع عليه عينه في المستقبل وهو ما قصده بإجازة عامة ثم ختم الصفدي الإجازة باسمه.

ومن تلك الاستجازة: "الأحمد لله على نعمائه، والصلوة والسلام على خير أنبيائه، مُحَمَّد وآله وصحبه وأصفيائه، المسؤول من إخوان سيدنا الشيخ الإمام العالم العلامة رَحْمَةُ الأَدَب، قبلة ذوي التحصين له في التَّحْصِيلِ والدَّابِّ،... جمال الدين أبي بكر مُحَمَّد ابن الشيخ الإمام الحافظ شمس الدين مُحَمَّد بن بُيَّاتَةَ جمع الله به شتات الأَدَب في دوحه هذه الدولة، ولمَّ به شمعت أبنائه الذين لا صون لهم ولا صولة، وأقام به عماد أبنات الشُّعْر التي لولاه لما عرفت دَار مية من أطلال حَوْلَة،

(1) عصر سلاطين المماليك، 193/5

(2) السابق، 194/5

بمنه وكرمه، إجازة كاتب هذه الأحرف ما لهُ - ففسح الله في مدته - من رواية المصنفات في الأحاديث النبوية، والتأليفات الأدبية على اختلاف أوضاعها وتباين أجناسها وأنواعها، بحسب ما تبادى ذلك لهُ وأتصل به من قراءة أو سماع أو إجازة أو وصية من مشايخ العلم الذين أخذ عنهم، وإجازة ما لهُ أحسن الله إليهم من مقول نظماً أو نثرًا تأليفاً أو وضعاً إجازة خاصة، وإثبات ما لهُ من التصانيف إلى هذا التاريخ بخطه الكريم وإجازة ما لعله يقع لهُ بعد ذلك إجازة عامة، على أحد القارئين في المسألة فإن الرياض لا يقطع زهرها والبحار لا تنفد دررها ...، كتبه خليل بن أبيك بن عبد الله الألبكي بالقاهرة المحروسة، وحسبنا الله ونعم الوكيل<sup>(1)</sup>.

وإجازة أخرى قد كتبها صلاح الدين الصفدي رداً على استجازة كتبها أحمد بن عبد الله بن مالك<sup>(2)</sup>، القاضي البليغ شهاب الدين أبو العباس. وقد بُدئت الاستجازة بمقدمة حمد الله عز وجل، وصلى على رسوله الكريم، ثم بدأ يمدح المجيز مدحاً يليق به، ثم قدم له طلب الإجازة لرواية المصنفات على اختلافها سواء أكانت أحاديث نبوية، ومؤلفات أدبية، وماله من تصنيف وتأليف وجمع وانتقاء، وبين سبب الرغبة لإرسال هذه الإجازة؛ حياً في التميز والرفعة والعزّة. ومن ذلك الاستدعاء أو الاستجازة: "أما بعد الحمد الله المدعو بالحسنى من أسمائه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ...، صلاة تملأ ما بين أرضه وسماؤه، فالمستول من إحسان فلان فريد دهره، ووحيد عصره، لسان العرب، مَبْعُ الأرب، ... قُدوة الأوائل والأواخر، مادة بحار العلوم الزواجر - الشيخ فلان الدين - جمع الله به في دوحة هذه الدولة أشتات الأدب، ولمّ به شعث من جعل الصلاح شعاره ولا عجب، وأقام به أبيات الشعر الذي لولاه ما قام لها عمود ... إجازة كاتب هذه الأحرف ما لهُ من رواية المصنفات في الأحاديث النبوية، والتأليفات الأدبية، وما لهُ من تصنيف وتأليف، وجمع وانتقاء. وإثبات ذلك بخطه إلى هذا التاريخ، وما لعله يقع له بعد ذلك، إجازة تجعل حال العبد منصوباً على التمييز، وترده بعد الخفض وهو عزيز وترفع قدره في الابتداء..."<sup>(3)</sup>

ولقد رد الصفدي عليه بالإجازة، وقد بدأها بمقدمة حمد الله وشهد له بالأوهية، ولذنيه بالرسالة، و صلى عليه وعلى آله وصحبه، وانتقل للحديث عن فضل فن الرواية وعدّوه من محاسن

(1) الوافي بالوفيات، 235/1

(2) أحمد بن عبد الله بن مالك بن مكنون العجلوني الأصل اللّصقفّي شهاب الدين ابن فخر الدين خطيب بيت لها ولد في الخامس من شهر رمضان سنة 705، مات في الثاني من المحرم سنة 780. الدرر الكامنة، 216/1

(3) ألحان السواجع، 56/1

الإسلام، ومن خصائص الفضلاء، واستدل على ذلك بقول أحمد بن حنبل، ثم مدح شهاب الدين أبو العباس مدحا يليق به، و أورد طلبه بالإجازة ثم رد عليه بقول الإجازة وأجاز له بالرواية عنه من كتب الحديث أو كتب الأدب. ومن تلك الإجازة: " الحمد لله الذي إذا دُعي أجاب، وإذا أُنعم على الأديب بثوق أتى في نظمه ونثره بالهجاب، ... نحمده على نعمه التي منها البلاغة، ... وتشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة فُطر الضمير على إخلاصها ،... وتشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفصح من نطق بهذا اللسان، ... صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين .

وبعد. فإن فن الرواية من محاسن الإسلام، ومزاي العلماء الأعلام، وخصائص الفضلاء الذين تحقق لهم ذوات الطروس، وتتصعب رماح الأعلام، ولم تزل رغبة السلف تتوفر عليه، وتشير أنامل إرشادهم للأنام بالحث عليه، قيل للإمام أحمد - رضي الله عنه - ما تشتهي؟ فقال: سند عال، وبيت خال، وما برح الأئمة الكبار يرتحلون إلى أقاصي الأقاليم في طلبه، ويحملون المشاق والمتاعب فيه، ويتجمعون بسببه،...ولما كان الشيخ، الإمام، العالم، الخطيب، الناظم، الناثر، شهاب الدين بن بركة الملوك والسلاطين، أبو العباس أحمد الحنيلي، خطيب بيت لُهبيا \_ أمتع الله بفوائده \_ ...فأراد أن يُشرف قدرى، ويُعرف نُكري، فطلب مني الإجازة، وأنا أحق بالأخذ عنه، واستدعى ذلك مني، ورُب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، فنعم أجزت له \_ فسح الله في أجله \_ ما يجوز لي أن أرويه مما هو لي بإجازة، وذكرت في الإجازة المذكورة ما رويته من كتب الحديث، ومن كتب الأديب" (1)

ونموذج إجازة أخرى كتبها الشيخ العلامة شمس الدين محمد بن الصائغ على استعاء بعض من سألته. وقد بدأها كالعادة بحمد الله عز وجل والصلاة على رسوله الكريم، ثم بدأ يتحدث عن نفسه بتواضع بأبيات من الشعر، وتحدث عن علمه وأدبه وكتبه ثم أثنى أبياتاً من الشعر أوصى فيها المستجيز بتحري الصدق، فهو خير الوصية، ثم أورد نص الإجازة لبروي عنه مع تواضع منه .

ومن تلك الإجازة: " أقول بعد حمد الله الذي لا يخيب من استجدي كرمه، ولا يخيب من استدعي نعمه، والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه وخدمه .

أثرت الجوى بي إذ أردت جوابي وعظمت خطبي إذ قصدت خطابي

ومن أنا في الدنيا أجيب ومن أنا! أجيـز؟ مضى الأثـسيـاخ تحـت ثـراب! عجيب لطالـب لـديـنا تخـة موـا وكـم قـمـد أتـانـسا دهنـسا بـوجـاب! يا أخانا: إن بضاعتنا في العلم مزجاة، وصناعتنا في الوقت مرجاة، ونسيم أخباره عليل، وأدب أخباره قليل، وتصانيفي وجوه أكثرها مسودة، وآمالي في تبييضها لقصر الهمم ممتدة؛ سئلت قديماً من بعض الفضلاء أن أعدّها، فكتبت فيها رسالة لا أعرف لصقل الأذهان حدّها؛ ومنّ الله بعد ذلك بتصانيف آخر، ومقاطع إن لم تكن كالزهر فهي كالزهر؛ ثم عدت نبتاً وثلاثين مصنفاً، منها «مجمع الفرائد» في ستّ عشرة مجلّة.

ولـقـد شـرـرـتـقـت قـدري بـنـفـيـس مـمـن هـديـا  
بـنـظـام شـمـنـف السـمـع بـذـر كـالـثـايـا  
فـنـارو مـنـوعـي وارو عـنـي واغـنـ عـنـ شـنـ المطـاريـا  
وانـتـسـقـى الفـضـل وحصـل وواحد عـنـظ مـنـي بـمـزايـا  
وتحـصـر الصـرـصـر واطـلـم أنـسـه خـيـمـر الوصـر الوصـر يا يا!!  
أجـزـت لـك أن تـروي هـذه وغيـرها عـني ولك الفـضـل في قـبـول ذلـك مـنـي<sup>(1)</sup>

واستحازة كتبها صلاح الدين الصفدي إلى شافع بن علي العباس بن إسماعيل بن عساكر الشيخ الإمام الكاتب البليغ.

ولقد بدأها الصفدي بمدح الشيخ العسقلاني مدحاً يليق بعلمه، ثم أورد طلب الإجازة لبروي عنه كتب الحديث ومصنفات العلوم على اختلافها، كيفما يحصل عليه سماعاً، أو إجازة، أو وصية، أو تأليفاً أو جمعاً أو نظماً أو نثرًا.

ومن تلك الاستحازة: "المسؤول من إحسان سيدنا الشيخ الإمام العالم المفيد القدوة، جامع شمل الأدب قبلة أهل السعي ..

البليغ الذي أثار أو أبدأ الكلم من مظان البلاغة، وأبرز عقائل المعاني تتهادى في تيجان ألفاظه، فجمع بين صناعة السحر والصبغة، وأبدع في طريقة المثلى فجأت عن المثل ...

(1) صبح الأعشى، 14/334

إجازة كاتب هذه الأحرف ما يجوز له روايته من كتب الحديث وأصنافها، ومصنفات العلوم على اختلافها، إلى غير ذلك، كيفما تآدى إليه من مشايخه الذين أخذ عنهم من قراءة أو سماع أو إجازة، أو مناولة أو وصية، وإجازة ماله -فسح الله في مدته- من تأليف ووضع وتصنيف وجمع، ونظم، ونثر...<sup>(1)</sup>

ولقد كتب العسقلاني إجازة جواباً للصفدي، بدأها بمقدمة حمد الله عز وجل، ثم بدأ يمدح الصفدي مدحاً يليق به، ثم حدد موضوعه موافقته على إجازته له ليروي عنه كتب الحديث أو المؤلفات الأخرى، ومن تلك الإجازة: "أما بعد فالحمد لله الذي أمتع من الفضلاء بكل مجيز ومستجيز، وأشهد من معاصري ذوي الدراية والرواية من جمع بين البسيط من علو الإسناد والوجيز نحمده على نعمه التي يجب له عليها الإحماد، ونشكره على تهيئة فضلتها المخول شرف الإسعاف والإسعاد، ونصلي على سيدنا محمد المعظم رواة حديثه، وحق لهم التعظيم، العالية قدراً وسنداً من شأنه التبجيل والتفخيم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وما أحقهم بالصلاة والتسليم.

وبعد فإني وفتت على ما التمسهُ الإمام الفاضل الصدر الكامل المحدث الصادق العلي الإسناد، ... وهو غرس الدين خليل بن أبيك.

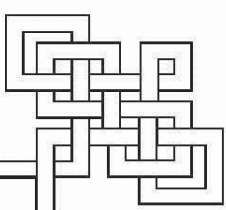
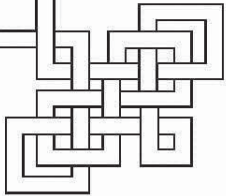
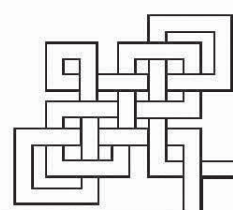
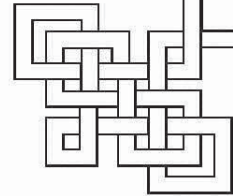
وحسبي به غرساً تسامى أصالة إلى أن سما نحو السماء علاؤهـا  
حوى من بديع النظم والنثر ما رقى إلى درجات لا يُرام انتهاؤهـا  
استجازَ أعر الله -فأني بديع النظم والنثر في استجازته، وقال قأيدع في إبدائه وإعادته، وتنوع في مقالهما فأسمع ما شئف الأسماع، وأبان عما انعقد على إبداعه الإجماع، وقال فما استقلال، ورتل أي محكم كتابه فتميز وحق له التمييز على كل حال، وقد أجبته إلى ما به رسمَ جملة وتفصيلا، وأصلاً وفرطاً، وأبدت فيه وجهاً من وجوه الإجابة جيلاً، ما تجوز لي روايته من كتب الحديث وأصنافها، ومصنفات العلوم حسبما أجزت من المشايخ الذين أخذت عنهم، وسألت الإجازة منهم، بقراءة أو سماعاً و مناولة أو وصية، ومالي من تأليف ووضع ونظم ونثر وجمع...<sup>(2)</sup>

(1) أحيان السواجم، 363/1.

(2) السابق، 364/1.

# الفصل الثالث الدراسة الفنية

- المبحث الأول: بناء الرسالة، وضوابطها الفنية.
- المبحث الثاني: السمات اللغوية والأسلوبية.
- المبحث الثالث: السمات الإيقاعية.
- المبحث الرابع: السمات التصويرية.





## المبحث الأول بناء الرسالة، وضوابطها الفنية

لقد اهتم كُتّاب الرسائل ببناء الرسالة اهتماماً شديداً، فكانت مقدمة كل رسالة تختلف عن الأخرى حسب الموضوع المرسلّة فيه.

وظهر حرص كُتّاب العصر المملوكي ببناء الرسالة بسبب حرصهم الشديد على رونق الرسالة وتقسيم أجزاءها، ووحدة موضوعها، لتعبر عن الموضوع الذي كتبت من أجله.

ومن أهم الكُتُب التي اهتمت ببناء الرسالة "صبح الأعشى" الذي وجه كل كاتب رسالة لكيفية البدء بالرسالة وصور البدء بها، وكيفية الانتقال للموضوع وصور الختام.

بدايةً ستحدث الباحثة عن عناصر الرسالة:

**أولاً: البسملة:**

ذكر القلقشندي أنه جرت العادة عند كُتّاب الرسائل أن تشتمل الرسالة على مقدمة، تفتتح الكلام وأولها البسملة حيث يقول: "يجب تقديمها في أول الكلام المقصود من مكاتبة أو ولاية أو منشور أو إقطاع أو غير ذلك تركاً بالابتداء بها وتيمناً بذكرها"<sup>(1)</sup>.

وقد اشترط بعض النقاد أن تفتتح الرسالة بالبسملة "يُبارك لهم فيما يحاولون ويؤجرون عليه"<sup>(2)</sup>، وامتناعاً لقوله صلى الله عليه وسلم: " كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر أو أجذم"<sup>(3)</sup>.

ومن خلال إطلاع الباحثة على عدد لا بأس به من الرسائل على اختلاف أنواعها، وجدت أنها تنتزع بين ذكر البسملة في بداية الرسالة من عدم ذكرها. ومن الرسائل التي ذُكرت فيها البسملة رسالة صلح أرسلها ملك التتار محمود غازان إلى الناصر قلاوون<sup>(4)</sup>.

(1) صبح الأعشى، 213/6.

(2) أدب الكُتّاب: أبو بكر الصولي، تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، د. ط، بيروت، بيان، 32.

(3) مسند الإمام أحمد بن حنبل: تحقيق شعيب الأرنؤاوط، وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1997/14، رقمه (8711).

(4) ينظر: النجوم الزاهرة، 111/8، وأيضاً: صبح الأعشى، 323/14.

ورسالة أخرى كتبها ابن حجة الحموي لتقليد محمد الرازي الشافعي وظيفية النظر في دواوين الإيشاء في الممالك الإسلامية<sup>(1)</sup>. ومن الرسائل التي لم تُذكر فيها بالبسلة: عهد من السلطان المنصور قلاوون ليتولى ابنه الملك الأشرف صلاح الدين خليل الحكم<sup>(2)</sup>، ورسالة أخرى وهي إجازة علمية كتبها أثير الدين أبو حيان لصلاح الدين الصفدي<sup>(3)</sup>.

إن الرسائل التي ذُكرت فيها بالبسلة ما كان ذلك إلا سبباً على سنة الرسول صلى الله عليه وسلم- وتباركاً بها؛ أما بالنسبة للرسائل التي لم تُذكر فيها بالبسلة فلم يكن ذلك انقاصاً من قدرها أو تقليلاً من شأنها بل عدّ أنها عادة كان معمولاً بها، ثم تُركت، حيث يقول الصولي في كتابه: " إن الكُتّاب كانوا يلتزمون بالبسلة في صدور الكتب، ثم ترك ذلك"<sup>(4)</sup>.

وعند الحديث عن موقع البسلة في الرسالة إنها كانت تُرد عادةً في البداية ولا يتقدمها أي كلام آخر وعدت أول عناصر الرسالة، فقد أشار النقاد إلى ضرورة إفراذ البسلة في سطر واحد تجيلاً لاسم الله وتعظيماً وتوقيراً له جل جلاله<sup>(5)</sup>.

ولقد تتوعت البسلة، فمفنها ما أُفرد في سطر في بداية الرسالة كرسالة لابن حجة الحموي<sup>(6)</sup>، ومنها ما ذُكرت وأدرج معها كلام في السطر نفسه، ومن ذلك رسالة السلطان الناصر قلاوون إلى محمود غازان<sup>(7)</sup>.

---

(1) ينظر: قهوة الإيشاء، 417.

(2) ينظر: نجوم زاهرة، 7 / 441.

(3) ينظر: الرافي بالوفيات، 5 / 182.

(4) ينظر: أدب الكتاب، 144.

(5) ينظر: صبح الأعشى: 6 / 212.

(6) ينظر: قهوة الإيشاء: 418.

(7) النجوم الزاهرة، 8 / 112

## ثانياً: العنوان

إن عنوان الرسالة يعد عنصرًا مهمًا من عناصر الرسالة، وبه بُني مقدمات الرسائل، ويُذكر فيه اسم المرسل والمرسل إليه، ويفسر الكلاعي سبب تسمية العنوان بهذا الاسم قائلاً: " لأنه يدل على الكتاب ممن هو وإلى من هو"<sup>(1)</sup>.

و لقد تنوعت الرسائل في هذا العصر أيضاً حول وضع العنوان: فهناك رسائل كان من بداية نصها من فلان إلى فلان. ومن ذلك: " من عبد الله ووليه الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد أمير المؤمنين إلى السلطان ... أبي الفتح محمد قسيم أمير المؤمنين وولد الملك المنصور"<sup>(2)</sup> و رسالة أخرى: " هذا عهد شريف ... من عبد الله ووليه الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين للسلطان الملك المنصور حسام الدين أبي الفتح لاجين المنصوري"<sup>(3)</sup>.

و هناك رسائل لم يوجد في نصها العنوان ممن ولمن، ومن ذلك رسالة كتبها شهاب الدين الحلبي<sup>(4)</sup>، ورسالة أخرى كتبها علاء الدين عبد الظاهر<sup>(5)</sup>؛ وصحيح أنه لم يُذكر في نص الرسالة المرسل والمرسل إليه، إلا أن كاتب الرسالة أو صاحب المرجع الذي وُجدت فيه الرسالة يُذكر المرسل والمرسل إليه مع تعليق بسيط على الرسالة .

## ثالثاً: الحمدلة

كما جرت العادة أن تفتتح الرسالة بالبسملة؛ جرت أيضاً أن تفتتح بالحمدلة، فيُحمد الله عز وجل على نعمه الكثيرة، وآلائه العظيمة التي توجب الحمد والشكر .

فحمد الله مندوبٌ في فتح الرسائل لليمن والبركة؛ حيث يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم: "كل أمر ذي بال لا يُبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع"<sup>(6)</sup>.

- (1) أحكام صنعة الكلام: محمد الكلاعي، تحقيق محمد الداية، دار الثقافة، ط.1، بيروت، لبنان، 1966م، 52، وأيضاً، الرسائل الفنية في العصر العباسي، 458.
- (2) صبح الأعشى، 59/5.
- (3) ينظر: السابق، 10/ 54.
- (4) ينظر: السابق، 12/ 205.
- (5) ينظر: نهاية الأرب، 8/ 135.
- (6) سنن ابن ماجه: محمد القزويني، تحقيق محمد عبد الباقي، دار إحياء، د. ط. د. ت، 610/1، رقمه 1894.

و لقد نبّه أبو هلال العسكري على أهمية التحميد وأثره في النفوس فقال: "إذا كان الابتداء حسناً بديعاً، وملحاً رشيحاً، كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام، لهذا جعل أكثر الابتداءات "بحمد لله" لأن النفوس تشوق للثناء على الله فهو داعية إلى الاستماع"<sup>(1)</sup>.

و قد قصر ابن الأثير التحميدات على صدور الرسائل السياسية لما تتضمنه من الأمور الالفة بالتحميد؛ حيث يقول: "من الحذاقة في هذا الباب أن تُجعل التحميدات في أوائل الكتب السلطانية مناسبة لمعاني تلك الكتب، وإنما خصصت للكتب السلطانية دون غيرها لأن التحاميد لا تصدر في غيرها، فإنها تكون قد تضمنت أموراً لا تفتقر بالتحميد، كفتح معقل أو هزيمة جيش أو ما يجري هذا المجرى"<sup>(2)</sup>.

و من خلال اطلاع الباحثة على الرسائل بأنواعها في العصر المملوكي وجدت أن الحملة لم تقتصر على الرسائل السياسية، فقط بل قد وجدت في مقدمات الرسائل العلمية وبعض الرسائل الاجتماعية.

فمن الرسائل السياسية تقاليد للأمير سيف الدين المنصوري ليتولى نيابة السلطة التشريعية<sup>(3)</sup>، ومن الرسائل العلمية إجازة علمية بالتدريس وهي إجازة سراج الدين بن الملقن للتميزه القفشندي<sup>(4)</sup>.

و من الرسائل الاجتماعية رسالة مدح كتبها القفشندي بمدح المقر الفتحى أبو المعالي فتح الله<sup>(5)</sup>.

كما لم تقتصر الحملة كجملة واحدة في بداية الرسالة بل يستطرد الكاتب بحمد الله على نعمائه والآله التي لا تعد ولا تحصى.

- (1) الصناعتين، أبو هلال العسكري، بتحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 1984، 131.
- (2) المثل السائر، ابن الأثير، تحقيق بدوي طبانة وأحمد الحوفي، دار النهضة، ط 2، القاهرة، مصر، 3/ 108.
- (3) نهاية الأرب، 8/ 135.
- (4) صبح الأعشى، 14/ 323.
- (5) صبح الاعشى، 14/ 191.

رابعاً: الصلاة على الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم -

إن الصلاة والسلام على سيدنا محمد خير البرية والأنام كانت مستعملة منذ العصر الإسلامي تباركاً بها. ومن ذلك رسالة علي بن أبي طالب إلى أهل مصر<sup>(1)</sup>.

و لقد اهتم الكتاب في العصر المملوكي بذكر الصلاة على النبي في رسائلهم، بل زادوها جمالاً في بعض الرسائل عندما شهدوا الله بالوحدانية ولنبيه بالرسالة والنبوة، و يزيدون جمال تلك الشهادة بالصلاة والسلام على الرسول. ويشير القفطندي لهذا المعنى بقوله: "إفاناً أتى بالحمد أول الكتاب، ناسب أن يوتى بالصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم- في أوله، إتياناً بذكره بعد ذكر الله تعالى"<sup>(2)</sup>.

و قد كان ميل الكتاب إلى حمد الله عز وجل في صدور الرسائل طلباً لليمن والبركة، وكان ميلهم إلى الصلاة على النبي تابعاً من صميم المطلب نفسه امتثالاً لقوله تعالى: " إِنْ أَلَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا"<sup>(3)</sup>.

و قد ذُكرت الصلاة على النبي في رسائل العصر المملوكي على اختلاف أنواعها، السياسية منها والعلمية والاجتماعية، ومن ذلك على الترتيب رسالة عهد من المنصور قلاوون لابنه صلاح الدين خليل<sup>(4)</sup>، رسالة علمية "إجازة عراضة" كتبها بدر الدين المخزومي لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن شمس الدين الشافعي<sup>(5)</sup>، ورسالة مدح كتبها القفطندي يمدح شرف الدين بن حجاج لنظمه قصيدة<sup>(6)</sup>.

و لقد كانت مقدمة الرسالة غالباً قبل عبارة "أما بعد" أو "بعد" تُناسب بشكل كبير موضوع الرسالة التي أرسلت من أجله؛ حيث عند كتابة رسالة صدق للملك أو الأمير أو أحد أبناء الملك أو بناته كانت مقدمة تلك الرسالة يتحدث فيها عن الزواج وأهميته وضرورة السير على هدى الرسول

(1) النجوم الزاهرة، 1/ 97.

(2) صبح الأعشى، 6/ 218.

(3) الأحراب: آية، 56

(4) النجوم الزاهرة، 7/ 341.

(5) صبح الأعشى، 14/ 327.

(6) السابق، 14/ 337.

صلى الله عليه وسلم- والرغبة في تكثير أمة محمد- صلى الله عليه وسلم- لياهي بالمسلمين الأُمم، ومن ذلك رسالة صداق ناصر الدين محمد بن الخطيري كتبها شهاب الدين بن فضل الله العمري<sup>(1)</sup>.  
وعندما تكون الرسالة رسالة علمية "إجازة ما" تكون الرسالة تتحدث عن العلم والعلماء وحمد الله على نعمة البلاغة وصناعة الإنشاء ويحمده على سهولة استخدام الألفاظ وتطويعها، ويحمده الذي رفع قدر العلماء ومقارهم... ومن تلك الرسائل<sup>(2)</sup>.

وعندما تكون الرسالة تقليد لشخص ما بمنصب معين تكون المقدمة مبدوءة بحمد الله الذي خص الممالك المصونة بأشهر الأصفياء، ويحمده على أن شيد ركن الدولة بمجيء هذا الأمير المراد تقليده، ومن ذلك رسالة كتبها علاء الدين بن عبد الظاهر لتقليد سيف الدين المنصورى<sup>(3)</sup>.  
وعندما تكون الرسالة توقيعاً ليتولى الشخص وظيفة معينة داخل الدولة كانت كل مقدمة تتحدث عن الوظيفة الموكلة للشخص؛ ومن ذلك على سبيل المثال توقيع كتبه ابن حجة الحموي ليتولى برهان الدين السكندري وظيفة رئاسة الطب، فكانت المقدمة تتحدث عن الصحة وشكر المولى على نعمة الصحة، والحديث عن الطب النبوي الذي خص الله به الرسول صلى الله عليه وسلم- ومن ذلك التوقيع<sup>(4)</sup>.

وعندما تكون الرسالة من الرسائل الاجتماعية تكون المقدمة تخدم الموضوع، فعندما تكون الرسالة رسالة مدح فالمقدمة تدبج بعبارات المدح والثناء وحمد الله على أن جعل سر المملكة المصون في يد رجل واسع الصدر، ومن ذلك رسالة مدح كتبها القلقشندي بمدح المقر الكريم الفتحي أبا المعالي فتح الله<sup>(5)</sup>.

وإذا كانت الرسالة تهنئة بالعودة إلى منصب تُدبج مقدمة الرسالة بعبارات المدح والتهاني على هذه العودة الميمونة ومن ذلك<sup>(6)</sup>.

- 
- (1) صبح الأعشى، 14/ 313.
  - (2) السابق، 14/ 223.
  - (3) نهاية الأرب، 8/ 135.
  - (4) قهوة الإنشاء، 36.
  - (5) صبح الأعشى، 14/ 191.
  - (6) ألحان السواجع، 1/ 42.

أما إذا كانت رسالة تعزية فيبدوها الكاتب بمقدمة يُظهر فيها الحزن والأسى على الفقيد ومن ذلك (1).

وقد وجدت الباحثة مجموعة من الرسائل لم تحتو على العناصر السابقة الذكر أو بعض منها، ومن ذلك بشارة بوفاء النيل كتبها ابن حجة الحموي، حيث بدأها بالموضوع مباشرة وهو وفاء النيل، وأثر ذلك الوفاء على الأشجار والنبات والأرض والمدن المصرية ومنها(2).

ورسالة علمية كتبها أثير الدين أبو حيان يجيز فيها الصفدي ليروي عنه كتبه ومصنفاته؛ وقد بدأها بالدعاء والمدح ومنها(3).

ورسالة مدح كتبها الصفدي بمدح مصنف قد وضعه الشيخ تاج الدين علي بن الدرهم الموصلي؛ وقد بدأها بمدح التصنيف الذي وضعه ومنها(4).

كما أن هناك مجموعة من الرسائل قد وجتها الباحثة قد فُتحت بتقبيل الأرض أو اليد؛ ومن ذلك رسالة تهنئة كتبها جمال الدين بن نباتة يهنئ علاء الدين بن فضل الله العمري بالعودة إلى منزله بالديار المصرية(5).

#### خامساً: التلخيص

بمعنى الانتقال من مقدمة الرسالة إلى الموضوع أو الغرض المطلوب. وقد سار الكتاب على استعمال (أما بعد) منذ العصر الإسلامي، وقد سار كتاب العصر المملوكي على استخدام: (أما بعد) ليتناولوا من مقدمة الرسالة إلى موضوعها وتتنوع ذلك بين استخدام "أما بعد" و"بعد". فمن الأولى عهد للملك المنصور حسام الدين لاجين(6) . و من الثانية توقيع للشيخ برهان الدين الدين إبراهيم السكندري(7) .و قد وُجد مجموعة من الكتاب يدخلون إلى موضوع الرسالة دخولاً مباشراً من دون صيغة بين المقدمة والموضوع كنوع من عدم التقيد بنظام واحد.

- (1) ينظر: قهوة الإيتشاء، 297.
- (2) ينظر: ثمرات الأوراق، 230.
- (3) ينظر: الرافي بالوفيات، 5/ 182.
- (4) ينظر: صبح الأعشى، 14/ 335.
- (5) ينظر: السابق، 9/ 36.
- (6) ينظر: صبح الأعشى، 10/ 53.
- (7) قهوة الإيتشاء، 36.



و من ذلك رسالة بشارة بوفاء النيل كتبها صلاح الدين الصفدي<sup>(1)</sup>، ورسالة أخرى كتبها أثير الدين أبو حيان وهي إجازة لتدريس<sup>(2)</sup>.

### سادساً: موضوع الرسالة

المضمون أو موضوع الرسالة هو صلب الرسالة، تقع بين المقدمة والخاتمة. فهو أهم جزء من أجزاء الرسالة؛ ففيه يبدأ الكاتب بيسط آرائه وأفكاره ويسرد الموضوع الذي من أجله بدأ الرسالة. ففي موضوع الرسالة يبدأ الكاتب بالحديث والاستطراد في موضوع الرسالة، ويظهر فيها إبداعه وقدرته على الحديث والإسهاب والقدرة على استخدام الأساليب الفنية المتنوعة. وقد كان الكاتب في موضوع الرسالة يترك له المجال للحديث، فيستخدم ألفاظاً واضحة جلية بعيدة عن الغموض، ومن ذلك مثلاً: رسالة أمان كتبها المنصور قلاوون للتجار الذين يصلون إلى مصر، فالقارئ لتلك الرسالة يستشف من ألفاظها وعباراتها أنه قد أعطاهم الأمان لدخول مصر من أي بلد كانوا، وحثهم على التجارة وجلب الممالك معهم مع الوعد بشرائهم لتكثير الجنود؛ فقد كانت ألفاظ الرسالة تقدم موضوع الرسالة وهو الأمان ومن تلك الرسالة<sup>(3)</sup>.

كما أن كل موضوع رسالة يستخدم الكاتب فيه ألفاظ وأساليب خاصة بالموضوع ويختلف عن الآخر، فمثلاً عندما تكون الرسالة نشرًا لخبر الانتصار والسيطرة على بلد معين، يستخدم الكاتب ألفاظاً وعبارات تخبر بفتح المدينة أو البلد مع عبارات التهكم والسخرية منه، ويسرد كيف أنه استولى على المدينة هو وجنوده... ومن ذلك رسالة كتبها محيي الدين عبد الظاهر على لسان السلطان الظاهر بيبرس إلى بوهمند السادس أحد أمراء الصليبيين يخبره بالاستيلاء على أنطاكية وقتل الصليبيين فيها ومن تلك الرسالة<sup>(4)</sup>.

فموضوع هذه الرسالة يختلف عن الرسالة التي سبقها، و من طريقة الحديث والعبارات والألفاظ والتركيب تختلف حسب الموضوع، وموضوع كل رسالة يختلف عن الأخرى حسب الغرض الذي وجدت

(1) حسن المحاضرة، 2 / 369.

(2) الوافي بالوفيات، 5 / 182.

(3) صبح الأعشى، 13 / 34.

(4) السلوك، 1 / 966.

من أجله؛ فمثلاً رسالة كتبها ابن حجة الحموي لتقليد الإمام محمد الرازي الشافعي، وطيفة النظر في دواوين الإيشاء الشريف بالممالك الإسلامية.

فبعد المقدمة بعناصرها؛ بدأ الكاتب يتحدث عن ديوان الإيشاء وأهميته، وضرورة أن يستلم الرازي ذلك المنصب لأنه أفضل الأفاضل وهو رأس العلماء ... ثم يسرد التقليد والأمر ليتسلم المنصب، ثم يبدأ بمدحه، ولم ينس الرصايا، بل تقدم الرصايا لتساعده في عمله ومن تلك الرسالة<sup>(1)</sup>.

و هكذا في باقي الرسائل على اختلاف أنواعها فيكون الموضوع يخدم الغرض. كما تتسم الرسائل في العصر المملوكي بالوحدة الموضوعية، حيث تدير الرسالة حول موضوع واحد.

#### سابعاً: الخاتمة

كما اشتهرت القناد حُسن الابتداء بالرسالة اشتهرت أيضاً حُسن الختام، كونه آخر ما يبقى في الأسماع، ولأنها ربما حُفظت من دون سائر الكلام في غالب الأحوال، فيجب أن يجتهد في رشاقتها ونضجها وحلاوتها وجزالتها<sup>(2)</sup>، وقد نبّه النقاد أيضاً على ضرورة ارتباط الخاتمة بالموضوع.

ولقد كان اهتمام الكُتاب في هذا العصر بخواتيم الرسائل نابعاً من الاهتمام بالمقدمات؛ فالعلاقة وثيقة بين صدر الرسالة وعجزها، فثبّتها المقدمة والخاتمة كجناحي الطير يرفعان الطائر للتحليق عالياً، ومن ثم الارتقاء بمضمون الرسالة.

ولقد تنوعت خواتيم الرسائل حسب تنوع موضوع ونوع الرسالة، ومن ذلك السياسية، فعندما تكون الرسالة نشر خير الانتصار والسيطرة على بلك معين، تختتم الرسالة بعبارة فيها من التهكم والسخرية والاستهزاء الكثير كونه حقق النصر عليه ومن ذلك "إن الإله الذي أعطاك أنطاكية منك استرجعها والرب الذي أعطاك قلعها منك قلعها ومنك اقتلعها"<sup>(3)</sup>.

وعندما تكون الرسالة رسالة صلح بعبارة توحى بالصلح والرغبة فيه وتختتم بالسلام ومن ذلك "السلام الطيب منا عليكم إن شاء الله تعالى"<sup>(4)</sup>.

(1) قهوة الإيشاء، 417.

(2) نقد النثر، 291.

(3) السلوك، 1/ 966.

(4) ينظر: نجوم زاهرة، 8/ 112.

وعندما تكون الرسالة رسالة عهد تختتم بوصايا لتكون ذخراً ونكراً للمعهود إليه، ثم حمد الله والصلاة على رسوله الكريم وعبارة: حسبنا الله ونعم الوكيل، كعهد السلطان محمد قلاوون" الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وحسبنا الله ونعم الوكيل"<sup>(1)</sup>، ورسالة التقيد لتولي منصب أو سلطنة قد ختم بتعميمه على الشعب والدعوة لضرورة الامتثال لأوامره وطاعته ومن ذلك "نسأل كل واقف على هذا التقليد أو يسمع به من الأمراء والنواب والعساكر المنصورة أيدهم الله تعالى امتثال أمره والنهوض في خدمة ركابه"<sup>(2)</sup>.

ورسالة مرسوم بمسامحة أهل دمشق، فقد ختم هذا المرسوم بطلب دعاء من أهل دمشق ليدعوا لأيام الدولة الزاهرة ليزيدها الله قوة ونصراً وتمكيناً ومن ذلك "ابتهلوا لأيامنا الزاهرة بالأدعية التي تخلد سلطانها وتشييد أركانها"<sup>(3)</sup>.

ورسالة بشارة قد ختمت بكلمة توجه للأمير أو الملك أو الجناح العالي ليأخذ حظه من البشارة، وتختتم أيضاً بدعاء له ليُسمعه الله الأبناء الحسنة لتستمر الأعراس والأفراح والمسرات ومن ذلك بشارة كتبها الصفدي لبعض نوابه"ليأخذ الجناح العالي حظه من هذه البشارة التي جاءت باليمن والمنح...ليتلقاها بشكر يضيئ به في الدجى أديم الأفق"<sup>(4)</sup>.

وعندما تكون الرسالة رسالة علمية على اختلاف أنواعها تختتم بدعاء ليرزق الله الطالب التوفيق والنجاح ويهديه الله سواء السبيل، وتغلق بعبارة حسبنا الله ونعم الوكيل، ومن ذلك "فالله يرزقنا وإياه التوفيق والتحقيق ويسلك بنا وبه أقرب طريق، ويهدينا سواء السبيل فهو حسبنا ونعم الوكيل"<sup>(5)</sup>. أو تختتم بعبارة: أجزت لك ثم الدعاء للطالب بالتأييد والثبات والنجاح ومن ذلك "قد أجزت لك أيديك الله جميع ذلك بشرط التحري فيما هناك تبركاً بالدخول في هذه الحلبة"<sup>(6)</sup>.

وتتنوع خواتيم الرسائل حسب موضوعها؛ فعندما تكون الرسالة رسالة مدح ختمت باعتذار عن التقصير والعجز عن استكمال المدح، وإعطاء الممدوح حقه في الثناء والشكر كرسالة مدح كتبها

- 
- (1) ينظر: صبح الأعشى، 10/ 59.
  - (2) ينظر: السلوك، 1/ 969.
  - (3) ينظر: صبح الأعشى، 13/ 27.
  - (4) ينظر: حسن المحاضرة، 2/ 369.
  - (5) ينظر: صبح الأعشى، 14/ 323.
  - (6) ينظر: الوافي بالوفيات، 1/ 232.

الفاشيستي، يدح أبي المعالي فتح الله " إن اعترافي بالعجز في مدحه أبلغ مما اتبه وإقراري بالتقصير في شكره أولى مما أصفه من توالي طوله وأياديه"<sup>(1)</sup>.

وفي رسائل التهاني عندما تكون الرسالة تهنئة بالعودة للوظيفة قد ختمها ابن نباتة بآية من القرآن الكريم اعتبر فيها أن عودته للوظيفة فضل من الله " كان فضل الله عليك عظيماً"<sup>(2)</sup>، وفي تهنئة بالبين قد ختمت بيت شعر يدعو الله فيها للولد ليعطيه الله الحياة ليرى أولاده في أحسن حال، كتهنئة كتبها شهاب الدين محمود الحلبي " مد لك الله الحياة مداً حتى ترى نجلك هذا جداً"<sup>(3)</sup>.

وفي بعض رسائل التعزية ختمت بدعاء ليعطي الله أهل الفقد الأجر، ولا يُسمعه طوال الدهر تعزية أخرى؛ وقد كتبها شهاب الدين محمود ومنها "والله تعالى بجزل له من الأجر أوفاه ويحفظ عليه أخراه ويجعله للإسلام ذخراً ولا يسمعه مع طول البقاء بعدها تعزية أخرى"<sup>(4)</sup>.

وعندما تكون الرسالة رسالة عتاب ختمت بيت شعر يحمل معنى العتاب، كرسالة كتبها الشهاب الدين الحلبي : مولاي قد طال التباعد بيننا أو ما سمّمت قطيعتي وملاي<sup>(5)</sup>.

وفي بعض الأحيان قد يتوقف الكاتب بعد الانتهاء من عرض موضوعه من دون خاتمة؛ ومن ذلك إجازة كتبها الفاشستي لمحمد شمس الدين، حيث عرض على الفاشستي الأربعين حديثاً لمحبي الدين النووي؛ ولم يختمها بأي عبارة تعتبر خاتمة، مع العلم أنه في صبح الأعشى قد ظهرت الرسالة غير كاملة، ويُبرر الموقف أن بقية النسخة قد سقطت من قلم الناسخ ومن تلك الرسالة<sup>(6)</sup>.

وتعتقد الباحثة أن عدم وجود خاتمة للرسالة يكون قد سقط من قلم الناسخ فعلاً؛ فبناءً على اطلاعها على عدد لا بأس به من الرسائل تُدرّ ما كان منها بلا خاتمة، وما ذلك إلا دليل على براعة وقرات الكاتب في العصر المملوكي، وأن الاهتمام الشديد لم يكن بالشعر فقط بل اهتموا بالثر أيضاً.

- 
- (1) ينظر: الرافي بالوفيات، 14/ 197.
  - (2) ينظر: السابق، 9/ 37.
  - (3) ينظر: السابق، 9/ 59.
  - (4) ينظر: نهاية الأرب، 5/ 178.
  - (5) ينظر: صبح الأعشى، 9/ 199.
  - (6) صبح الأعشى، 14/ 331.

## المبحث الثاني السمات اللغوية والأسلوبية

إن كتابة الرسائل تعتمد على براعة الأديب، وثقافته وتمكنه من أدوات الكتابة التي من أهمها: الوقوف على أسرار اللغة، وطرق استخدامها، وحسن توظيفها لخدمة مهمته فهو يكتب بترو بعيداً عن نظرات المستمعين، والمتلقي أيضاً لديه الوقت للتفكير وإعادة النظر، ومتابعة الأفكار. ومن أهم تلك السمات في الرسائل:

### أولاً: جزالة الألفاظ:

إن ما ينبغي للخطيب أن يتجنبه يُسمح به له لكاتب الرسائل، فالكتابة تستر العيوب. فلو كان الكاتب ممن يلحنون في كلامهم، أو ممن يعانون عيباً من عيوب النطق كاللثغ الفاحش، فإن ذلك يتورى عند الكتابة ولا يظهر فيما يكتبون من رسائل<sup>(1)</sup>.

وقد رأى ابن قتيبة أنه يجب على الكاتب أن يتجنب الألفاظ التي سماها "وحشي الغريب"<sup>(2)</sup> أو كما سماها البليغموسي الألفاظ التي لم تجر العادة باستعمالها أو كانت قليلة الاستعمال<sup>(3)</sup>.

وقد نبه ابن الأثير على الألفاظ التي يُستحسن استعمالها، ومن أقسام تلك الألفاظ، قسم يستحسن استخدامه في الرسائل فهو: "ما تداول استعماله الأول، والآخر من الزمن القديم إلى زمننا هذا، ولا يطلق عليه أنه وحشي"<sup>(4)</sup> وأيضاً من تقسيمه للألفاظ، الألفاظ الجزلة والألفاظ الرقيقة، فقصده بالألفاظ الجزلة التي تكون متينة مع عدوية ولذادة في السمع، وقصده بالألفاظ الرقيقة اللطيف الرقيق

(1) ينظر نق النشر، 293.

(2) أدب الكاتب: ابن قتيبة، شرح علي فاعور، دار الكتب العلمية ط1، بيروت، لبنان، 1988، 19.

(3) الاقتضاب في شرح أدب الكاتب، ابن السيد البليغموسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، تحقيق مصطفى السقا - حامد عبد المجيد، 1981م، 1/ 124 .

(4) المعقل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق أحمد الحوفي، بوي طباطبة، دار النهضة، مصر، ط 2، 1/ 176.

الناغم الملمس<sup>(1)</sup> والألفاظ الجزلة تُستعمل في وصف مرافق الحروب وفي التهديد والتخويف وما شابه ذلك، أما الألفاظ الرقيقة فتستخدم في وصف الأشواق وذكر المودة والاستعطاف<sup>(2)</sup>.

وقد كان لديوان الإنشاء في العصر المملوكي دور كبير في توجيه اللغة والأسلوب لدى الكتّاب في كتاباتهم لرسائلهم، فكان أشبه بالمؤسسة التعليمية الثقافية في وضع أسس ثابتة للمراسلات، كتحديد ألقاب، وتحديد الافتتاحيات، بالإضافة إلى ثقافة الكتّاب والاطلاع الواسع، فذلك ساعد على رسم ملامح اللغة والأسلوب.

فلغة الرسائل اتفقت مع شروط البلاغة والميل للوضوح والبساطة مع الابتعاد عن الغزابة والتعقيد والوحشي من الكلام.

والاهتمام باللفظ هو ذاته اهتمام بالمعنى كما يقول ابن الأثير: "فإنّا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظهم، وحسنوها ورفقوا حواشيها وصقلوا أطرافها، فلا تنظن أن العناية إذ ذاك إنما هي بالألفاظ فقط، بل هي خدمة منهم للمعاني، ونظير ذلك إبراز صورة الحسناء في الحلل الموشية، والأثواب المحبزة، فإننا قد نجد من المعاني الفاخرة ما يشوه من حسنه بئادة لفظه، وسوءه العبارة عنه"<sup>(3)</sup>.

ومن خلال اطلاع الباحثة على الرسائل المملوكية، وجدت سهولة في استخدام الألفاظ ووضوحها وجزالتها.

ومن تلك الرسائل على سبيل الذكر لا الحصر.

"الحمد لله الذي أجزل المطاهب، وضاعف النعماء التي يفيض شعابها، وأمواه العيون نواصب، وضاعف عزاً لا يعز معه مقصد ولا يتعزز معه المطالب... وشد أزرنا بولدنا الملاك السعيد الأجل الكبير العالم العادل ناصر الدين بركة خاقان، أمتع الله الإسلام ببقائه، أفر عيون المجد بنصر لوائه... رأينا أن نفوض إليه كل ما أمعن الله فيه حكماً من البلاد... وقلنا أمر الديار المصرية والبلاد الشامية والقلاع والحصون..."<sup>(4)</sup>.

(1) المثل السابق، 1/ 180، 185.

(2) السابق، 1/ 185.

(3) السابق، 2/ 65، 66.

(4) السلوك، 1/ 969.

فالناظر لألفاظ الفقرة السابقة بوصفها نموذجاً من الرسائل السياسية يجدها سهلة، اتمت بالوضوح والسهولة والجزالة والبعد عن التعقيد والغرابية والتوسع.

فاللفظ يسعى بكل جهده لتقديم المعنى المطلوب وإيصاله لأذهن القارئ، فهما كالجسم والروح، حيث يقول ابن رشيق: "اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه ويقوى بقوته"<sup>(1)</sup>.

ولم تقتصر جزالة الألفاظ على الرسائل السياسية، بل اشتملت جميع الرسائل، فمن الرسائل الاجتماعية رسائل المدح:

"الحمد لله الذي جعل الفتح محط رحال الفرائح الجائدة ومستقر نواها... نحمده على أن خص المملكة المصرية من إبداع سرها المصون بأوسع صدر رحيب وأنهض بتبشير مصالحها... ويعد فإن رياسة أهل الدول تتفاوت باعتبار قرب الرئيس من ملكه في مخاطبته ومناجاته، واعتماد تصرفه في أمور دولته وتنفيذ مهماته... هذا وهو الوساطة بين الملك ورضيته"<sup>(2)</sup>، فقارئ تلك الرسالة يرى ميل كتاب العصر المملوكي لاستخدام الألفاظ الرقيقة الناعمة العذبة في الرسائل الاجتماعية، نتيجة لقدرتهم اللغوية الفذة.

كما أن تلك الجزالة والوضوح والمناحة والسهولة والبعد عن الوحشي والمتوسع كانت سمة من سمات الرسائل العلمية أيضاً، ومن ذلك:

"... أجزئت لك أن تروي عني ما يجوز لي روايته من مسموع ومأثور ومنظوم ومثثور، إجازةً ومنازلةً وتصنيفاً... فأما مولدي فبمصر المحروسة سنة ست وثمانٍ وستمئة، بمنزلنا بزقاق القناديل، وأما شيخ الحديث الذين رويت عنهم سماعاً وحضوراً فمن أقدمهم الشيخ شهاب الدين أبو الهيجا"<sup>(3)</sup>.  
وباستعراض النماذج لا يجد القارئ أي صعوبة في قراءتها وفهم معناها.

(1) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق القيرواني. جزء 1، تقديم صلاح الهوارى وهدى عودة، مكتبة

الهلال، ط 1، 1996، بيروت لبنان، 217

(2) صبح الأعشى، 14/ 191.

(3) تمام المتون، 8.



وهكذا اهتم كُتّاب الرسائل بالآفاظ اهتماماً كبيراً وأعطوا كل رسالة بنوعها ألفاظاً تميزها عن الأنواع الأخرى ؛ ففي الرسائل السياسية إذا كانت رسالة فتح أو انتصار على عدو يُرسل ألفاظاً يبشر شعب الملك أو الأمير بذلك الانتصار ، ويستخدم ألفاظاً تظهر التفهم والسخرية من العدو وإظهار القوة والنصر الذي حققه هو وجيشه.

ومن ذلك "إخرب العمائر ، كنس الجزائر ، تُملكك الحرائر ، تنظر نظر المغشي عليه من الموت ، فتحنأها ، خيالكك صرعى تحت سنايك العدو – تقول يا ليتني كنت تراباً ، أقرت"<sup>(1)</sup>.

أما الرسائل الاجتماعية فتتميز ألفاظها بالسهولة والوضوح والرقّة والجمال مع جزالة تخدم موضوع الرسالة. ومن ذلك رسالة المدح تدجج بالآفاظ رفيقة ناعمة تتم عن المدح. ومن ذلك "تحمده على أن خص المملكة من إيداع سرها المصمون بأوسع صدر رحيب ، لا وهو الوساطة بين الملاك ورعيته، فإن تكلم أتى من بيانه بالسحر الحلال"<sup>(2)</sup>.

كما تتسم ألفاظ الرسائل العلمية بالوضوح والجزالة والدقة والسهولة والبعد عن الغموض ، ومن ذلك "الحمد لله الذي رفع العلماء مقاراً ،...منزلة علم الشريعة عند الله أعلى المنازل ،...شيب ونشأ في طلب العلم والفضيلة، اشتغل بالعلم اشتغلاً يُرضي ،...أنن وأجاز لفلان المسمى أن يدرس مذهب الأمام الشافعي"<sup>(3)</sup>.

---

(1) ينظر السلوك ، 1/ 966.

(2) صبح الأعشى، 14/191.

(3) السائق، 14/323.

## ثانياً التناص:

إن كُتّاب العصر المملوكي أظهروا براعتهم في الكتابة، وذبجوا رسائلهم بألفاظ أنيقة تبرز المعنى، واستشهدوا بآيات قرآنية أو أبيات شعر أو حديث شريف أو أمثال عربية في كتاباتهم وهذه الظاهرة كانت قديمة في الأدب العربي، فطالما تأثر اللاحق بالسابق، سواء باللفظ أو المعنى وذلك دليل على انفتاح الأجناس الأدبية ببعضها.

وقد سميت هذه الظاهرة بالتناص فهو "علاقة بين نصين أو أكثر، ووجود آثار نصوص أخرى على النص المتناص أي الذي اشتمل على تلك النصوص، أو هو استحضار نص ما لنص آخر ليدعم النص ويخرجه بشكل جديد ومتكامل"<sup>(1)</sup>.

**وستنكر الباحثة بعضاً من مواطن التناص في رسائل العصر المملوكي:**

**أ- تناص القرآن الكريم:**

إن القرآن الكريم عُرِف بأنه دستور الحياة الخالد وهو المثل الأعلى للبلاغة والبيان؛ فهو مُعجَزٌ في لفظه، ومتعبد بتلاوته وهو الملاذ الذي يرجع إليه المسلمون.

وربما كان استشهاد الكُتّاب في هذا العصر بآيات من القرآن كونها نوعاً من العبادة، فهو المثل الأعلى مما أعطى الرسائل نوعاً من البقاء والخلود.

وستنكر الباحثة بعضاً من مواطن التناص بالقرآن الكريم على سبيل الذكر لا الحصر.

ففي رسالة السلطان الظاهر بيبرس إلى بوهند السادس يعلمه فيها بفتح انطاكية والسيطرة عليها، وقد كتبها محيي الدين عبد الظاهر وقد وصف فيها كيف أن الظاهر بيبرس وجنوده قد سيطروا على المكان وفتحوا أنطاكية واستولوا عليها، وقد وصف ما قد حل بأعدائه من خراب وتدمير وهمم وقتل، وقد كان بوهند ينظر إلى ما حل به هو وجنوده كنظر المغشي عليه من الموت وقد تمنى أن يكون تزيماً، أو لو لم يسمع بهذا الكلام ومن تلك الرسالة.

---

(1) ينظر: نظرية علم النص: حسام أحمد فرج، تقديم سليمان العطار، محمود حجازي، مكتبة الآداب القاهرة، ط1، 2007م، 194.

"... وكيف قُلت الرجال واستُخدمت الأولاد وتُملكك الحرائر... هذا وأنت تنظر نظر المعشي عليه من الموت، ولو شاهدت النيران وهي في قصورك تخترق والقتلى بنار الدنيا قبل الآخرة تحترق... لكنت تقول يا ليتني كنت تراباً و يا ليتني لم أوت بهذا الخبر كتاباً".<sup>(1)</sup>

فالتفاصيل بالقرآن الكريم واضح وحلي حيث وظف الكاتب الآية"... رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المعشي عليه من الموت"<sup>(2)</sup>.

والآية"... يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً"<sup>(3)</sup>.

ليصور حالة أمير الصليبيين عندما سيطر الظاهر بيبرس عليه وعلى جنوده واستولى على أنطاكية وانتصر عليه، فقد أكدت الآية الكريمة في موقعها هذا ،على قدرة الملك الظاهر بيبرس في هزيمة أعدائه وإلحاق أكبر الخسائر بهم وعدم قدرة أعدائه على عمل أي شيء.

ورسالة أخرى كانت من العهود، فهو عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون ليتولى الخلافة، كتبه شمس الدين القيسراني، ويُستشف منها قوة حكم المماليك، فقد فُوض برأ وبحراً وشاماً ومصرًا، وقد حض الكاتب على جمع شمل الشعب تحت حكمه والسير تحت راية رجل واحد، والافتتاء بالرسول -صلى الله عليه وسلم- في حكمه<sup>(4)</sup>.

فالتفاصيل هنا واضح جلي فاستشهد جلي رسالته بقوله تعالى: "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرًا عظيمًا"<sup>(5)</sup>.

فهي دعوة لكي يبايعوا السلطان على السمع والطاعة. وسكنون رعاية الله فوقهم وترعاهم، وفيها دعوة ليأتتمروا بأمر الملك الناصر، وتزداد دولتهم قوة فوق قوتها.

رسالة تقليب كتبها ابن حجة الحموي لتقليد الإمام محمد الرازي وظيفية النظر في دواوين الإنشاء قال فيها:

- (1) السلوك، 1/ 966.
- (2) محمد، آية 20.
- (3) النبأ، آية 40.
- (4) صبح الأعمش، 10/ 59.
- (5) الفتح، آية 100.

"الحمد لله الذي أزال بالشمس المحمدية عنا كل ظلمة، وأزاح غمة كل إشكال، وما ترك أمرنا علينا غمة، وأعز الإسلام بمحمد وصحابته ففخول المسلمون في جزيل هذه النعمة، وصير أفق ملكنا الشريف مطلعاً لشمس العلوم ومستقراً لمحلها العظيم "والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم"<sup>(1)</sup>... نحمده على أن أطلع في أفق ملكنا الشريف شمساً في سعد سعورها زاهرة"<sup>(2)</sup>.

التناصر ووضح في تلك الرسالة فحمد الله على أن أرسل محمداً وأزال به ظلمة الكفر وتولى أمر المسلمين وأثار حياتهم بتعاليم الإسلام، وحمد الله الكاتب مرة أخرى على أن أطلع شمس الإمام محمد الرازي ليتولى وظيفة النظر في دواوين الإنشاء، فالتناصر كان لأنه شبهه بالشمس فهو غني عن التعريف كالشمس، ومشهور كشهريتها في كبد السماء.

ورسالة تعزية كتبها شهاب الدين محمود من بعض التراب إلى الأمير عز الدين الحموي بوفاة ولده، فقد أرسل الرسالة وأظهر الحزن والأسى على فقد ذلك الولد ودعا له ليتغمده الله برحمته، ثم انتقل لرتاء الميت ومدحه، فقال: "... فقد كان للمراكب بطوح طلعت أي إشراق، وللعيون عن مشاهدة كماله وأبهة جلالة؛ أي إضناء وأي إطراق. والله أي بدر هوى من أفق بروجه عن ذلك وأي شمس ما رأته الجواري الكئس إلا قلن: حاش لله ما هذا بشرأ إن هذا إلا ملك"<sup>(3)</sup> فيظهر هنا التناصر بشكل واضح فمدح الميت ووصفه بأجل الأوصاف حتى كانت أوصافه قريبة من أوصاف سيدنا يوسف -عليه السلام-، فقد قلن النساء من شدة جماله "وقلن حاش لله ما هذا بشرأ إن هذا إلا ملك كريم"<sup>(4)</sup>.

وهكذا شبه ابن عز الدين الحموي بسيدنا يوسف عليه السلام فقد اختار أجمل الأتبياء ليشبهه الميت به ومدحه بذلك مدحاً يليق به.

ورسالة أخرى -توقيع- كتبها ابن حجة الحموي لقاضي القضاة ناصر الدين محمد بن العديم، ليعود لوظيفة قاضي قضاة الحنفية بالديار المصرية، فأراد الكاتب ابن حجة الحموي خلال التوقيع أن يمدح ويذكر مناقب القاضي ناصر الدين محمد بن العديم فقال:

(1) ياسين، آية 36.

(2) قهوة الإشاء، 418.

(3) نهاية الأرب، 177/5.

(4) يوسف، آية 31.

"ولما كان الجناب العالي الحاكمي الناصري محمد بن المرحوم كمال الدين بن العديم، أعز الله أحكامه هو الذي أعرب عن جميل هذه الصفات وقامت لدعاوي مجده عدول هذه البيئات وحكم له بصحة ذلك حكماً صحيحاً مستوفياً شرائطه، وحَسُنَ أن يُنظَم في عقد ملكنا الشريف لما رأينا الاستحقاق له نعم الواسطة، فإنه نشأ "براً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً"<sup>(1)</sup>.

فالتناص جليّ في هذه الرسالة عندما أُرِدَ أن يمدحه بالصفات الحسنة، فقد نشأ باراً بوالديه وكان متواضعاً مطيعاً لربه يستحق وظيفة القاضي بجدارة، وقد شبهه الكاتب بسيدنا يحيى -عليه السلام- الذي كان شفقة ورحمة من الله لأبويه، وكان تقياً مسلماً مطيعاً، وباراً بوالديه لم يعصهما ولم يكن متكبراً عاصياً لربه حيث استشهد بقوله تعالى: "براً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً"<sup>(2)</sup>.

ورسالة أخرى هي طلب للصلح وصف فيها الكاتب ما حل بأهل مدينة ماردين من شقاء ومموم بعد النعيم وقتل بعد حياة، وحن بعد فرح فقتم ملك التتار محمود غازان إلى الناصر قلاوون يطلب منه الصلح وإيقاف الفساد فقال "...وعاهدنا الله تعالى على ما يرضيه عند بلوغ الأمانة، وعلما أن الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر بأن يسوعوا في الأرض فساداً" والله لا يحب الفساد" وأنه يغضب لهتك الحريم وسبي الأولاد"<sup>(3)</sup>.

فبعد أن تحدث عما يقوم به جنود الناصر قلاوون ضد جنود وشعب محمود غازان ملك التتار، أُرِدَ أن يتقدم برسالة طلب للصلح بينه وبين الناصر قلاوون، فأراد أن يحرك إيمان ودوافع الناصر قلاوون الإيمانية فاستشهد بقوله تعالى: "إن الله لا يحب الفساد"<sup>(4)</sup> ليقتل الصلح رضاً وطاعة لله عز وجل.

ومن خلال تناص القرآن الكريم يظهر الموروث الديني والثقافة الإسلامية الكبيرة الموجودة عند كتاب العصر المملوكي، وقد ساعد التناص بالقرآن الكريم على إعطاء دلالات للنصوص المتأثرة به.

(1) قهوة الانشاء، 20

(2) مريم، 14

(3) نجوم زاهرة، 8/111

(4) البقرة، 205

## ب - تناص الحديث الشريف :

ورد التأثر بالحديث الشريف عند كتاب الرسائل في هذا العصر، وتناص الحديث الشريف لا يصل لكثرة تناص الآيات القرآنية وذلك ربما يعود لقراءة النص القرآني.

ومن ذلك عهد كتبه شمس الدين القيسراني وهو للناصر محمد بن قلاوون، ليتولى الحكم ، فقد بشره بأن الله سيعينه على هذه المهمة ؛ لأنه لم يطلبها بل أعطيت إليه، ومن تلك الرسالة "بشراك أن الله أبرم سبب تأييدك إبراماً لا تصل الأيدي إلا نقضه، وأنت سُئلت عن أمر طالما أتعب غيرك سؤاله في بعضه، وأن الله يحسن لك العون وبك الصون، فقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "يا عبد الرحمن بن سُمرة لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها"<sup>(1)</sup>(2).

فالتناص واضح بالحديث الشريف السابق الذكر فإنه سيُعان على الإمارة لأنه لم يطلبها.

ورسالة أخرى وهي رسالة عهد الملك المنصور حسام الدين لاجين ، وقد كتبه شهاب الدين محمود فقد عُهد لحسام لاجين الأمانة ومصالح الناس، ودعاه للاحتكام للشرع والدين ولتسخير مصالح الإسلام والمسلمين، حيث قال "...وتفويض الحكم إلى كل من يتعن لذلك من أئمة الأمة، وإقامة الشرع الشريف على قواعده الأربعة فإن اتفاق العلماء حجة، واختلافهم رحمة وفي مصالح الحرمين الشريفين وثالثها الذي تشد الرحال أيضاً إليه"<sup>(3)</sup>.

إن التناص بالحديث الشريف واضح وجلي في الرسالة السابقة فدعاه للاهتمام بمصالح المسلمين وإقامة الشرع والاهتمام بمصالح الحرمين الشريفين وثالثهما امتثالاً للحديث الشريف: "لا تشد الرحال إلى إلا ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الأقصى"<sup>(4)</sup>.

ورسالة عهد كتبها محي الدين عبد الظاهر للسلطان قلاوون، هي وغيرها غالباً، ما يبدوها الكاتب بمقدمة تتضمن الشهادتين ليتلذذ بذكرها للسان، وتتعرض بفحاتها الأفرار وتتلفاها ملائكة القبول

(1) صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد البخاري، تحقيق محمد بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط 1، 1422 هـ، بيروت، لبنان، 8/ 127، رقمه (6622).

(2) صبح الأعشى، 10/ 59.

(3) السابق، 10/ 53.

(4) صحيح البخاري، 1/ 60، رقمه 1189

حيث يقول "تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يتلذذ لذكرها اللسان وتتعطر بفحاتها الألفواه والأردان وتتفاها ملائكة القبول فترفعها إلى أعلى مكان".<sup>(1)</sup>

فالتناصر واضح مع الحديث حيث قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله... أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء"<sup>(2)</sup>.

الذي يدعو فيه فيه لذكر الشهادتين ووجد أن أغلب الرسائل في العصر المملوكي تبدأ بمقدمة تدبج بالشهادتين والصلاة على الرسول الكريم.

وفي كثير من رسائل التقاليد والعهود والتواقيع ما نُختم بالوصايا، وكثيراً منها ما يختم بوصية التقوى، ومن ذلك مثلاً تقليد كُتب للقاضي شهاب الدين بن فضل الله العمري ليتولى كتابة السر، وقد اشتمل التقليد على عناصره من مقدمة وموضوع، ثم خانمة فكانت الخاتمة هنا مدمجة بوصايا وخبرها التقوى لأنها الباقية الصالحة.

حيث قال: "ونحن نختصر له الوصايا لأنه الذي يملئها، ونقتصر منها على التقوى فإنها الذخيرة النافعة لمن يعانيتها، والباقية الصالحة خير لمن يقتفيها"<sup>(3)</sup>.

ويظهر التناصر بالدعوة لتقوى الله عز وجل مع الحديث الشريف الذي يدعو فيه لتقوى الله، حيث قال -صلى الله عليه وسلم-: "إن أكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان" قالوا يا رسول الله، وما الأجوفان؟ قال "أُتدرون أكثر ما يدخل الجنة؟ تقوى الله وحسن الخلق"<sup>(4)</sup>.

ورسالة أخرى تقليد للأمير سيف الدين سلار المنصوري لنيابة السلطنة الشريفة كتبه علاء الدين بن عبد الظاهر. بدأها بمقدمة... ويشهد لله بالوحدانية، ولنبيه بالرسالة ويصلي على رسوله الكريم وعلى صحبه، ومن ذلك: "تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مشرقة الأتوار... وتشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي بعثه الله لإقامة شعائر الإيمان وخص ملته في الدنيا والآخرة

(1) النجوم الزاهرة، 7/338

(2) مسند الشاميين: الحافظ أبو القاسم سليم الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1989، بيروت لبنان، 316، رقمه(555)

(3) صبح الأعشى، 11/303

(4) مسند احمد بن حنبل، 15/435، رقمه9696



باليمن والأمان، - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه- والذين منهم من أضحى بفضل السيف للإيمان به صديقه وصديقه، وأمسى لفرط الألفة أنيسه في الغار ورفيقه<sup>(1)</sup>.

فالتناص بالحدِيث يظهر في آخر المقدمة حيث صلى على محمد وآله وصحبه وخص من صحبه الذي آزره، وكان صديقه وصديقه وأنيسه بالغار.

حيث ورد في صحيح البخاري عن أبي بكر- رضي الله عنه- قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم وأنا في الغار لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثها<sup>(2)</sup>.

وهكذا فإن الكتاب عمداً للتوظيف التناص بالحدِيث الشريف للتدعيم نصوصهم وإظهار الموروث الديني الموجود لديهم. وإظهار للثقافة الإسلامية التي اتصف بها كتاب العصر المملوكي .

### ج- تناص الشعر

لقد اعتاد الكتاب على تضمين نثرهم شيئاً من الأشعار ولم تكن هذه الظاهرة وليدة العصر المملوكي فقط، بل كانت موجودة في العصور التي سبقته.

وقد أكثر الكتاب في العصر المملوكي من تناص الشعر، وعدوه إجادة من الكاتب لصنعتة، وقد ذكر القلقشندي أمطاً من التأثر بالشعر فقال: "بل ربما كانت المكاتبه أو جُلها شعراً وقد يكون صدر المكاتبه شعراً وذيها نثراً وبالعكس، وقد يكون طرفها نثراً وأوسطها شعراً أو عكس ذلك بحسب ما يقتضيه الترتيب ويسوق إليه التركيب"<sup>(3)</sup>.

ولا غرابة في التأثر بالشعر و التناص به فالعرب أهل الشعر :

**الشعر ديوان العرب أبداً وغبوان النسب<sup>(4)</sup>**

ومن تناص الشعر في الرسائل المملوكية رسالة علمية كتبها جمال الدين ابن نباته لصلاح الدين الصفدي، وقد أجاز له أن يروي عنه كتبه يشتى الأنواع كانت نثراً أم شعراً، ثم ذكر بعض شيوخ

(1) نهاية الأرب، 8/136

(2) صحيح البخاري، 4/5 رقمه (3653)

(3) صبح الأعشى، 1/323.

(4) ديوان أبي فراس الحمداني: شرح خليل الدبهي، دار الكتاب، ط4، بيروت، 1999م، 28.

الحديث الذين روى عنهم، والأدباء الذين أخذ منهم ومن تلك الرسالة: "...وأما الفضلاء والأدباء الذين رويت عنهم، منهم القاضي الفاضل محي الدين محمد عبد الله بن رشيد عبد الطاهر بن شومان الكاتب المصري... والأمير الفاضل شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الصاحب شرف الدين إسماعيل بن المتنتي اقترح علي أن أنظم له في زيادة النيل فقلت:

زادت أصـت بأصـابـع نـيلنا وطـمـت فأكـمـدت الأعـادي  
وأرـت أصـت بكـمـل جـمـيلنا مـا ذـي أصـابـع ذـي أـيـادي<sup>(2)(1)</sup>

فهنا لربما قصد بالنيل الذي زاد هو زيادة وكثرة العطاء والأدباء الذين نهل منهم وترى على أيديهم وقصد بعبارة ما ذى أصابع يعني: أنهم لم يكونوا علماء وأدباء، عادين بل كانوا أشهر العلماء وأقرب الأدباء فلم يكونوا أصابع بل كانوا أيادي ذوي قدر وأهمية ، و التناص ظاهر في تلك الرسالة من خلال استشهاد ابن نباته بأبيات شعر من ديوانه.

ونموذج تناص آخر عهد من المنصور فلارون لابنه صلاح الدين خليل، وقد كتبه محي الدين عبد الظاهر، وبعد مقدمة الرسالة قد بدأ بمدح ابنه صلاح الدين خليل فقال: "أطلعنا في أفق السلطنة كوكباً سعياً كان لحسن الاستخلاف معاً، ومن لقبيل المسلمين خير ثواباً وخير مرداً، ومن يبشر الله به من الأولياء المتقين، وينذر من الأعداء قوماً دأء، ولم يبق إلا به أنسنا بعد ذهاب الذين تحميمهم كالسيف فرداً" والذي ما أمضى حده ضريبة إلا "قد البيض والأبدان قدأ"<sup>(3)</sup>.

وللتناص بالشاعر ظاهر وجلي في الرسالة السابقة، فقد استشهد الكاتب بالشاعر في موضعين:  
الأول كالسيف فرداً والثاني قد البيض والأبدان قدأ<sup>(4)</sup>.

مثنياً بالشاعر عمرو بن معد يكرب وأراد في هذا التناص في هذه الرسالة أن يمدح صلاح الدين مدحاً يليق به فقال عنه: أنه كان كالسيف اعتقد الأعداء أنه وحيث فرد لا معين له ولا مساعد، إلا أنه قد قد أبدان الأعداء وانتصر عليهم.

(1) النيران: ابن نباته المصري: شركة علاء الدين بيروت، 163.

(2) المنهل الصافي، 5/ 246

(3) النجوم الزاهرة، 7/ 341.

(4) النيران، عمرو بن معد يكرب الزبيدي، جمعه، مطاع الطرايشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ط 2، 1985 دمشق، 80، 82.

وتناص شعر آخر تقليد كتيبه ابن حجة الحموي لتقليد الإمام محمد الرازي الشافعي، وظيفه النظر في دواوين الإيشاء بالملك المصرية، فبعد أن فوضه وأعطاه تلك المهمة انتقل إلى مدحه بأبيات من الشعر فقال:

"أهذه سير في المجد أم سور وهذه أنجم في السعد أم غرر  
وأنت في الأرض أم فوق السماء وفي يمينك البحر أم في وجهك القمر  
يقبل البدر تريباً أنت واطمه فقلت سراب عليه ذاك الأثر"<sup>(1)(2)</sup>  
فالإمام محمد الرازي كان أقر الناس على تدبير أمور الدولة بما يجمعه من علم وعمل فمدحه بتلك الأبيات، فقارئ تلك الأبيات يتعرف المكانة التي حظي بها محمد الرازي.

ولتناص ظاهر هنا عندما استشهد ابن حجة الحموي بأبيات من شعر القاضي الفاضل ليمدحه.

وفي نهاية الرسالة السابقة تحدث ابن حجة عن الوصايا فقال إنها كثيرة ولكن النور لا يهدي للشمس وقال:

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به في طلعة الشمس ما يعينك عن زحل<sup>(3)(4)</sup>  
ولتناص ظاهر في استشهد ابن حجة الحموي ببيت شعر قاله المتيبي. ودعاه إلى أن يأخذ من الأمور والكلام والأحداث ما يراه، ويترك ما سمع به واعتبر أن ما يراه الإمام بعينه كأنه الشمس وما يسمعه هو زحل، فيدعوه ليتأكد بنفسه من الأمور ولا يدع مجالاً للشك والارتياب فيما يقال ويتناقله الناس خصوصاً في كثرة الإشاعات بين الناس.

ورسالة أخرى – توقيع – كتبها ابن حجة الحموي للعلامة الشيخ برهان الدين إبراهيم –  
السكندري برياسة الطب بالديار المصرية المحروسة.

(1) خزنة الأدب، 1/ 277.

(2) قهوة الإيشاء، 417

(3) الليمان: المتيبي، دار بيروت، لبنان، 1983، 338.

(4) قهوة الإيشاء، 417.

فختم الرسالة بحديث عن الوصايا فقال: "فليباشر ذلك على ما عهد من مبادئ أدواته التي هي غاية المتهني، والوصايا كثيرة فأرسل حكيماً ولا توصه، والله تعالى يحفظه حفظ الصحة للأبدان"<sup>(1)</sup>. فمدح الشيخ برهان الدين عندما وصفه بالحكيم ولم يقدم له الوصايا، فهو من يؤخذ منه الوصايا. والتناصر بالشعر ظاهر عندما استشهد بشطر من بيت شعر لطرفة بن العبد حيث يقول في ديوانه: إذا كنت في حاجة مرسلأ فأرسل حكيماً ولا توصه<sup>(2)</sup>

فقد كان العلامة برهان الدين من الحكماء وليس بحاجة للترجيح . ورسالة أخرى كتبها الفافنندي في مدح المقر الكريم الفتح، أبو المعالي، فتح الله، ومن تلك الرسالة: "تحمد على أن خص المملكة المصرية من إبداع سرها المصنوع بأوسع صدر رحب، وأنهض بتبدير مصالحها من إذا سرت كئائب كتبه إلى عدو أئسد من شدة الفرق: قفا نيك من ذكرى حبيب"<sup>(3)</sup>

والتناصر واضح جلي من خلال استشهد الفافنندي بقول امرؤ القيس:

قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل<sup>(4)</sup>  
فقد حمد الكاتب الله عز وجل على جعل أمر المملكة المصرية بين يدي أبي المعالي فتح الله، فهو أقدر الناس على تدبير مصالحها، ولو وصلت كتبه لأعدائه لأئسد قول امرؤ القيس: قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل ، فقد أراك أن يبكي أسفاً وحرزاً وحسرة على النصر والقوة والملك الذي حققه وهم ينظرون إليه.

ومن خلال تناص الشعر واستخدامه في رسائلهم كان كنوع من تأكيد الفكرة والهدف المراد فالعرب أهل الشعر وبهتمون به منذ العصر الجاهلي وسار كتاب العصر المملوكي على نهج السابقون وفتح العصور بعضها على بعض ، حيث لوحظ توظيف أبيات شعر من كافة العصور السابقة للمملوكي .

(1) قهوة الإنشاء ، 37.

(2) الديوان: طرفة بن العبد، تحقيق مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط 3، 2002، 51/1.

(3) صبح الأعشى، 14/192.

(4) النيران: امرؤ القيس: دار الأرقم، بيروت لبنان، 91.

## د- تناص الأمثال

إن الأمثال العربية لها حظ في الرسائل المملوكية، وقد اهتم الكتاب بتضمينها في رسائلهم لما له من أثر بالغ على رسائلهم، حيث إن: "المثل مقرون بالحجة"<sup>(1)</sup> ويجعل النص حاضراً بقوة.

والمثل يقود المعاني ويسوقها للكاتب، حيث يقول القافضندي:

"إن أكثر صاحب هذه الصناعة من حفظ الأمثال الشائع استعمالها، انقادت إليه معانيها، وسقت إليه ألفاظها في وقت الاحتياج إلى نظائرها من الوقائع والأحوال فأودعها في مكانها واستشهد بها في مواضعها"<sup>(2)</sup>.

ومن تلك الرسائل التي ذكر فيها بعض الأمثال، تقليد كتيبه ابن حجة الحموي ليتولى الإمام الرازي الشافعي مهمة النظر في دروس الإنشاء بالملك الشريفة، فبدأ الرسالة بمقدمة، ثم موضوع، ثم ختمها بوصايا لتساعده في عمله فقال:

"والوصايا كثيرة ولكن لا يهدى التمر إلى هجر، ولا يهدى النور إلى الشمس ولا القمر"<sup>(3)</sup>.

فالكاتب قد مدح الإمام الرازي ورأى أن الوصايا كثيرة ولكن لا تقدم له لكثرة علمه ودينه، فقد كان شمساً يثير الكون ولا يحتاج إلى وصايا والمثل السابق مثل قديم وأصله "مستبضع التمر إلى هجر" وقد كانت هجر بلدة كثيرة النخل يُحمل منها التمر إلى غيرها<sup>(4)</sup>.

وهكذا كان الإمام الرازي تؤخذ منه الوصايا والنصائح لغيره من العلماء والأمرء.

ومن ذلك أيضاً: "إن كنتم تريدون الصلح والصلاح وبراظكم كظواهركم متتابعة في الصلاح فُيرسل إلينا من خواص دولتك رجل... إذا فصل حكماً انتهيت إليه... لتتكلم معه في ما فيه الصلاح لذات الين وإن لم يكن كذلك عاد بخفي حنين"<sup>(5)</sup>، وهذه الفقرة من رسالة رُدَّ على رسالة صلح أرسلها

(1) معجم البلاغة العربية: بدوي طبانة، دار المنارة، ط 3، جدة، 1988م، 816/2.

(2) صبح الأعشى، 1/ 631.

(3) قهوة الإنشاء، 417.

(4) نثر الدرر، أبو سعد منصور الآبي، تحقيق خالد محفوظ، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان، 2004، ط 1، 166/6.

(5) النجوم الزاهرة، 8/ 113.

الناصر قلاوون لمحمود غازان، في هذه الفترة طلب قلاوون رجلاً حكيماً ليتحدث معه، وطلب أن يكون رجلاً حكيماً ليفصل معه موضوع الصلح، وحذرهم بضرورة أن يكون حكيماً وإن لم يكن كذلك فسوف يعود صفر اليبدين، و التناص ظاهر بالمثل" عاد بخفي حنين<sup>(1)</sup> ومن ثم سيخسرون الصلح أيضاً. ومع ذلك: "ويكفيها أن من بعض أوصافها أنها شامة الله في أرضه، وأن بركة الله حاصله... ومنها إذا أهبط إليها أمل كان له ما سأل، إذ أصبحت دار إسلام بجنود تسبق سيوفهم العذل، وقد صمر العذل أو طانها"<sup>(2)</sup> وهذه الفترة من رسالة أمان من المنصور قلاوون للتجار وفيها يصف الدولة الزاهرة وجنودها. فقد كانت الدولة شامة الله في أرضه، وبركة للمحسنين وجنودها أشداء أوفياء تسبق سيوفهم العذل<sup>(3)</sup> ويضرب هذا المثل لنفاز الأمر وانتهائه، وعدم فائدة المراجعة فيه، كما لا ينفع معه الندم، وهكذا قد كان جنوده يثثرون العذل أيضاً في كل مكان.

وأيضاً "من سل سيف البغي قتل به ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله فيرسل إلينا من خواص دولتك رجل يكون منكم، ممن إذا قطع بأمر وقتم عنده"<sup>(4)</sup>

هذه الفترة من رسالة رد فيها الناصر قلاوون على رسالة محمود غازان التي طلب فيها الصلح، وهنا يحذره من إظهار الرغبة في الصلح وإخفاء المكر والخديعة ويحذره من الظلم فعواقبه وخيمة ومن أشهر سيف البغي وأراده قتل به وهكذا فإن عبارة: "من سل سيف البغي قتل به"<sup>(5)</sup> أصبحت مثلاً يتردد على الألسنة للتحذير من الظلم، فمن نهج هذا الطريق سيقتل به.

إن المثل له وقع مميز في أذهان البشر ويحفظ ويكرر في مواقف مشابهة، ويساعد على الاهتمام بالرسائل، وجذب انتباه المستمعين.

---

(1) الأمثال، أبو الخير الهاشمي، دار سعد الدين، ط1، دمشق 1423هـ، 139. وأيضاً: نثر الدر، 6/159

(2) صبح الأعشى، 13/340.

(3) مجمع الأمثال، أبو الفضل الميداني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1971/1

وأيضاً: جهرة الأمثال: أبو هلال العسكري، تحقيق محمد إبراهيم وعبد المجيد قطاش، دار الفكر، د. ط، 1988، بيروت، 1/377. وأيضاً: نثر الدر، 6/152

(4) النجوم الزاهرة، 8/113.

(5) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبي نعيم الأصفهاني، دار الكتاب العربي ط 4، 1985، بيروت، لبنان، 3/195. وأيضاً نثر الدر، 4/165

### ثالثاً: الجمل الأعانية:

أكثر كتاب الرسائل من استخدم الجمل الأعانية في رسائلهم بصورة عامة، واستخدمت في الرسائل على اختلاف موضوعاتها وأغراضها.

فإن هذه الجمل من شأنها أن تفيد التعظيم والتوقير، فهي تدعو أن يؤيد الله الأمير بالنصر، والعهز والتأييد، ويضاعف الله نعمه على الأمير أو السلطان، ويُسمعه كل آيات الهناء، وتستمر البشائر بالوصول للأمير، ويعز الله سلطانه، ويديم الله أيامه وعمره.

وتبدو هذه الظاهرة جلية في معظم أنواع الرسائل. ومن أمثلة ذلك "ضاعف الله نعمة الجباب، وسر نفسه بأنفس بشرى، وأسمعه من الهناء كل آية أكبر من الأخرى، وأقدم عليه المسار ما يتحرز ناقله ويتحرى... والله يديم الجباب العالي لقص الأنبياء الحسنة عليه، ويمتعه بجلاء عرائس التهاني والأفراح لديه"<sup>(1)</sup>.

ومن ذلك أيضاً "ضاعف الله تعالى نعمة الجباب... أعز الله أنصاره... والله تعالى يجعل حل مسرته في أيامنا الشريفة"<sup>(2)</sup>.

ومن ذلك أيضاً "أعز الله تعالى أنصار الجباب العالي... والله تعالى يطلق السنة الأرقام بتهايه ويملا بطون الدفاتر وكما أحسن براعته في الأول يحسن ختامه في الآخر"<sup>(3)</sup>.  
وأيضاً "زادهما الله تعالى تأييداً... أدام الله تعالى علاه"<sup>(4)</sup>.

ومن ذلك "أطال الله في زيادته فتردد في الآثار، وعمته البركة فأجرى سواقي ملكه إلى أن عدت جنة تجري من تحتها الأنهار... والله تعالى يوصل بشائرنا الشريفة بسمعه الكريم ليصير بهما في كل وقت منشفاً"<sup>(5)</sup>.

(1) حسن المحاضرة، 2/ 369.

(2) قهوة الإيشاء، 274.

(3) السابق، 79.

(4) السابق، 278.

(5) ثمرات الأورق، 230.



ومن ذلك أيضاً "أعز الله من الوصف بما قل عنه مكاني.. أجزت لك أعزك الله، والله يشكر عهدك الجميل وكلماتك الجزلة وكرمك الجزيل، ويمتد فنون الفضائل المليحة إلى ظل قامك الظليل ولا يعدم الأجاب والآداب من اسمك<sup>(1)</sup>.

ومن ذلك أيضاً "رزقه الله تعالى ثباتاً على رزيقه وصبراً وجعل له مع كل عسراً يسراً، وأبقاه مفدى بالأنفس والنفائس... أعظم الله أجر مولانا ومنحه صبراً جميلاً وأجرًا جزيلاً... أعظم الله أجره وأطال عمره وشرح صدره وأجزل صدره وسخر له دهره"<sup>(2)</sup>. فقد كانت الجمل الأعرائية مستخدمة في معظم الرسائل.

وقد لوحظ على الجمل الأعرائية أنها كانت تستخدم في بداية الرسالة ونهايتها، ويظن ذلك أنه من أسباب الإطناب.

#### رابعاً: الإيجاز والإطناب:

لم تكن نصوص أدب الرسائل تسير في اتجاه واحد من حيث الإيجاز والإطناب، فهي تطول وتقصر حسب موضوع الرسالة، فالإيجاز قصور البلاغة عن الحقيقة. والإطناب البيان، والبيان لا يكون إلا بالإشباع والإفحام<sup>(3)</sup>.

والإيجاز وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل منها وافية بالغرض المقصود مع الإبانة والإفصاح، والإطناب زيادة اللفظ على المعنى فائدة تقويته وتوكيده<sup>(4)</sup>.

إن الإطناب سمة تظهر في معظم موضوعات الرسائل في العصر المملوكي؛ ومرد ذلك أن هذه السمة تتيح لمثلي الرسالة أن يظهر مهارته الفنية وثروته الفكرية والثقافية فيكثر من عرض موضوع رسالته.

والإطناب يقوم على بسط المعاني وتكرارها بعبارات متعددة تهدف لتأكيد الفكرة وتوضيحها.

(1) تمام المتون، 249.

(2) صبح الأعشى، 9/ 83.

(3) الصناعتين، 193.

(4) ينظر: جواهر البلاغة: أحمد الهامشي: دار إحياء التراث، ط12، لبنان بيروت: 222، 226 وأيضاً: ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين القزويني، تعليق محمد خفاجي، دار الكتاب، ط4، بيروت، لبنان1975، 287/2.

ومن الرسائل التي تغلب عليها سمة الإطناب رسالة تفيد شهاب الدين بن فضل الله كتابته السر ومنها: "ولم نظفر بمن تمت فيه الشروط المشروطة، وامتنان بفهم لا يُقَل على الفساد، ولا يُقَل الأخلوطة، إن أمليناه إملاءً ذكره، وإن حُمننا حول معنى لا تُؤدّي إليه العبارة فستره... وإن أودعناه سرّاً ستره، وكتمه إما بخطه عن قلبه فلم يدركه، أو بقلبه عن لحظه فلم يره"<sup>(1)</sup>.

فالإطناب ظاهر في الرسالة من خلال عبارات المدح التي قبلت له.

وكثر الإطناب أيضاً في مقدمة الرسائل التي يمدح الله عز وجل فيها على نعمه وآلائه، و يعددها ثم يشهد له بالوحدانية ولمحمد -صلى الله عليه وسلم- بالنبوة ويعدد صفات الرسول.

ومن ذلك "الحمد لله الذي وسع كل شيء رحمةً وعلماً، وسمع نداء كل حي رافةً وحلماً، وخص أيامنا الزاهرة بالإحسان... نحمده على نعمه التي غمرت رعايانا بإدامة الإحسان إليهم، وعمرت ممالكنا بما تتعاهد به أهلها من نشر جناح الرافة عليهم... وتشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لم تزل تشفع لأهلها العدل بالإحسان وتشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي جلا الغمة، وهدى الأمة، وسنزل الرافة على خلق الله والرحمة... صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أمروا بالتيسير..."<sup>(2)</sup>.

ومن أسباب الإطناب كثرة التناص مع الشعور، حيث يذكره الكاتب ليمدح المرسل إليه من خلال تلك الأبيات. ومن ذلك فبعد أن قدم له التقايد بدأ يمدحه ومن تلك الرسالة "أن نفوض للجنان الكريم المشار إليه وظيفة النظر في دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية المحروسة... وقد تعين عليك أن تخاطب هذا الامام بقولك في شعرك:

أهذه سسير في المجد أم سسور      وهذه أنجم في السعد أم غرر  
وأنت في الأرض أم فوق السماء وفي      يمينك البحر أم في وجهك القمر  
يُقْبَل البدر تريباً أنت واطقه      فلنراب عليه ذاك أثر<sup>(3)</sup>  
فاستخدام الشعور في رسالته يدعم الفكرة والرأي المراد إيصاله.

(1) صبح الأعي، 11/ 300.

(2) السابق، 13/ 28.

(3) فهوة الإنشاء، 417.

كما يظهر الإطباب أيضاً في الرسائل السياسية التي كتبت لإظهار الانتصار والقوة التي حققها وإعلام العدو بالهزيمة مع السخرية منه ومن ذلك:

"قلو رأيت خيالك وهم صرعى تحت أرجل الخيول، وديارك والنهاية فيها تصل، والكتابة فيها تحول، وأمورك وهي توزن بالقطار... ولو رأيت كئاسك وصلبانها قد كسرت ونشرت وصفها من الأناجيل المزورة قد نثرت وقور البطارقة قد بعثرت..."<sup>(1)</sup>.

ففي هذه الرسالة يظهر الإطباب من خلال الحديث عما أصاب جنود بوهند وما حل بهم وبأمورهم وكئاسهم فأراد أن يظهر قوته وقوة جنوده وهزيمة عدوه مع تهكم وسخرية منه.

ويرى العسكري أن الإطباب يساعد على إفهام الرعية فهو يشترك فيه الجميع، حيث يقول: "الإطباب مشترك وفيه الخاصة والعامة والغني والفقن ولمعنى ما أطابت الكتب لإفهام الرعايا"<sup>(2)</sup>.

حيث يساعد الإطباب على إفهام الرعية ووضعها في صورة ما يجري، ومن ذلك هذنة عقت وتم تحديد المدن والأماكن التي شملتها الهدنة، والناس الذين شملتهم الهدنة ومنها: "استقرت الهدنة المباركة... مدة عشر سنين... على بيروت.. وأماكنها المضافة إليها من حد جيبيل إلى حد صيدا، وهي المواضيع الآتي ذكرها: والغذب بحدودها، والصفورية بحدودها، وسن الفيل بحدودها... وجميع ما في هذه الأماكن من الرعايا والتجار، وسائر أصناف الناس أجمعين الصادرين منها والواردين إليها..."<sup>(3)</sup>.

وهذا الإطباب في عرض الأماكن التي شملتها الهدنة لتعلمها الرعية ولا تتعدى بنود تلك الهدنة، ولتستمر على المدة التي حددت عشر سنين، ولا يقع أي خطأ يخل بها.

وفي رسائل العهد كان كاتب أو مرسل الرسالة يكثر من الوصايا لتكون له ذخراً وذكرًا وتساعد في ما يُستجد معه من أمور، ويقوم المرسل بعرض تلك الوصايا وتوضيح كل واحدة ومن ذلك: "وأما الوصايا فأنت يا ولنا الملك الأشرف - أعزك الله - بها الدرب، ولسماع شدوها وحدوها الطرب، الذي للغو لا يضطرب، ففعليك بقوى الله عز وجل فإنها ملاك سداك وهلاك

(1) السلوك، 1/ 966.

(2) الصناعتين، 209.

(3) صبح الأعيى، 14/ 40.

أضدادك...والعدل فهو مشر غروس الأموال، ومعر بيوت الرجااء والرجال...كثّر لمن حولك التمويل والتمويل، وضاعف الخير في كل مضاف لمقامك...<sup>(1)</sup>.

فالإطناط ظاهر من خلال عرض الوصايا وتوضيحها.

ويظهر الإطناط أيضاً عند خطاب الشعب في أوقات التحرك للقاء العدو منها يجب أن يبسط القول في وصف العزائم وتقوية الهمم وشحنها لتكثير الجيش والعساكر، وتقوية قلوب الشعب ومن ذلك.

"أصدرناها ومنادي النفير قد أعلن بيا خيل الله اركبي، وبأ ملائكة الرحمن اسحبي، وبأ وفود التأييد، والظفر اقربي، والعزائم قد ركضت على سوابق الرعب إلى العدا والهمم قد نهضت على عدو الاسلام...والسيوف أخرجت من العمود...والجيوش قد كثرت النجوم أعدادها"<sup>(2)</sup>.

فالإطناط في هذه الرسالة يساعد على بث روح القوة والعزيمة في نفوس الجيش.

ومن أسباب الإطناط أيضاً في رسائل هذا العصر، الأوصاف التي يدبجها الكتاب في رسائلهم يصفون المرسل إليه أو المراد تسليمه الوظيفة ويمدح بأوصاف كثيرة تمدح وتمجد المرسل إليه.

ومن ذلك: "وكان الجناب الكريم العالي الأميري الكبيرتي العالمتي العادتي الكاملتي المرئدي الرزيمتي الغيايتي المستدي المهدي المطوري المنصوري السيوي، معز الإسلام والمسلمين، سيد أمراء العالمين، سند الممالك، مدير الدول، مقدم العساكر أمير الجيوش..."<sup>(3)</sup>.

ومنها أيضاً "كالمجلس العالي، القضايتي، الأجلتي، الكبيرتي، العالمتي، العادتي، العالمتي، القوامتي النظامتي، المديرتي، الفاضلتي، الكاملتي الأوحدي، المفوهتي الخاشعتي السفيرتي الشهابتي، صلاح الإسلام والمسلمين سيد الرؤساء في العالمين قذرة العلماء العاملين..."<sup>(4)</sup>

(1) النجوم الزاهرة، 7 / 341.

(2) حُسن التوسل، 94.

(3) نهاية الأرب، 8 / 137.

(4) صبح الأعشى، 11 / 300.

ومن ذلك أيضاً "كنت أيها السيد العالم العادل السلطان الملك الناصر، ناصر الدنيا والدين، أبو الفتح محمد ابن السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدين قلاوون أولى الأولياء بالملك الشريف"<sup>(1)</sup>. ومن ثم فإن هذه الأوصاف التي يمدح فيها المرسل إليه كانت سبباً في إظهار سمة الإطناب. أما الإيجاز فيرى الكلاعي أن "الإيجاز يخاطب به أهل الرتب العالية والهمم السامية لأن قراءة الكتب كلفة، والواجب تخفيف تلك الكلفة عن الأكابر والملوك"<sup>(2)</sup> وترى الباحثة أن هذه السمة لم تكن موجودة في رسائل العصر المملوكي ولا سيما المرسله للملوك والأمراء، بل بالعكس يغلب عليها الإطناب والإطالة عند مخاطبتهم كما سبق الحديث.

وقد وجدت الباحثة القليل من الرسائل التي يغلب عليها الإيجاز ومن تلك الرسالة استخارة من الصفي لآبن سيد الناس يطلب إجازة ليروي تفسير القرآن وكتب الأديب، فبعد المقدمة تناول الموضوع وأوجز فيه ومن ذلك:

"إجازة كاتب هذه الأحرف جميع ما رواه من أنواع العلوم وما حمله من تفسير لكتاب الله تعالى أو سنة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو من الصحابة والتابعين -رضي الله عنهم- بسماع من شيوخه أو بقراءة من لفظه أو سماع بقراءة غيره أو بطريق الإجازة خاصة كانت أو عامة أو يلذن أو مناولة أو وصية كيف ما تأدى ذلك... وإجازة ما له من مقول نظماً ونثراً وتأليفاً وجمعاً..."<sup>(3)</sup>.

ورسالة أخرى تظهر عليها سمة الإيجاز، إجازة كتبها عز الدين بن جماعة لنجم الدين أبي الفتح محمد فكانت رسالته مختصرة وأذن له أن يروي عنه مصنفاته فكانت تلك الرسالة لا تتجاوز تسعة سطور، ومنها "كذلك عرض على المذكور باطنها عرضاً حسناً، مجرداً مهذباً مجاراً مقنناً، عرض من أتقن حفظه، وزين بحسن الأداء لفظه، وأجزل له من عين العناية حظه... أذنت له أن يروي عني الكتاب المذكور وجميع ما يجوز لي وعني روايته من مصنفاتي"<sup>(4)</sup>.

وهكذا فإن السمة الغالبة على الرسائل في العصر المملوكي هي الإطناب، ومهما يكن من أمر فكتاب هذا العصر كانوا يراعون ظروف إنشاء الرسالة ومناسبة الإطناب والإيجاز لمقتضى الحال.

(1) صبح الأعشى ، 10/59.

(2) إكدام صنعة الكلام، 91.

(3) الروافي بالوفيات، 1/ 231.

(4) صبح الأعشى ، 14/ 330

#### خامساً: أسلوب الأمر:

الأمر تقيض النهي يقال أمره يأمره أمراً، فأمر أي قبل الأمر<sup>(1)</sup> وقد عُرف "طلب الفعل على وجه الاستعلاء والالتزام، فينظر الأمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه أو يوجه إليه الأمر"<sup>(2)</sup> وقد عرفه العلوي صبيغة تستدعي الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء"<sup>(3)</sup>.

وقد أكثر كتاب الرسائل من استخدام أسلوب الأمر في رسائلهم، وتوتعت صيغ الأمر في رسائلهم بين فعل الأمر والفعل المضارع المقرون بلأم الأمر.

ويخرج أسلوب الأمر لعدة أغراض كالدعاء والتعجيز والتهديد والنصح والإرشاد و... ولكن غلب على غرض أسلوب الأمر في رسائلهم النصح والإرشاد.

ومن أساليب الأمر في رسائلهم:

"الرصايا كثيرة لكن لا يهدى التمر إلى هجر ولا يهدى النور إلى الشمس ولا إلى القمر، وطلعت الشمسية أحق بقول أبي الطيب.

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل"<sup>(4)</sup> قد استخدم الكاتب صبيغة فعل الأمر وكان غرضه النصح والإرشاد.

ومن ذلك أيضاً "رسم بالأمر الشريف أن نفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بصفتي المحروسة...فيلتق هذه النعمة بباح شكره المديد"<sup>(5)</sup>. قد أمر المقلد أن يحمد الله ويشكر فضله على وظيفة نيابة صفد. واستخدم صبيغة الفعل المضارع المقرون بلأم الأمر، وغرضه البلاغي النصح والإرشاد.

ومن ذلك أيضاً: "ليباشر ذلك على ما عهد من مبادئ أدواته التي هي غاية المنتهى والرصايا كثيرة وأرسل حكيماً ولا توصه"<sup>(6)</sup> قد استخدم الكاتب صبيغة فعل الأمر أرسل، والمضارع المقرون بلأم الأمر وكان غرضه البلاغي النصح والإرشاد.

(1) لسان العرب، مادة أمر.

(2) معجم المصطلحات البلاغية، 1/313(2).

(3) الطراز، 3/281.

(4) قهوة الإيشاء، 422.

(5) صبح الأعرشي 12/208.

(6) قهوة الإيشاء، 36.

ومن ذلك "قلباخذ الجناح العالي حظه من هذه البشرى التي جاءت بالمن والمنح"<sup>(1)</sup> رسالة من يشاره وفاء النيل واستخدم صيغة المضارع المقرون بلام الأمر .

ومن ذلك أيضاً " إجازة رواية استخدم الكاتب فيها أبيات من الشعر وجعلها بصيغة الأمر

فـَـارو منـُـوي وارو عـنـي اذـن عـلـى شـد المطـايـا  
وانتـقـى الفـضـل وحـصـل وادـظـمـنـي بـمـزايـا  
وتحـرـر الصـرـدق واعـلـم أنـه خـيـر الوـصـرـايا"<sup>(2)</sup>

---

(1) حسن المحاضرة، 2/369.  
(2) صبح الاعشى، 14/335.



## المبحث الثالث السمات الإيقاعية

النثر الأدبي كالشعر له إيقاع خاص به، وقد اهتم كتاب الرسائل باستخدام صور البلاغة وتوظيف ظواهرها في رسائلهم. فاستخدام تلك الظواهر يُضفي على الرسالة إيقاعاً موسيقياً جميلاً يؤثر في المتلقي، ويجذب انتباهه. فالمحسنات البيعية ظاهرة في رسائل هذا العصر، وقد تنوعت ما بين السجع والجناس والطباق والموازنة. وتلك المحسنات تقدم الغرض المطلوب إذا استخدمت بعيداً عن التكلفة والتصنع، وهذه الظواهر تبرز مهارة وبراعة الكاتب في ترتيب رسائلهم بها.

مكونات إيقاع الرسائل:

### أولاً: السجع

إن للسجع دوراً مهماً في إعطاء الرسالة جرساً موسيقياً جميلاً، والسجع يحدث انسجاماً من المتلقي يشعره برغبة لاستكمال الاستماع للنص.

السجع هو تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد<sup>(1)</sup> وللسجع دور مهم في إعطاء الرسالة موسيقياً تجذب انتباه السامعين ويجعل ذهنه متوقفاً مع الرسالة.

ولقد كان استخدام الكُتاب لألوان البديع منذ العصر الجاهلي، في أدبهم، وفي العصر الإسلامي استخدموه وشحروا رسائلهم به على نحو يسير، أما في العصر العباسي فقد أصبح السجع فناً يحرص الكُتاب على أن لا تخلو رسائلهم منه<sup>(2)</sup>، وقد أصبح السجع صفة غالبية على أساليب معظم الكُتاب<sup>(3)</sup> ولقد اهتم كُتاب العصر المملوكي أيضاً بالسجع وزينوا رسائلهم به، فالسجع مهم للنثر كاهمية لاقافية للشعر، فهو يعطي جرساً موسيقياً جميلاً على الرسالة. تلك الموسيقى تأتي من التوافق بين الألفاظ المسجوعة.

(1) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: محمد جلال الدين القزويني، تعليق محمد خفاجي، دار الكتاب اللبناني، ط4، 1975، بيروت، لبنان، 2/ 547.

(2) ينظر: الكتابة الفنية: حنيفة: مؤسسة الرسالة، ط1، سوريا، 1978، 413.414  
وينظر: بلاغة الكتاب في العصر العباسي، 160، 165.

(3) ينظر تطور الأساليب النثرية: أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، ط6، بيروت، لبنان، 1979م، 209، 215.

وقد اشترط ابن الأثير في السجع أن تكون حارة طنانة رنانة لا عاتية ولا باردة<sup>(1)</sup>.

وتتوعد رسائل هذا العصر بطول وقصر السجعات، ومن ذلك مثلاً:

رسالة تعزية كتبها شهاب الدين محمود "رؤقه الله تعالى ثباتاً على رزيقه و صبراً، وجعل له مع كل عسر يسراً، وأبقاه مَفدى بالأنفس والنفائس، وكان له أعظم حافظ من ثوب الدهر وأجل حارس، المملوك ينهي علمه بهذه النازلة التي فتنت القلوب والأجساد، وكادت أن تفرق بين الأرواح والأجساد، وأزالت ذخائر العيون، وابتذلت من المدمع كل مصون"<sup>(2)</sup>.

لقد تنوع السجعات في الرسالة السابقة، ما بين حروف الألف والسين والدال والنون. وقد أعطت تلك السجعات جرساً موسيقياً جميلاً.

ومن ذلك: "الحمد لله الذي أجزل العطاء والمواهب، وضاعف النعماء التي يفيض شعابها أمواه العيون نواصب، وضاعف عزاً لا يعز معه مقصد، ولا يتعز معه المطالب، وحلى عطل الأيام بالمحاسن التي شُتت بها ما ظهر من المعاييب. أحده على نعمه التي تحلى بنورها ظلم الغياهب والأطراف التي نظمت من المجد عقده المتناسق وذروة المتناسب"<sup>(3)</sup>.

يظهر السجع في الفقرة السابقة في حرف الباء وهو يعطي جرساً يجذب انتباه السامع.

ومن ذلك أيضاً: "بدأتني أعزك الله من الوصف بما قل عنه مكاني، وكاد من الخجل يضيق صدري ولا ينطلق لساني، وحملت كاهلي من المن ما لم يستطع، وضربت لذكري الأفاق نوبة خيلية لا تنقطع... وأقابل لسانك المطلق بلساني المحصور، وأثبت استعماك على بيت مال نظمي المكسور"<sup>(4)</sup>.

فتتوعد السجعات في الفقرة السابقة ما بين الباء والعين والراء في الكلمات الآتية: (مكاني- صدري - لساني - كاهلي - تنقطع-محصور - مكسور) هذا التنوع يحدث جرساً موسيقياً جميلاً ويجذب الانتباه.

(1) المثل السائر، 1/ 197.

(2) صبح الأعشى، 9/ 82.

(3) السلوك، 1/ 969.

(4) المنهل الصافي، 5/ 249.

ومن ذلك أيضاً "وكان فلان ممن أشبهه أباه، وأبين ما أودعه من نفائس الطوم وجباه، تصدر في المجالس، ودرس في المدارس وأورد ما عنده من النفائس"<sup>(1)</sup>. حرف السين في الفقرة السابقة له لمسة إيقاعية تطرب النفس .

ومن ذلك أيضاً: "نحمده على نعمه التي أطابت لنا جني الغروس وأطالت منا منى النفوس، وأطافت بملوكنا حتى بدت لسؤلهم الأيدي وخصعت لأمرهم الرؤوس"<sup>(2)</sup>.

ومن ذلك أيضاً: "قلو رأيت خيالك وهم صرعى تحت أرجل الخيول، وديارك والنهاية فيها تصول، والكسابة فيها تجول، وأمواك وهي توزن بالقطار، ولو رأيت كئاشك و صلبانها قد كسرت وتشرت، وصحفها من الأناجيل المزورة قد تشرت"<sup>(3)</sup>.

لقد تنوعت سجعات الفقرة السابقة ما بين حرف اللام وحرف الراء وحرف التاء.

وقد لوحظ على السجعات في رسائل العصر المملوكي أنها كانت تسير في شكل سهل ميسور بلا تكلف، ساعدت تلك السجعات على إظهار الجرس الصوتي الجميل وموسيقى الرسالة، و السجع يعمل على جعل المتلقي أكثر قرباً من الرسالة وتأثراً بانغامها المتموجة وطرباً بها .

#### ثانياً: الجناس

يُسهَم الجناس في تشكيل الإيقاع، والانسجام الصوتي الذي ينبع من التوافق الموسيقي بين الكلمات وهو من أهم فنون البلاغة المستخدمة .

فالجناس هو تشابه لفظين في النطق واختلافهما في المعنى<sup>(4)</sup>.

فهو يعطي انسجاماً صوتياً، وتوافقاً موسيقياً بين الكلمات والألفاظ لما بينهما من تشابه في الوزن والصوت: "اقالانسجام هو سر الجمال، والجناس لما فيه من عاملي التشابه في الوزن والصوت،

(1) صبح الأعرشى، 14/ 318.

(2) السابق، 14/ 303.

(3) السلوك، 1/ 966.

(4) جواهر البلاغة، 396، وأيضاً: الإيضاح، 2/ 535.

من أقوى العوامل في إحداث هذا الانسجام، وسر قوته كامن في كونه يُؤرب بين مدلول اللفظ وصورته من جهة وبين الوزن الموضوع في اللفظ بما يُسبغه عليه من الدندنة من جهة أخرى<sup>(1)</sup>.  
ومن أقسام الجناس

**الجناس التام** وهو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أربعة أشياء: نوع الحروف، وعدد ما وهياتها وترتيبها مع اختلاف في المعنى<sup>(2)</sup>.

ولقد زين كتاب الرسائل بالجناس التام ووظفه توظيفاً صحيحاً ومن ذلك: "تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له... ونصلي على سيدنا محمد الذي أكرمنا الله به... صلى الله عليه وعلى آله.. صلاة ورضواناً يوفني قائلها أجره يوم الحساب من الكثرة بغير حساب يوم الحساب"<sup>(3)</sup>.  
فقد جانس بين كلمتي حساب والحساب فقصد بالأولى يوم القيامة وقصد بالثانية بلا عد ولا إحصاء بل يأخذ حسناً وأجر يوم القيامة بلا حساب.

ومن ذلك أيضاً: "الحمد لله الذي أزال بالشمس المحمدية عنا كل ظلمة... والله تعالى يزيد هذه الشمس في أفق ملكنا الشريف شرفاً ويشيد بها ربيع هذه الوظيفة فإنه كان قد عفا، ويحسن ختامنا بكفاءة هذا الإمام وما نحن قد قلنا "حسبنا الله وكفى"<sup>(4)</sup>.

فجانس الكاتب بين كلمتي الشمس والشمس، فقد بالشمس الأولى سيدنا -محمد صلى الله عليه وسلم- وقصد بالشمس الثانية الإمام محمد الرازي، فحمد الله على أن أزال بسيدنا محمد غمة الكفر، وتنفى في نهاية الرسالة أن يزيد الله بالإمام الرازي الملك شرفاً وعزة.  
وبالجناس التام تعطي الكلمات جرساً موسيقياً جميلاً، ويحفز المتلقي ليشغل ذهنه ليفرق بين كل من الكلمتين. وماذا قصد بهذه الكلمة وماذا قصد بالثانية.

ومن ذلك "صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من أضحى بفضل السبق للإيمان به صديقه وصديقه"<sup>(5)</sup>.

(1) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب، الكويت، ط 3، 1989م، 2/ 262.

(2) جواهر البلاغة، 396.

(3) النجوم الأزهرة، 7/ 338.

(4) قهوة الإتياء، 418.

(5) نهاية الأرب، 8/ 136.

فجانس بين كلمتي (صديقه وصديقه) فقصد بالأولى أبو بكر الصديق الذي كان أول من صدقه من الرجال فسمي الصديق، وصديقه الثانية أصحابه الذين كانوا حولهُ وشدوا أزره.  
ومن ذلك أيضاً: "بدأتني أعزك الله من الوصف بما قل عنه مكاني... أن أجيبك وأجيزك.. فتحيرت بين أمرين أمرين... إن فعلت ما أمرت، ما أنا من أرباب هذا القتر العالي والصدر الخالي، وما أنا من أبناء مصر حتى أتقدم لهذا الملك العزيز... وإن منعت فقد أسأت الأدب والمطلوب حسن الأدب مني"<sup>(1)</sup>.

جانس الكاتب بين كلمتين (أمرين وأمرين) فقصد بالأولى موضوعين وقصد بأمرين أي صعبين، حيث وجد الكاتب نفسه بين موضوعين صعبين هل يجيزه ويقدم له الإجازة ويكون صاحب قتر عال. أم يرفض أن يجيزه ويكون سوء تصرف منه.

ومن ذلك أيضاً: "الحمد لله المجيب من دعاه، القريب من نداء، الذي ابتعث محمد بأنواره الساطعة وهده، وأيده بصحبه الذي حواه، ونصروه على من عداه وحزبه الذين رووا سنته ورووا أسنتهم من عداه"<sup>(2)</sup>.

جانس الكاتب بين كلمة رورا ورووا. يقصد بـ رورا سنته، أي قالوا أحاديثه وسيرته للناس، وقصد برووا أسنتهم من عداه بمعنى أشبعوا أسلحتهم من دماء أعداءه. لدرجة الارتواء.

ومن ذلك أيضاً: "وأخزناك وما كان تأخريك إلا لأجل معدود، وكيف فارقنا بلادك وما بقيت ماشية إلا وهي لدينا ماشية، ولا جارية إلا وهي في ملكنا جارية"<sup>(3)</sup>.

فقد جانس الكاتب بين ماشية وماشية فقصد بالأولى المواشي من الخيل والإبل وقصد بالثانية بمعنى تسير وتمشي في ملكنا وتحت أمرنا. وجانس أيضاً بين كلمة جارية وجارية فقصد بالأولى الجارية، الجوارية، النساء، الخادمة، وقصد بالثانية أنها جارية تحري وتسير في ملكه، فأراد أن يصف حال ملك بوهمد السادس بعد حرب السلطان الظاهر عليه.

(1) المنهل الصافي، 5/ 249.

(2) الرافي بالوفيات، 1/ 231.

(3) السلوك، 1/ 966.

وأما الجناس غير التام: فهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من نوع الحروف أو عددها أو هيئتها أو ترتيبها<sup>(1)</sup>.

وهذا الجناس أيضاً يساعد في رسم موسيقا الرسالة، فهو يعطي جرساً موسيقياً جميلاً ويجذب انتباه المتلقي.

ومن ذلك: "الحمد لله... فحمده على أن خص المملكة المصرية من إبداع سرها المصون بأوسع صدر رحيب وأنهض بتدبير مصالحها من إذا سرت كقائب كتبه إلى عدو أثنى من شدة الفرق فقا نيك من ذكرى حبيب"<sup>(2)</sup>.

فجانس الكاتب جناس غير تام بين كلمتي رحيب بمعنى واسع وكلمة حبيب بمعنى المحبوب. ومن ذلك أيضاً: "تشهد أن لا إله إلا الله... وتشهد أن محمداً عبده ورسول أفصح من نطق بهذا اللسان، وجاء من هذه اللغة العربية بالثبوت الحسن، وحث على الخير وحث على الإحسان - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم -"<sup>(3)</sup>.

فقد جانس الكاتب جناس غير تام بين كلمة الحسان بمعنى الجميلة والإحسان بمعنى الخير، حيث حمد الله على أن جاء الرسول بالثبوت والعبر الجميلة من اللغة العربية وحث الأمة على الخير وحثها على الإحسان والخير.

وأيضاً "بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد حمد الله الذي إذا توجه ذو السؤال إليه فاز، وإذا دعا كرمه نوه الطلب أجاب وأجاز، والصلاة على سيدنا محمد كعبة القصد التي ليس بينها وبين النجح حجاز، وعلى آله وصحبه حقائق الفضل والفصل ومن بعدهم مجاز"<sup>(4)</sup>.

(1) جواهر البلاغة، 397.

(2) صبح الأعيى، 14 / 192.

(3) الحان السراج، 1 / 57.

(4) الراقى بالوقفات، 1 / 236.

فقد جانس الكاتب بين كلمتي أجاب وأجاز. فأجاب بمعنى رد على السؤال وأجاز بمعنى سمح ومنح. وجانس أيضاً بين كلمة الفضل بمعنى أن صحابة الرسول كان لهم فضل على المسلمين لأنهم حافظوا وحفظوا ونقلوا الدين فجانس كلمة الفضل مع كلمة الفصل بمعنى أنهم فصلوا بين الحق والباطل.

ومن ذلك أيضاً: "تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يستعمل الإيمان تحت لوائها، وتعقب الأكران، بما تنطق به الألسنة من أرائها، ويشرق الوجود بما يبد على الوجوه من روائها، وتجادل أصدائها في الأفاق لرفع كلمة ملتها على الملك وإعلائها، وتشهد أن محمداً عبده ورسوله وخاتم الأنبياء وأشرف حملة الأنبياء"<sup>(1)</sup>.

فقد جانس بين ( أروائها وروائها، الوجود والوجه، الأنبياء الأتباء) فهذا الجانس يعطي حرساً موسيقياً جميلاً ويجذب انتباه القارئ أو المتلقي.

ومن ذلك: "أما بعد فقد وضح لذوي الأبصار والبصائر، واتضح عند ذوي الأسرار والسرائر"<sup>(2)</sup>. فالجانس غير التام واضح بين كل من الأبصار والبصائر والأسرار والسرائر.

ومن ذلك أيضاً " ... لتيقنت أن الإله الذي أعطاك أنطاكية منك استرجعها، والرب الذي أعطاك قلعتها منك قلعتها"<sup>(3)</sup>.

يظهر الجانس غير التام ما بين قلعتها وقعتها فقطد بالأولى قلعتها حصنها وقصد بالثانية قلعتها وأخذها منك.

وهكذا إن الجانس يضيف انسجاماً وتناسباً وثأفاً صوتياً على الكلمات، يثري المعنى ويشيع الجرس الموسيقي الرنان الذي يطرب الأذن.

---

(1) صبح الأعيى، 206 / 12.

(2) السابق، 323/14.

(3) السلوك، 1 / 966.



## ثالثاً: الطباق

لا يوجد الطباق جرساً موسيقياً إلا إذا كان قد ورد بشكل عفوي، وظهر ذلك في فن الرسائل. فهو الجمع بين الشيء وضده<sup>(1)</sup> أو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى<sup>(2)</sup> ويكون ذلك اسمين أو فاعلين<sup>(3)</sup>.

وقد اشتملت الرسائل على الطباق، وهذا الطباق زاد الكلام حسناً وطرافةً وجمالاً. ومن تلك الأمثلة: "إن هي الشريعة الجامعة لمصالح الدنيا والآخرة، الناسخة لما خلفها من الشرائع الغابرة، الباقية إلى أن يأتي وعيد الله وكل شريعة سواها دائرة"<sup>(4)</sup>.

فقد طابقت الكاتب بين الدنيا والآخرة وبين الباقية ودائرة فإن الرسالة كونهما اشتملت على أشياء متضادة فقد شددت انتباه المتلقي، مع الموسيقى التي تحدثها، وذلك الطباق أيضاً يساعد على إظهار الأحوال النفسية عند الكاتب حيث يقول عبد القاهر الجرجاني: "والطبايق نوع من أنواع البديع ولا تنحصر قيمة الأضداد في جانب الدلالة المفردة في الكثف عن القدرة اللغوية، فإنها تتعدى إلى إظهار الأبعاد النفسية المتوترة وتصويرها في أدق حالاتها، فالصورة المبنية على الحركة القائمة بين المتناقضات هي ذات سعة وعمق داخلي وذلك بما تتيحه اللغة من مترادفات وتضاد وتعاكس"<sup>(5)</sup>.

ومن ذلك رسائل تعزية وقد ورد فيها عدة تناقضات ومنها: "يسراً عسراً، الصغير الكبير، الجليل الحقير، الغني الفقير"<sup>(6)</sup>. وأيضاً "البقاء الفاني – يعيش يموت"<sup>(7)</sup>. وفي هذه الرسائل ومع هذه التناقضات التناقضات فهي تعطينا جرساً موسيقياً جميلاً وتظهر نفسية الكاتب في حديثه عن الحياة والموت والبقاء والفاء وأظهرت حزنه وألمه وخوفه من حادثة الرفاة.

ومن ذلك أيضاً "صلى الله على محمد وعلى آله وصحبه المخصوصين بأسمى مراتب الاجتباء، صلاة دائمة بدوام الأرض والسما... تقوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بصفد المحروسة

(1) الصناعتين، 339.

(2) جواهر البلاغة، 366.

(3) الإيضاح، 2/ 477.

(4) صبح الأعشى، 14/ 324.

(5) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني، ط3، 1992م، 108.

(6) صبح الأعشى، 9/ 82.

(7) نهاية الأرب، 5/ 176.

تفويض يولي قدره ويمضي في عموم مصالحها وخصوصها نهييه وأمره، ويرهف في حفظ سراحها ومرايتها ببيعه وسمره، ومجاورها من ساكني الماء من بأسه المتوقد جمرة<sup>(1)</sup>.

هنا يظهر الطباق بين الأرض والسماه ونهييه وأمره وبيضه سمره الماء والجمر، ويظهر فيها نفسية الكاتب من خلال الحديث عن الشيء ونقيضه، كالماء والجمر والنهي والأمر، والبيض والسمر، والأرض والسماه.

كما يؤدي الطباق كما هو معلوم توضيح المعنى وتأكيدهِ وإبراز لموسيقى الرسالة.

ومن ذلك أيضاً عهد للقاضي محي الدين عبد الظاهر: "... كل ما فوضه الله لمولانا أمير المؤمنين من حكم في الوجود، وفي التهايم والنجود، وفي المدائن والخزائن، وفي الظواهر والنواطن،... وفي كل عطاء وآخذ، وفي كل عزل وتولية، وفي كل تسليم وتخليه"<sup>(2)</sup>.

فالطباق في تلك الرسالة يعمل على توضيح المعنى، ويشد انتباه المتلقي.  
ومن ذلك أيضاً من رسالة "توقيع" كتبها ابن حجة الحموي: "اليقين الشاك – الصحة المرض – يعدل المزاج – الانزعاج"<sup>(3)</sup>.

وأيضاً "قطع – وصل – فرع أصل – قرئت بعدت"<sup>(4)</sup>.

وغيرها الكثير، ومن ثم فإن المتناقضات منحت الرسالة جرساً موسيقياً جميلاً، ويؤدي أيضاً لتوضيح المعنى وتأكيدهِ. ومما يساعد على إعطاء الجرس الموسيقي في الطباق وجود بعض الكلمات المتضابفة التي تتفق فيما بينها في الوزن والقافية "كيسير وعسير قرأً وبعداً الأمة والغمة"<sup>(5)</sup>، فهذا أيضاً يساعد على إظهار الجرس الموسيقي الجميل

ومن ذلك "بعد حمد الله ذي المجد والسناء، والعظمة والكبرياء، الأول بلا ابتداء، الآخر بلا انتهاء، خالق الأرض والسماه، جاعل الإصباح والإمساء"<sup>(6)</sup>.

(1) صبح الأعشى، 9/ 82.

(2) النجوم الزاهرة، 7/ 338.

(3) قهوة الإنشاء، 37.

(4) النجوم الزاهرة، 7/ 341.

(5) صبح الأعشى، 13/ 28.

(6) الرافي بالوفيات، 1/ 192.

التناقضات ظاهرة ما بين الأول الآخر، ابتداء انتهاء، السماء الأرض، الإصباح والإمساء. هذا التناقض يُعمل العقل وينبه ذهن القارئ.

وهكذا فإن الطباق يؤدي إلى توضيح المعنى وإبراز الجرس الموسيقي الذي يجذب الانتباه، وقد استخدم بشكل لطيف جميل بعيد عن التكلف.

#### رابعاً: الموازنة

إن للموازنة أثراً واضحاً في الكلام، فتجعله رشيقاً جميلاً وتعطيه رونقاً وطلاوة تجذب انتباه السامع وتترك أثراً في نفسه. فهي تساوي الفاصلتين في الوزن<sup>(1)</sup> وقد عرفها ابن الأثير والعلوي: " تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن"<sup>(2)</sup>، فتعد الموازنة من المحسنات اللفظية التي استخدمت في تتميق الرسائل، وتحسينها فهي تعد من الألوان البيعية التي تعطي الرسالة جرساً موسيقياً جميلاً وحلاوة وطلاوة تشد انتباه المتلقي وتبعده عن الملل.

وقد استخدمها الكتاب في نثرهم لما لها من إيجاب موسيقي جميل على رسائلهم ومن ذلك: "ولما تحتم من تفويض أمر الملك إليه، وما كان لوقته المعلوم قد تأخر، وتحتين حينه فكل زيادة كزيادة الهلال حتى يدر تمامه فأبدر، اقتضى حسن المناسبة لنصائح الجمهور، والمراقبة لمصالح الأمور... والتغور، والمقارنة من فوائج كل أمر ميسور، أن نفوض إليه ولاية العهد الشريف بالسلطنة الشريفة المعظمة، المكرمة المنظمة"<sup>(3)</sup>.

فالموازنة واضحة في الفقرة السابقة من الرسالة بين التراكيب (نصائح الجمهور، ولمصالح الأمور).

تلك الموازنة تعطي نغماً موسيقياً جميلاً، وتجذب انتباه المستمع.

(1) جواهر البلاغة، 405.

(2) المثل السائر، 1/ 272. وأيضاً الطراز لأسرار البلاغة: يحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب العلمية، دط، دت، بيروت، لبنان 3/38.

(3) النجوم الزاهرة، 7/ 341.

ومن ذلك "والنيل له الآيات الكبر وفيه العجائب والعر ،ومنها وجود الوفا و بلوغ الصفا"<sup>(1)</sup>الفرارزية واضحة جلية بين (وجود الوفا وبلوغ الصفا) فقارئ الرسالة يحس بتلك الموسيقى الجميلة التي توجد في الموزنة.

ومن ذلك أيضاً: مرسوم بالمساهمة بالبراقى مما في ذم الجند والرعايا " إن الله خص أيامنا الزاهرة بالفتح التي أنامت الرعايا فيمهاد أمنها وأنالت البرايا مواقع يمتها ومنها"<sup>(2)</sup> الزاهرة الموزنة تظهر ما بين الكلمات (أنامت الرعايا ، أنالت البرايا). وقد أضفت موسيقى جميلة على تلك الرسالة.

ومن ذلك أيضاً "إن أمراء دولك فهم أنصار سلفك الصالح وذو النصائح فيما آثروه من المصالح ، وخلفاء طاعتهم في السر والنجوى ،وأعوانهم في البر والنقوى"<sup>(3)</sup>. الموزنة ظاهرة (في السر والنجوى ، والبر والنقوى) فمثل هذه الكلمات تعطي جرساً موسيقياً جميلاً.

ومن ذلك أيضاً "تشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي جلا الغمة، وهدى الأمة، ... صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أمروا بالتيسير ، واقتنعوا من الدنيا بالتيسير وأضحوا طرق الإحسان لسالكها فسهل على المقتدي بهم في الحنو على الأمة الصعب ويسر العسير"<sup>(4)</sup>. إن الموزنة واضحة جلية بين الكلمات (جلا الغمة ، هدى الأمة).

ومن ذلك : "وهو الذي بقواعد السلطنة أدرى ويقوانينها الأعراف وعلى الرعايا الأرف .. وأمراء الجيوش فهم السور الراقى ... وهم ذخائر الملوك وأخاير السلوك"<sup>(5)</sup> الموزنة تظهر بين التراكيب (الرعايا الأصف ، الرعايا الأرف أو (ذخائر الملوك ، وأخاير السلوك)مثل هذه التراكيب يعطي جرساً موسيقياً جميلاً لنص الرسالة .

(1) حسن المحاضرة، 2/369

(2) صريح الأضفى، 13/29

(3) السابق، 10/59.

(4) السابق، 13/28.

(5) النجوم الزاهرة، 7/343

نمن ذلك أيضاً "قروض" إليه كل ما هو من لوازم خلافته الله في أرضه: بما نكر وما لم يتكر تفويضاً لازماً وتقليداً جازماً وعتداً محكماً وعتداً محكماً في مصالح الإسلام والمسلمين" (1) الموازنة بين ( تفويضاً لازماً وتقليداً جازماً وعتداً محكماً وعتداً محكماً ) هذه التراكيب اختلفت نغماً إيقاعاً جميلاً على الرسالة تطرب السمع وتجذب الانتباه.

وبالتالي إن الموازنة تعطي الرسالة جرساً موسيقياً جميلاً، يبعد الملل عن المتلقي أو القارئ، كما يدل على قدرة الكاتب على تأليف المفردات المناسبة وتحقيق الانسجام، وإبراز ثوب الرقة والجمال ووقرة التأثير .

كما لوحظ أن الموازنة التي ظهرت في الرسائل لم تكن متكافئة، بل سهلة واضحة موافقة للطبع ومناسبة للذوق ومساهمة في إبراز المعنى بصورة جميلة ومؤثرة.

ختاماً لا بد من القول إن كتاب الرسائل قد أجادوا استخدام ألوان البديع بما يخدم النص من توضيح له أو إظهار براعة الكاتب وقدرته على تطويع اللغة وإظهار الجرس الموسيقي المتنوع وإعطاء سمة إيقاعية للنص .

---

(1) صبح الأعتى، 53/10

## المبحث الرابع السمات التصويرية

يعد التصوير الفني من أهم خصائص الأدب، وهو شاهد على قوة الإبداع لدى الكاتب؛ لأنه العنصر الذي يتيح للأديب أن يؤلف الصور الجديدة المبتكرة .

بل يساعد على تحقيق علامة من علامات تميز النص الأدبي، حيث إن "الصورة وحدها هي التي يمكن أن تعطي للأسلوب لونا من الخلود".<sup>(1)</sup>

وقد حظي التصوير الفني بمنزلة سامية عند النقاد والدارسين؛ وذلك لأن الصورة الفنية طريقة من طرق التعبير التي يستخدمها الكاتب لما لها من تأثير قوي على النص لتحسينه وترتيبته<sup>(2)</sup>.

وترى الباحثة أن من أهم ما يرسم السمات التصويرية في فن الرسائل التشبيه والاستعارة والكناية، حيث أجمع البلغاء والنقاد على أهميتها في رسم الصورة في النص .

حيث تلفت الأنظار إلى المعنى المراد داخل النص، يستل عليه القارئ حسب تفكيره وقدرته على إعمال عقله لوصول للمعنى الأصلي المراد، وقدرته على تنوq النص ليصل إلى الشعور بجمال الصورة.<sup>(3)</sup>

وستدرس الباحثة في هذا المبحث أهم السمات التصويرية في فن الرسائل في العصر المملوكي. التشبيه والاستعارة والكناية.

### أولاً: التشبيه

التشبيه فن من فنون البلاغة، وعنصر من عناصر الأسلوب وهو يدل على سمة الخيال، وجمال التصوير، وبراعة الكاتب، كما يزيد المعنى قوة ووضوحاً فهو "عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر، فُصد اشتراكهما في صفة أو أكثر بأداة لغرض يقصده المتكلم".<sup>(4)</sup>

(1) علم الأسلوب: صلاح فضل، مؤسسة مختار، 1992م القاهرة، 273.

(2) الصورة الفنية في التراث التقدي والبلاغي، عند العرب: جابر صفور، المركز الثقافي العربي، ط 3، 1992، بيروت، 323.

(3) ينظر: السابق، 323، 328.

(4) جواهر الأدب: 247، والمطل السائر: 1 / 373، 389 وأيضاً تحرير التعبير: ابن أبي الأصمغ المصري، تحقيق حفني شرف، القاهرة 1995، 159

وعرفه الفروني: "الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى".<sup>(1)</sup>

وهو يعد عنصراً أساسياً في الشعر والنثر على حد سواء فاستخدمه الشاعر في شعره، والكاتب في نثره، حيث جاء في الشعر وسائر الكلام<sup>(2)</sup> وتظهر مهارة الأديب من خلال قدرته على إجادة التشبيه وتوظيفه لأجل خلق صورة فيها حركة وحياء.

وقد استخدم كُتّاب هذا العصر التشبيه لأهميته في إبراز المعنى وتوضيحه، مع إعطائه نوعاً من التوكيد، وقد كان يتفاوت في الكثرة والقلّة من نوع رسائل إلى آخر.

وقد كان من الملاحظ على الرسائل استخدام التشبيه في مواضيع الرصايا من العهود والتقاليد والتواقيع، وقد كانت قليلة نوعاً ما في نصوص الرسائل السياسية وذلك لاهتمام الكاتب بموضوع الرسالة، وكونه مقيداً بقيود كتابة موضوع الرسالة لإيصاله بشكل واضح، كما وقد تتوعت التشبيهات في الرسائل العلمية ما بين المقدمة والموضوع والخاتمة، وتتوعت أيضاً في الرسائل الاجتماعية فكان الكاتب حراً طلبياً يستخدم ألوان البلاغة كما يشاء.

وقد لوحظ غلبة التشبيه البليغ على رسائلهم. والبليغ هو ما حذفته منه الأداة ووجه الشبه.<sup>(3)</sup> ومن ذلك " رأينا أن نفرض إليه حكم كل ما أمضى الله فيه حكماً من البلاد... فعليه المعتمد في فصل الأحكام... وهو الفرع الذي زكا ولا يزكو إلا الفرع إذا كان طيب الأصل... فهو بحمد الله كعبه تحج إليها الآمال.<sup>(4)</sup>

وهي رسالة تقليد من السلطان الظاهر بيبرس لولده السعيد لولاية السلطنة، وهنا قد أورد التقليد مع مدحه وذكر سبب اختياره، وشبهه بفرع الشجرة الطيب صاحبة الأصل الطيب.

فهو إن عدل فولده عادل، وإن أحسن فولده محسن، وإن انتصر فولده منتصر، وإن جاهد فولده مجاهد فحقاً هذا الشيل من ذاك الأسد.

(1) الإيضاح، 2/ 328.

(2) معجم البلاغة العربية، 296.

(3) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: أحمد مطلوب، مكتبة لبنان، بيروت لبنان، 2000م، 330.

(4) السلوك، 1/ 969 .



"ولمّا كان الحجاب العالي هو السيف الذي على عاتق الدولة نجاده، والليث الذي لم يزل في سبيل الله إغاثته وإنجاده، والغيث الذي يخصب بمعقله البلد، والأسد الذي ساكن البحر مهايته".<sup>(1)</sup> وهي من تقليد لسيف الدين السلحدار بناية صنف، في هذا الجزء من الرسالة يذكر الكاتب سبب اختياره لهذا المنصب، فقد شبهه ووصفه بأنه سيف على الأعداء، أسد يُهاب منه ويسير في سبيل الله وشبهه بأنه الغيث الذي يسقي البلد وبهذا استحق هذا المنصب.

ومن ذلك أيضاً:

"أما الوصايا فأنت يا ولدنا الملك الأشرف أعزك الله بها، ولسماع شدوها وحدوها الطرب فعليك يتقوى الله... وكثر لمن حورك التموين والتمويل، وضاعف الخير في كل مضاف لمقامك... وأمرأه الجيوش فهم السور الراقى".<sup>(2)</sup>

وهذا من عهد الملك المنصور لابنه الملك الأشرف صلاح الدين فأراد أن يوصيه وبدأ بتقوى الله، فهنا قد شبه الوصايا كأنها شدو الطيور في جمالها وطربها كيف لا وقد بدأها بتقوى الله.

كما أوصاه بالإحسان ومضاعفة الخير لأمرأه الجيوش فقد شبههم بالسور الراقى فهم من يحموا حمى الوطن.

ومن ذلك أيضاً "أن يُبَيّن حُبّ هذا الدين في قلبه"<sup>(3)</sup> وهي من رسالة رد فيها الملك المنصور قلاوون على إيلخان أحمد تكتار، حيث أرسل له تكتار رسالة يعلمه فيها اعتناقه للإسلام، ورد عليه المنصور بالرسالة دعا له فيها بالثبات وحب الدين الإسلامي، وهنا قد شبه حب الدين والامتثال له كأنه حب أو بذور وقد دعا الله أن ينبتة في قلبه.

وتمنى أن يكون حب الدين في قلبه كالنبات ينمو ويتوسع ويزداد.

وهكذا فإن للتشبيه روعةً وجمالاً وموقماً حسناً في الكلام، يزيد المعاني رفعةً ووضوحاً وشرفاً. كما إن للتشبيه دلالات نفسية كالترغيب والترهيب والتعظيم والتحقير<sup>(4)</sup>، ويظهر هذا جلياً في الرسائل ومن ذلك: "فلذلك رغب إلى المجلس العالي" المسمى " وخطب الجهة المصونة المحجة النقية

(1) صبح الأعشى، 205/12.

(2) النجوم الأزهرة، 341/7.

(3) السلوك، 981/1.

(4) ينظر: صبح الأعشى، 255/14.

النقية، العفيفة، غصن الإسلام جمال ذوات الستور، فرة عين الملوك والسلاطين السيدة" سولي" بنت فلان صان الله حجابها، فأكرم موارد قصده وجباه أنفـس درة في عقده<sup>(1)</sup> وهي من صدق بدر الدين الخطيب على بنت شمس الدين الخطيب، ففي هذه الفقرة يمدح العروس وقد شبهها بأنها أنفـس جوهرة في العقد وقد وهبه إياها فكلاهما يتمتع بالغلاء والرفعة والصون. فالكاـتب في الفقرة السابقة قد راعى الحالة النفسية والمكانة الاجتماعية التي تتمتع بها العروس فعظمها ومدحها وأحسن اختيار التشبيه.

وعلى سبيل التعظيم أيضاً "اقتضى حسن الاختيار الشريف الملكي الناصري لولده المقام العالي السيفي، أحسن الله لهما الاختيار، وأجرى بإرادتهما اقتدار الأقدار أن تزف أتم الشموس إلى ستوره الرفيعة"<sup>(2)</sup>

وهو من نسخة صدق المقام الشريف العالي السيفي أنوك ولد الناصر محمد قلاوون، ففي هذه الفقرة يمدح العروس فهي بنت بکتمر الساقى فقد شبهها بأنها شمس بل أتم الشموس قد زفت لولده. وظهرت مراعاة الحالة النفسية في التشبيه وشبهت العروس بأنها الشمس.

فحق بذلك أن يعطي التشبيه جمالاً وبهاءً للكلام، ومن ذلك أيضاً: "وقد كان الجناـب الـكـريم العـالي الأـمـيري الـكـبـيري العـالمي... معز الإسلام والمسلمين...أعز الله نصره وهو واسطة عقد الأولياء."<sup>(3)</sup>

وهي من رسالة تقليد الأمير سيف الدين سلار المنصوري بنبأية السلطنة الشريفة، فيمد المقدمة ونص التقليد بدأ يتحدث الكاتب ويمدح سيف الدين سلار ويعمل بهذا سبب اختياره.

ومدحه وعظمه في تشبيهه هذا، فقد شبهه بأنه واسطة العقد الجوهرة أو اللؤلؤة الكبيرة الموجودة في نصف العقد فعظمه وجمله ومدحه وزاده بهاءً على بهاء.

ومن الدلالات النفسية التي ينقلها التشبيه "النحير" أو التهكم أو الاستهزاء ومن ذلك "والرب الذي أعطاك قلعها منك قلعها"<sup>(4)</sup> فهذه من رسالة انتصار أرسلها الظاهر بيبرس ليوهـمـند السادس

(1) صبح الأعشى، 319/14.

(2) السابق، 305/14.

(3) نهاية الأرب، 8/ 137.

(4) السلوك، 1/ 966.

يعلمه فيها أخذ قلعة أنطاكية والسيطرة عليها فقد وصف في الرسالة كيف تم الاستيلاء عليها، وشبه هنا أنطاكية عند السيطرة عليها كإقلاع الشجرة من الأرض.

فهذا التشبيه كما يبدو ينقل دلالة نفسية وهي التحقير و الاستهزاء كونه انتصر عليه.

كما أن التشبيهات التي استخدمها الكاتب في الرسائل لم تكن زركشة مزروقة للنص فحسب، لكنها تعكس مشاعر كُتابها<sup>(1)</sup>.

وقد كثرت التشبيهات التي تعكس مشاعر الكاتب ومن ذلك: "هذه المكاتبة إلى الجناب العالي تخصه بسلام يسري كالماء انسجاماً، بروق كالزهر ابتساماً"<sup>(2)</sup>.

فكاتب هذه الرسالة يدور في صدره حبٌ كبيرٌ للجناب العالي، وعبر عن ذلك ونقل ذلك الشعور من خلال السلام الذي بعثه إليه وشببه بالماء في انسجامه وبالزهر في ابتسامه. فهذه التشبيهات ساعدت على إظهار ذلك الشعور.

ومن ذلك أيضاً "الحمد لله الذي رفع للعلماء مقداراً وأجزل نعمه عليهم، إذ أعلى لهم مناراً، ووقف بسواء الطريق من اقتدى بهم إيراداً وإصداراً، أشرعت همهم العلية في حلية السباق فهي لا تُجاري، وتطو بالمفاخر جهاراً وقد عجز غيرهم أن يتحلى بها إسراً، أبرزهم في هالات المفاخر ألقاراً"<sup>(3)</sup>.

وهي من إجازة علمية ومن خلال المقدمة فقد حمد الكاتب الله عز وجل الذي رفع مكانة العلماء.

ومن تلك الفقرة يُلاحظ تعظيم وإجلال الكاتب للعلماء، ونقل ذلك الشعور من خلال تشبيهه العلماء بالأقمار في السماء، فهم يزدادون جمالاً، وإجلالاً بالشهادات والإجازات العلمية التي يحصلون عليها.

وهكذا فإن التشبيهات كانت نتيجة لقناعات داخلية عند الكاتب وقد تقاطعت كلماته مع عواطفه وأظهرها.

(1) الكتابة الفنية، 413.

(2) حسن المحاضرة، 2/ 369.

(3) صبح الأعشى، 14/ 323.

ومن الملاحظ عمق أفاظ التشبيه ودلالاتها في الرسائل فهو يساعد على تشكيل لوحة جميلة مترابطة، وقد اعتمد الكُتاب على التشبيه – دون تكلف – واهتموا به كثيراً. كونه نوعاً من الأنواع البلاغية تجذب الانتباه وتوضح المعاني حيث قال العسكري: "إن التشبيه يزيد المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيداً، لهذا اتفق عليه جميع المتكلمين من العرب والعجم ولم يستغن أحد منهم عنه."<sup>(1)</sup>

**ثانياً: الاستعارة**

تعد الاستعارة أحد أهم فنون البلاغة، وأحد أهم أركان التعبير عن المشاعر، فهي تعمل على إظهار التصوير وتدل على براعة الكاتب وعنصر مهم لا يستغن عنه الشاعر أو الناثر .  
فهي "استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي"<sup>(2)</sup>.

وقد عرّفها العسكري: "نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض"<sup>(3)</sup> وتعمل الاستعارة على شرح المعنى وإيادته أو تأكيده والمبالغة فيه. إن استخدام الاستعارة واعتمادها على التشخيص أو التجسيم يساعد على إظهار جمال التصوير وبراعته وقدرة الكاتب على تطويع اللغة .

فهي "تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ حتى تُخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، وتخي من الغض الواحد أنواعاً من الثمر"<sup>(4)</sup>  
فهي تعد من أوائل فنون التعبير الجميلة في اللغة العربية وقد استخدم كتاب الرسائل الاستعارات بما يخدم الصورة ويظهرها.

- 
- (1) الصناعتين، 265.
  - (2) جواهر البلاغة، 303.
  - (3) الصناعتين، 295.
  - (4) أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1996، 1، 41.

وقد لوحظ تنوع الاستعارة المستخدمة ومنها المكنية<sup>(1)</sup> ومنها التصريحية<sup>(2)</sup>

ومن تلك الاستعارات في الرسائل:

"صاعف الله نعمة الجباب، وسر نفسه بأنفس بشرى، وأسمعه من الهنا كل آية أكبر من الأخرى، وأقدم عليه من المسار ما يتحزز ناقله ويتحرى، وساق إليه كل طليقة إذا تنفس صبحها"<sup>(3)</sup> وهي من بشاره بوفاء النيل بدأها الكاتب بالدعاء للملك صاحب الجباب العالي، وتنفى أن تُسر نفسه بالبشريات ويسمع التهاني، وتُثقل إليه الأخبار المفروحة مع طلعة كل صباح.

وقد شبه هنا الصباح وطلوعه كأنه الإنسان إذا تنفس حذف الإنسان وأبقى صفة من صفاته وهو التنفس على سبيل الاستعارة المكنية.

ومن ذلك أيضاً "وتشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يستظل الإيمان تحت لوائها وتعيق الأكران، بما تنطق به الألسنة من أروائها"<sup>(4)</sup>.

وهي جزء من مقدمة تقليد بنبابة السلطنة بصفد، فحمد الله الكاتب على نعمه وشهد له بالوحدانية.

وقد شبه الشهادة بالوحدانية لله كأنها شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء حذف الشجرة وجاء بصفة من صفاتها وهي يُستظل بظلها على سبيل الاستعارة المكنية.

وأيضاً شبه تلك الشهادة بالأزهار التي تُعقب الأكران برأحتها العطرة وذلك على سبيل الاستعارة المكنية. إن الكاتب في تلك الاستعارة قد أظهر جمالاً بارعاً فقد أحسن في ذلك. كيف لا يكون ونحن بلا إله إلا الله ندخل الجنة.

---

(1) الاستعارة المكنية: هي ما اختفى فيها لفظ المشبه به واكتفى بتكر شيء من لوازمه دليلاً عليه. معجم مصطلحات البلاغة، أهد مطلوب، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 2000م، 88.

(2) الاستعارة التصريحية: هي ما صرح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه المعجم المفصل في علوم البلاغة، إنعام عكاوي، دار الكتب العلمية، ط 3، بيروت لبنان، 1996م، 101.

(3) حسن المحاضرة: 2/369.

(4) صبح الأعشى، 12/205

ومن ذلك أيضاً: "ومن أحضر معه من مملائك وجواري فله من قيمتهم ما يزيد على ما يريدته ومن أحضر منهم فقد أخرج من الظلمات إلى النور."<sup>(1)</sup> وهي من رسالة أمان أرسلها المنصور قلاوون للتجار الذين يصلون مصر، ودعاهم ليأتوا بالممالك والجواري رغبة منه في تكثير جيش المسلمين، واعتبر أن من جاء من الممالك والجواري كأنهم أخرجوا من ظلمات الكفر والاستعباد إلى نور الإسلام وهدايته. وهنا قد شبه الضلال والكفر والاستعباد كأنه الظلمات وشبه الهدى والإسلام والإيمان بأنه النور على سبيل الاستعارة التصريحية فحذف المشبه وصرح بالمشبه به.

ومن ذلك أيضاً "تحمدته على أن أطلع في أفق ملكنا الشريف شمساً فيسعد سعودها زاهرة"<sup>(2)</sup> وهي من رسالة تقليد للإمام محمد الرازي الشافعي ليتولى وظيفة النظر في دواوين الإنشاء.

فحمد الله عز وجل لوجود شمس وهو الإمام الرازي في سماء الملك. فقد شبه هنا الكاتب الإمام الرازي كأنه الشمس التي تثير الطريق على سبيل الاستعارة التصريحية.

ومن ذلك أيضاً: "فأطلعنا في أفق السلطنة كوكباً سعيداً كان لحسن الاستخلاف معداً"<sup>(3)</sup> وهي من رسالة عهد من المنصور قلاوون لابنه الملك الأشرف صلاح الدين خليل، فحمد الله، وصلى على رسوله في المقدمة، وبدأ يمدح ابنه لاستحقاقه منصب رئاسة السلطنة، فقد شبه ابنه الملك صلاح الدين كأنه كوكب في سماء السلطنة على سبيل الاستعارة التصريحية.

ومن خلال الاستعارات السابقة وغيرها الكثير وجدت أنها أبلغ من الحقيقة "والعدول إليها أولى، لما تُعطي من المعاني التي لا تحصل من لفظ الحقيقة"<sup>(4)</sup>

حيث إن تشبه الملك بالكوكب أفضل بكثير من مدحه وعرض مناقبه فكلمة كوكب لها دلالات معروفة عند الناس، فذكرها واستعملها ربما يؤدي المعنى أكثر مما لو ذكرت الحقيقة. "فإن الاستعارة تتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة من زيادة وفائدة"<sup>(5)</sup>

(1) صبح الأعشى، 340/13.

(2) قهوة الإنشاء، 418.

(3) النجوم الأاهرة، 341/7.

(4) تحرير التحبير، 101.

(5) الصانعتين، 295.

وقد ظهرت الاستعارات في رسائل الكتاب بشكل أدبي بارع بعيد عن التكلف أو الإفراط فيه، كما أنها لم تستخدم للزكينة والتزويق فحسب بل إنها أيضاً تعكس مشاعر كتابها.<sup>(1)</sup> ومن ذلك "تحمده على نعمه التي غمرت رعاياه بإدامة الإحسان إليهم، وغمرت ممالكنا بما تتعاهد به أهلها من نشر جناح الرأفة عليهم."<sup>(2)</sup> وهي من رسالة مرسوم بالمسامحة بالبراقبي مما في ندم الجند والرعايا في الشام، وفي المقدمة حمد الله عز وجل على نعمه التي غمرت الرعايا بالإحسان.

ونشرت جناح الرأفة عليهم فهنا شبه الرأفة بأنها حمام ينشر جناحه على الرعية على سبيل الاستعارة المكنية.

فأراد الكاتب هنا أن يصور لنا اهتمام الملك برعيته وانشغاله بمصلحهم وأراد أن يعبر عن تقدير الكاتب بهذا الاهتمام واحترامه للملك. فصوره بالحمامة التي تفرد جناحها على أولادها. فاستخدام تلك الصورة وتلك الاستعارة ليوصل لنا ذلك الشعور شعور الاهتمام شعور الخوف على الأبناء.

ويظهر ذلك أيضاً في موضوع آخر "وهو فإن الله تعالى لما خص أيامنا الزاهرة بالفتح التي أنامت الرعايا في مهاد أمنها، وأنالت البرايا مواقع يمينها ومنها، وكفّت أكف الحوادث عن البلاد وأهلها، ونشرت عليهم أجنحة البشائر في حزن الأرض وسهلها."<sup>(3)</sup>

فيحدث الكاتب هنا عن الانتصارات التي حققها الملك، قد كفت وأبعد الحوادث عن البلاد وأهلها، ثم انتشرت البشائر في جميع بقاع الأرض تخبر بالانصر وتبشر الطمأنينة.

فقد شبه البشائر بالطيور التي تفرد أجنحتها: بالبشائر، وتبشر خبر النصر في كل مكان وتلك الصورة على سبيل الاستعارة المكنية.

ومن ذلك "التهج النبيل فتخلق بوحامه، وهامت أفواه دوائره، ومن هذا المعشوق إلى القبل وابتسم نغز الإسكندرية"<sup>(4)</sup>.

(1) الكتابة الفنية، 413.

(2) صبح الأعيى، 28/13.

(3) السابق، 29/13.

(4) قهوة الانتشاء، 274.



وهي من بشارة بولادة أحد الأبناء ، وبهذه الولادة قد ارتفعت المصائب وسر الجميع وارتفع النيل وابتسم ثغر الإسكندرية. وهنا شبه الكاتب النيل بالإنسان الذي يبتهج ويفرح لميلاد هذا الطفل، حذف الإنسان وجاء بصفة من صفاته الابتهاج على سبيل الاستعارة المكنية. وأيضاً شبه الإسكندرية بالإنسان الذي له ثغر وابتسم ابتهاجاً بالمولود حذف الإنسان وجاء بصفة من صفاته وهي الابتسامه على سبيل الاستعارة المكنية.

فمن المشاعر التي أراد الكاتب أن ينقلها للقارئ الابتهاج والفرح والسعادة بالمولود وخاصة إذا كان ذكراً.

فنقل تلك المشاعر في الصورة التي رسمها بأن جعل النيل إنسان يبتهج والإسكندرية شخص يبتسم ثغره.

ومن ذلك أيضاً "فما سرى ذهنه في استقصاء عرض إلا وكانت الصحة له مرافقة ولا جس يد إلا عقت الخناصر عليه، ولا حصل بين الجسم والصحة منافرة إلا وكان الصلح بينهما على يديه"<sup>(1)</sup> وهو من توقيع برهان الدين إبراهيم ليتولى منصب رئاسة الطب، وفيها يتحدث عن برهان الدين يمدحه ليعمل سبب اختياره لهذه المهنة، وهنا قد شبه الجسم والصحة كأنهما شخصان متخاصمان متناظران، ويكون الصلح بينهما على يد برهان. حذف الأشخاص وجاء بصفة من صفاتهم المناقرة فالصلح على سبيل الاستعارة المكنية. وذلك بمعنى عند المرض فبرهان الدين يتشخص المرض ويحدد العلاج الذي يساعد على الشفاء. فأراد هنا أن يصف شعور الإنسان عند مرضه من تعب ومشقة وألم وقد صور بهذه الصورة المناقرة التي تحصل بين الجسم والصحة عند المرض.

ومن تلك الاستعارات من رسالة وفاة النيل "سقى الأرض سلاقتَه الخمرية فخدمته بحلول النبات وأدخله إلى جنات النخيل والأعشاب فالق النوى والحب فأرضع جنين النبات وأحيا له امهات العصف والآب، وصافحته كغوف الموز فختمها بخواتمه الحقيقية "<sup>(2)</sup>

(1) قهوة الاشياء، 37.

(2) ثمرات الاوراق، 230.

وهكذا من الملاحظ اهتمام كتاب الرسائل بالاستعارة وحرصهم على تبيح رسائلهم بها. ووفقاً فقد كانت أحد أهم فنون البلاغة المستخدمة لتزيين كتاباتهم بالاستعارة فهي "أحد أعمدة الكلام وعليها المعمول في التوسع والتصرف وبها يتوصل إلى ترتيب اللفظ وتحسين النظم والنثر"<sup>(1)</sup>

ثالثاً: الكناية

تعد الكناية مظهراً من مظاهر البلاغة، ولا يبركها إلا صاحب الطبع اللطيف فهي تقدم الحقيقة بصور جديدة كما لها وقع مميز في نفس المتلقي.

وتعد أيضاً أحد أهم فنون البلاغة. وتدل على براعة الكاتب وقدرته على تطويع اللغة.

وقد عرّفها الجرجاني: "إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، لكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود"<sup>(2)</sup>.

وعرفها الهاشمي: لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته"<sup>(3)</sup>.

والكناية تقف مع التشبيه والاستعارة في رسم بلاغة الرسائل وهي من العناصر التي يلجأ إليها الكاتب لتشكيل صورته وتدل على فطنة وذكاء الكاتب، وقد وُظف كتاب الرسائل الكناية توظيفاً جيداً في رسائلهم تدل على البراعة والقدرة على تشكيل الصورة.

ومن ذلك: "الوصايا كثيرة ولكن لا يُهدى التمر إلى حجر، ولا يهدي النور إلى الشمس ولا إلى القمر"<sup>(4)</sup> من تقليد محمد الرازي لوظيفة النظر في دروين الإتياء وهي من نهاية الرسالة في حديثه عن الوصايا. استخدم المثل كناية عن المنزلة التي وصل إليها الرازي فالوصايا منه تُستلمى، وهو أهلها ولا يحتاج للوصايا كالتمر الذي لا يفتح إهداؤه لبلدة تباع التمر.

(1) الوساطة بين المتنبي وخصومه، علي الجرجاني، تحقيق محمد إبراهيم، علي الجاروي، مطبعة عيسى الحلبي، ط4، 1966م، 428.

(2) دلائل الإعجاز، 66.

(3) جواهر البلاغة، 346.

(4) فقهوة الإتياء، 417.

ومن ذلك أيضاً: "وقد أجمع الناس على أن الرازي هو شيخ الإسلام الذي أتى بتحصيل الحق... ولو شاهد شمسنا التي أتت من المشرق" فبهت الذي كفر" وقال أمنت بمحمد ورسائله وصحابه<sup>(1)</sup>

في هذه الفقرة الكاتب يمدح الرازي الذي هو شيخ الإسلام في عصره فقد كان نعم الرجل وتقلد وظيفة النظر في دواوين الإنشاء بجدارة، واستخدم الكاتب "بُهِت الذي كفر" و"أمنت بمحمد" كناية عن المنزلة الرفيعة التي تقلدها الرازي والاعتراف بأحقية وجارته.

ومن ذلك أيضاً "إِن كنتم تريدون الصلح والإصلاح وبواطلكم كظواهركم متتابعة في الصلاح... فبرسل إلينا من خراس دولتكم رجلاً يكون منكم ممن إذا قطع بأمر وقتتم عنده، لنتكلم معه فيما منه الصلاح لذات البين وإن لم يكن كذلك عاد بخفي حنين<sup>(2)</sup>

هذه فقرة من رسالة رد على رسالة صلح أرسلت من ملك التتار محمود غازان إلى الناصر قلاوون، فقال فيها: أن أردتم الصلح فعلاً فأرسلوا رجلاً ثقة نتحدث معه عن الصلح، وإن لم تكن لديكم نية الصلح فسيعود بلا فائدة. وهنا استخدم عبارة بواطلكم كظواهركم كناية عن الرغبة الصادقة في الصلح عند محمود غازان وجنوده، واستخدم عبارة: "عاد بخفي حنين" كناية عن عدم الفائدة إذا لم يرغبوا في الصلح بل سيعود الرجل صفر اليدين.

ومن ذلك أيضاً: "على نعشه فأخذت نبات نعشه حظها من عزائه ومشى على الماء من دموع الناس فاستوت المياه والأخشاب عند بكائه"<sup>(3)</sup> وهي فقرة من تعزية بوفاة المقر الأشرف صارم الدين إبراهيم وتحدث عن موكب تشييعه، واستخدم عبارة "مشى على الماء من دموع الناس فاستوت المياه والأخشاب" كناية عن تعامله الطيب مع الناس وكرم أخلاقه حتى بكوا بكاء مريراً كثيراً فتلك الدموع من كثرتها حملت النعش.

وفي بعض الأحيان تُعد الكناية أفضل من الإفصاح والكلام وربما تستخدم أكثر من الإفصاح "فالكلابية أبلغ من الإفصاح بالذکر"<sup>(4)</sup>؛ فهي تجعل الملقى يقف على فهم المراد مع جعل الباب مفتوحاً

(1) قهوة الإنشاء، 417.

(2) النجوم الزاهرة، 113/8.

(3) قهوة الإنشاء، 296.

(4) الطراز، 426/1، وأيضاً الايضاح، 3/468، وأيضاً خزنة الأديب، 263.

لاحتمالية معانٍ أخرى للعبارة ذاتها. ومع هذا فإن الكناية تحتاج إلى براعة ولفظة وذكاء وانتباه المتلقي ليصل للمعنى المراد. وقد كان من شروطها قرب فهم المعنى الثاني من أجل الحقيقة<sup>(1)</sup>.  
من تلك الكنايات:

"إن الله تعالى لما خص أيامنا الزاهرة بالفتوح التي أنامت الرعايا، في مهاد أمنها، ... وكفت أكف الحوادث عن البلاد وأهلها، وتشرت عليهم أجنحة البشائر في حزن الأرض وسهلها"<sup>(2)</sup>  
تحدث في الفقرة السابقة عن الفتوحات التي خص الله بها الدولة وانتصارها واستخدم الكاتب "أنامت الرعايا في مهاد أمنها" وتشرت عليهم أجنحة البشائر" كناية عن كثرة الانتصارات التي حُقت فكانت داعية لنقل البشائر.

ومن تلك أيضاً "قلبيشتر ذلك على ما عُهد من مبادئ أدواته التي هي غاية المنتهي، والوصايا كثيرة" وأرسل حكيماً ولا توصه"<sup>(3)</sup>

من توقيع برهان الدين رياسة الطب في الديار المصرية فتحدث عن الوصايا وعبارة أرسل حكيماً ولا توصه كناية عن عدم حاجته للوصايا فهو الحكيم فأرسله فلا حاجة له للوصايا.  
ومن ذلك "تحمده على نعمه التي غمرت رعايانا بإدامة الإحسان إليهم وغمرت ممالكنا بما نتعاهد به أهلنا من نشر جناح الرأفة عليهم"<sup>(4)</sup> من مرسوم بالمسامحة بالبراقبي مما فيه ندم الجند والرعايا بالشام فالمقدمة حمد الله عز وجل وعبارة نحمده على نعمه التي غمرت رعايانا، فهذه العبارة كناية عن كثرة نعمة الله علينا وأوجبت الحمد.

ومن ذلك أيضاً "قد أنحفنا الجناح ببسط هذه البشري لياخذ منها حظه بالوافر ويترجح مسامح الصم بإعلان البشائر ويملاً بطون الدفاتر"<sup>(5)</sup>.

(1) ينظر: الإيضاح، 456  
(2) صبح الأعشى، 29/13  
(3) قهوة الإيشاء، 37  
(4) صبح الأعشى، 28/13  
(5) قهوة الإيشاء، 79

من بشارة بطول ركاب المولى الشريف للديار المصرية فاستخدم الكاتب " يقع مسامع الصم بإعلان البشائر ويملاً بطون الدفاتر " كناية عن كثرة البشائر التي تُثقل ابتهاجاً بعودة الملك للبلاد حتى جعلت مسامع الصم تُقرع، وملئ بطون الدفاتر بالتهاني والبشائر ومن خلال السابق لوحظ استخدام كُتاب الرسائل للكناية استخداماً جيداً.

حيث ساعدتهم مع التشبيه والاستعارة على رسم صورهم وتجميل وتحسين رسائلهم.

وهكذا فالكناية تتطلب البراعة والقلعة من الكاتب ليحسن الاستخدام، ومن المتلقي ليحسن الفهم، كما يكمن جمال الكناية في بعدها عن المؤلف، وتساعد على تأكيد المعنى، كما تساعد على إعمال العقل وتشغيل مداركه وتعمل على زيادة الصورة وضوحاً وجمالاً وحسناً وبهاءً.

ولايد من القول إن التصوير بأنواعه جاء في الرسائل بشكل عفوي لم يظهر عليه التصنع ولم يبالغ في توظيفه، بل زاد من التأثير على المتلقي، وزاد النص جمالاً، وعمل على أداء دوره على أكمل وجه.

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي بينر عقول البشر، الحمد لله الذي بفضلہ يتِم العمل.

في خاتمة بحثي أتمنى من الله العزيز الحكيم أن أكون قد وُفقت في دراستي هذه، التي تناولت فيها فن الرسائل في العصر المملوكي، هذا العصر الذي غفل عنه الدارسون ونبعته بالتخلف والانحطاط، وهو عصر الموسوعات .

وفي هذه الدراسة قسمت بحثي إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول خاتمة.

- تناولت المقدمة: أهمية الدراسة، ومبرراتها، والدراسات السابقة، وخطة الدراسة ، ومنهاجها .  
- والتمهيد: قُسم لمبحثين: المبحث الأول: اهتم بالرسائل في الأدب العربي القديم. والمبحث الثاني: اهتم بدراسة البيئة العامة للعصر المملوكي السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، العلمية.

- تناول الفصل الأول: فن الرسائل في العصر المملوكي وأشهر كتابها. فبدأته بمبحث أول: عدت فيه العوامل المؤثرة في فن الرسائل ودرست بالمبحث الثاني: أشهر كتاب الرسائل في هذا العصر .

- أما الفصل الثاني: تخصص بدراسة أنواع الرسائل وموضوعاتها، فبدأته بمهاد نظري: تحدثت فيه عن تصنيف الرسائل، وتناولت في المبحث الأول: الرسائل السياسية. والمبحث الثاني: الرسائل الاجتماعية. والمبحث الثالث: الرسائل العلمية. فقد عرضت في كل مبحث عدداً لا بأس به من نماذج كل نوع.

- والفصل الثالث خصصته للدراسة الفنية، وقد قُسم لأربعة مباحث. الأول منها: تحدثت عن بناء الرسالة، والثاني: السمات اللغوية والأسلوبية والثالث: السمات الإيقاعية والمبحث الرابع: السمات التصويرية.

- وأنهيت الدراسة: بخاتمة لخصت فيها أبرز نتائج البحث الذي توصلت إليها، والتوصيات، ثم قائمة المصادر والمراجع، ثم فهرس الموضوعات، وأنهيت بحثي بملخص الدراسة.

- وأخيراً أعرض أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة وهي:
- 1- تعتبر الرسائل سجلاً حافلاً بأحداث الحياة السياسية: الداخلية والخارجية.
  - 2- عكست الرسائل الحياة الاجتماعية والترابط الاجتماعي السائد في ذلك العصر.
  - 3- عكست أيضاً الحياة العلمية والثقافية والتي تساعد في الوقوف في وجه من ادعي بانحطاط وتخلف علم وأدب العصر المملوكي.
  - 4- اشتهت الرسائل بالسمعة الدينية ويظهر ذلك جلياً من خلال توظيف كتاب الرسائل آيات من القرآن الكريم وأحاديث نبوية شريفة في رسائلهم.
  - 5- تميزت رسائلهم بالوضوح وجزالة الألفاظ والبعد عن الغرابة.
  - 6- اهتمت كتاب الرسائل بفن الشعر، ويظهر ذلك جلياً من خلال تضمين رسائلهم أبياتاً من الشعر.
  - 7- اهتمت كتاب الرسائل بتتبع رسائلهم و روثقتها وذلك من خلال استخدام ألوان البلاغة فيها من سجع وجناس وطباق واستعارة وتشبيه وكتابة.
  - 8- اهتمت كتاب الرسائل بعناصرها: (البسملة، العنوان، المدلة، الصلاة على الرسول، المضمون، الخاتمة).
  - 9- اهتمت بهم بالأمثال وظهر ذلك من خلال استخدام الأمثال في رسائلهم.
  - 10- أكثروا من صفات المرسل إليه ومدحه(الجناب، العالي، السلطاني، القاضي، العمدة الحجة، وارث العلوم، الأجل المبجل...)
  - 11- يغلب على الرسائل صفة الإسهاب والإطناب.
  - 12- الحياة: السياسية والاجتماعية والعلمية والاقتصادية الموطدة الأركان التي كانت سائدة في العصر المملوكي.
- التوصيات المقترحة خصت الدراسة إلى عدة توصيات منها:
- توجيه عناية الدارسين إلى العصر المملوكي فهو ما يزال بكاراً يحتاج إلى العديد من الدراسات التي توفيه حقه وتبرز درره.
  - تحقيق المزيد من مخطوطات الكُتَّاب في العصر المملوكي.



- عمل دراسات توازن بين أدب العصر المملوكي والعصور التي سبقت، تلك العصور التي وصف أدبها بالقبو والأصالة لبيان مكانة أدب العصر المملوكي بين عصور الأدب ووفي التهم عنه.
- تشجيع الجامعات على تدريس أدب العصر المملوكي وإعطائه حقه كباقي عصور الأدب.

## المصادر المراجع

1. إنشاء الفجر بأبناء العمر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 2011م.
2. إحكام صناعة الكلام: محمد الكلاعي، تحقيق محمد الداية، دار الثقافة، ط.1، بيروت، لبنان، 1966م،
3. الأدب الأموي: إبراهيم علي أبو خشب ، الهيئة المصرية، الإسكندرية مصر ، 1977، د. ط.
4. الأدب العربي بين العصرين المملوكي والعثماني، نبيل أبو علي، دار المقاد، غزة، 2007م.
5. الأدب العربي في الأندلس: عبد العزيز عتيق، دار النهضة، ط1، بيروت، 1976.
6. الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، محمود رزق سليم، مطابع دار الكتاب العربي، 1957م.
7. أدب الكاتيب: ابن قتيبة، شرح علي فاعور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1988م.
8. أدب الكتاب: أبو بكر الصولي، تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت
9. الأدب في العصر المملوكي: فنون النثر، محمد زغول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، مطبعة المدني، د. ت، د. ط .
10. الأدب في موكب الحضارة: شوقي ضيف، مكتبة الأنجلو ، ط5، القاهرة ، 1968م.
11. أسرار البلاغة في علم البيان: عبد القاهرة الجرجاني، تحقيق محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1996م.
12. أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك، قاسم عبدو قاسم، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، 1978م.
13. الإعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط5، 1980م.

14. أعيان العصر وأعيان النصر: صلاح الدين الصفي، تحقيق على أبو زيد وآخرون، تقديم مازن المبارك، دار الفكر، ط1، 1998م.
15. الاقتصاب في شرح أدب الكاتب، البطليوسي، تحقيق مصطفى السقا، حامد عبد المجيد الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1981م. د. ط.
16. ألحان السوراج بين البادي والمراجع، صلاح الدين الصفي، تحقيق وتقديم محمد عبد الحميد سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2005م.
17. الأمثال: أبو الخير الهاشمي، دار سعد الدين، ط1 دمشق، 1423هـ.
18. الإيضاح في علوم البلاغة: محمد جلال الدين القزويني، تطبيق، محمد خفاجي، دار الكتاب اللبناني، ط4\_ 1975م بيروت، لبنان.
19. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف ط7، بيروت، 1988م.
20. البداية والنهاية: إسماعيل بن كثير، تحقيق أحمد عبد الوهاب، دار الحديث، ط1، القاهرة، 1992م.
21. بدائع الزهور في وقائع الدهور: محمد بن أحمد بن إياس، الهيئة المصرية العامة، ط3، القاهرة، 1983م.
22. الدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت.
23. البرد الموشى في صناعة الإثشاء: موسى الموصلي، تحقيق عفاف صبروة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1990م.
24. بلاغة الكتاب في العصر العباسي، محمد نبيه حجاب، مكتبة الطالب الجامعي، ط2، 1986م.
25. تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، ط2، بيروت، لبنان، 1988م.
26. تاريخ الأدب العربي من مطلع القرن الخامس الهجري إلى الفتح العثماني، عمر فروخ، دار العلم المالين، ط4 بيروت، لبنان، 1981م.
27. تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول: شوقي ضيف، دار المعارف، ط8، 1972

28. تاريخ الأدب العربي، العصر المملوكي: عمر موسى باشا، دار الفكر، دمشق، ط1، 1989م.
29. تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ، دار العلم للملايين ط4 بيروت لبنان، 1981م
30. تاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية: محمود المقداد، دار الفكر، ط1، دمشق، سوريا، 1993م.
31. تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام، محمود المقداد دار الفكر، ط1، دمشق، سوريا، 1993.
32. تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، القاهرة، د.ت.
33. تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط4، القاهرة، مصر،، د.ت.
34. تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، محمد سهيل طقوس دار النفاثس، ط2، بيروت، لبنان، 1997م.
35. تحرير التحرير: ابن أبي الأصبغ المصري، تحقيق حنفي شرف، القاهرة، 1995م.
36. تطوير الأساليب النثرية: أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، ط6، بيروت، لبنان، 1979م.
37. التعريف بالمصطلح الشريف: ابن فضل الله العمري، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1988م.
38. تمام المتون في شرح رسالة ابن زبون: خليل بن أيك الصفدي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، مطبعة المدني، 1969م.
39. ثمرات الأوراق: ابن حجة الحموي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، د.ت، بيروت 2005م.
40. جمهرة الأمثال: أبو هلال العسكري، تحقيق محمد إبراهيم، عبد المجيد قطاش، دار الفكر، د.ت، ط، 1988م.
41. جمهرة رسائل العرب: أحمد صفوت، مكتبة مصطفى الباني، ط2، القاهرة، 1971م.

42. جواهر الأدب في أدبيات وانشاء لغثة العرب، أحمد الهاشمي، مؤسسة المعارف، بيروت.
43. جواهر البلاغة: أحمد الهاشمي، دار إحياء التراث، ط12، بيروت، لبنان.
44. جواهر السلوك في أمر الخلفاء والملوك: ابن ياس، تحقيق محمد زينهم، الدار الثقافية، ط1، 2006م، القاهرة.
45. حركة التأليف العلمي في مصر والثنام في العصر الملوكي الأول: جلال يرسف العطارى، دار الفكر، ط1، الأردن، 2011م.
46. الحركة الشعرية من المماليك في حلب الشهباء، أحمد الهيب، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1986م.
47. حسن التوسل إلى صناعة التوسل، شهاب الدين محمود الحلبي، المطبعة الروحية، مصر، 1298هـ.
48. حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة: جلال الدين السيوطي، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1968.
49. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي، ط4، بيروت، لبنان، 1985.
50. حياة الحيوان الكبرى: كمال الدين الدميري، دار الكتب العلمية ط2، بيروت، لبنان، 1424هـ.
51. خزنة الأدب وعاية الأرب، ابن حجة الحموي، شرح عصام شعتيو، دار الهلال، ط الأخيرة، 2004م.
52. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثمانية، ابن حجر العسقلاني، دار الجيل، د. د. ط، بيروت.
53. دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد شاكر، مطبعة المدني، ط3، 1992م.
54. دولة الإسلام في الأندلس، محمد عنان، مكتبة الخفاجي، ط2، القاهرة، مصر، 1990.
55. ديوان ابن نباتة المصري: شركة علاء الدين، بيروت د.ت، د. ط.
56. ديوان أبي فراس الحمداني: شرح: خليل الدويهي، دار الكتاب، ط4، بيروت، 1999م.

57. ديوان المتقبي: دار بيروت، د. ط، بيروت، لبنان، 1983م.
58. ديوان امرؤ القيس: دار الأرقم، بيروت، لبنان، د. ط، د.ت.
59. ديوان طرفة بن العبد: تحقيق مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط2، 2002م.
60. ديوان عمرو بن معدى يكرب الزبيدي: مطاع الطرايشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ط2، 1985م، دمشق.
61. الرسائل الديوانية: عبد الحليم الهروط، دار جريب، ط1، عمان، الأردن، 2006م.
62. الرسائل الفنية في العصر العباسي: محمد محمود الدروني، دار الفكر، ط1، عمان، الأردن، جامعة آل البيت، 1990م.
63. ربحانة الكتاب: لسان الدين بن الخطيب، مكتبة الخفاجي، القاهرة، 1980، د. ط.
64. السلوك لمعرفة دول الملوك، تقي الدين المقرئزي، مطبعة لجنة التأليف والنشر ط2، 1957، القاهرة.
65. سنن ابن ماجه، محمد القزويني، تحقيق: محمد عبد الباقي، دار إحياء، د. ط، د. ت.
66. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1985م.
67. شذرات الذهب في أخبار من ذهب: أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي، دار الفكر، د. ت، د. ط.
68. شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، ط1، بيروت، 1987م.
69. صبح الأعرشى في صناعة الإتياء: أبو العباس القفشندي، نسخة الطبعة الأميرية وزارة الثقافة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، د. ت، د. ط.
70. صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد البخاري، تحقيق: محمد بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، ، بيروت، لبنان. 1422هـ
71. الصفدي وآثاره في الأدب والنقد، محمد عبد المجيد لاشين، دار الأفاق العربية، ط1، 2000م.

72. الصناعتين: أبو هلال العسكري، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 1984م.
73. الصورة الفنية من التراث النقدي والبلاغي عند العرب، دار جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، ط3، بيروت، 1992م .
74. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي، منشورات دار الحياة، بيروت لبنان.
75. الطبقات ابن سعد، تحقيق محمد علي أدبلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986.
76. طبقات الشافعية: تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب السبكي، تحقيق مصطفى عبد القادر، أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999م.
77. الطراز لأسرار البلاغة: يحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، د. ط ، د. ت.
78. طومان باي آخر سلاطين المماليك في مصر: عبد المنعم ماجد، 1978، مكتبة الانجلو، نسخة أخيرة، د. ط.
79. العصر الإسلامي: شوقي ضيف، دار المعارف، ط6، د.ت، القاهرة.
80. العصر الجاهلي: شوقي ضيف، دار المعارف، ط10، مصر.
81. العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر ، 1972م.
82. العصر المماليكي في مصر وبلاد الشام: سعيد عبد الفتاح عاشور، مكتبة الانجلو، ط3، 1994م.
83. عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، محمود رزق سليم، مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، ط2- 1962م.
84. عصر سلاطين المماليك، التاريخ السياسي، والاجتماعي، قاسم عبدو قاسم ، عين الدراسات، ط1، الهرم 1998م.
85. العقد الفريد، ابن عبد ربه، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 1404هـ.
86. علم الأسلوب: صلاح فضل، مؤسسة مختار، 1992، د. ط، القاهرة.



87. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تقديم صلاح الهواري، وهدي عودة، مكتبة الهلال، ط1، 1996م بيروت لبنان.
88. الغصون البياضة في أدب العصور المتتابعة، حسن عبد الرحمن سليم، جامعة الإمارات، ط1، 2005م.
89. الفن ومناهجه في النثر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، ط5، مصر.
90. فنون النثر في الأدب العباسي: محمود صالح، دار جريب، ط2، عمان الأردن، 2006م.
91. فهرس الفهارس والأبحاث ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات: عبد الحي الكتاني، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت، د.ط.
92. فترات الريفات، محمد شاكر الكنتي، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ت، د.ط.
93. قهوة الإثشاء: تقي الدين ابن حجة الحموي، تحقيق، رودولف فيسلي، ط1، بيروت، لبنان، 2005م.
94. الكتابة الفنية: حسني ناعسة، مؤسسة الرسالة، ط1، 1978م، سوريا.
95. لسان العرب: جمال الدين محمد بن منظور، دار صادر، ط3 بيروت، 1990.
96. المثل السائر، ابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار النهضة، ط2، القاهرة مصر.
97. المثل السائر: ابن الأثير، المكتبة العصرية، د.ت بيروت، 1995م.
98. مجمع الأمثال: أبو الفضل الميداني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
99. مختارات من النثر العربي القديم: توفيق أبو الرب، دار الأمل، إربد، الأردن.
100. المرشد الي فهم أشعار العرب وصناعتها: عبد الله الطيب، الكويت، ط3، 1989م.
101. مسند الإمام أحمد بن حنبل: تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1997م.

102. مسند الشاميين: الحافظ أبو قاسم سليم الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1989م، بيروت لبنان.
103. معجم البلاغة العربية: بدوي طبانة، دار المنارة، ط3 جدة، 1988م.
104. معجم البلدان: شهاب الدين باقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط1، 1990م.
105. معجم المصطلحات البلاغية وتطويرها: أحمد مطرب، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 2000م.
106. المعجم المفصل في علوم البلاغة: أنعام عكاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3-1996م.
107. المغول بين الانتشار والانكسار، علي محمد الصلابي، دار الأندلس، الجديدة، ط1، مصر 2009.
108. المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، يوسف بن تعزي بردي، تحقيق نبيل عبد العزيز، مركز تحقيق التراث، 1988
109. المواظ والاعتبار بذكر الخطط الآثار، تقي الدين المقرئ، المكتبة الدينية الثقافية، القاهرة، 1987.
110. المولاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية: محاسن بن عبد الله بن محمد الجلود، ط1، 1987م.
111. موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر المملوكي، مفيد الزبيدي، دار أسامة، عمان، الأردن، 2006، د. ط.
112. نثر الدرر: أبو سعد منصور الأبي، تحقيق: خالد محفوظ، دار الكتب العلمية، ط1 بيروت، لبنان، 2004م.
113. النثر الفني في القرن الرابع: زكي مبارك، دار الجيل، بيروت
114. النثر عند لسان الدين الخطيب: عبد الحليم الهروط، دار جريب، عمان، الأردن 2010م.
115. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين بن تعزي بردي، تقديم وتعليق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية ط1، بيروت، لبنان، 1992.

116. نظرية علم النص: حسام أحمد فرج, تقديم سليمان العطار, محمود حجازي, مكتبة الأدب, القاهرة, ط1, 2007م.
117. نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب, شهاب الدين التلمساني, تحقيق: احسان عباس, دار صادر, د. ط, بيروت, لبنان, 1988م.
118. نقد النثر: نبيل ابو علي, الهيئة المصرية العامة, د. ط, 1993
119. نهاية الأرب في فنون الأدب: شهاب الدين النويري, دار الكتب والوثائق القومية, القاهرة, ط1.
120. نهر الذهب في تاريخ حلب: كامل بن حسين الحلبي, دار القلم, ط2, بيروت.
121. النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك: قاسم عبدو قاسم, دار المعارف, ط1, القاهرة, 1978م.
122. الوافي بالوفيات, صلاح الدين الصفدي, تحقيق أحمد الأرنؤوط, تركي مصطفى, دار إحياء التراث, بيروت, لبنان, 2000.
123. الوثائق الإسلامية للعصر المملوكي: محمد حمادة, مؤسسة الرسالة, ط1, سوريا 1980
124. الوساطة بين المتنبى وخصومه: علي الجرجاني, تحقيق محمد إبراهيم, علي البجاوي, مطبعة عيسى الحلبي, ط4, 1966م.
125. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر, أبو منصور عبد الله بن محمد الثعالبي, تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد, دار الفكر بيروت, د. ط, د. ط.

## المخلص

تناولت الدراسة (فن الرسائل في العصر المملوكي دراسة تحليلية) واشتملت على مقدمة وتمهيد (الرسائل في الأدب العربي القديم، والبيئة العامة للعصر المملوكي).

وثلاثة فصول (الفصل الأول: فن الرسائل في العصر المملوكي وأشهر كتابها)، والفصل الثاني (أنواع الرسائل وموضوعاتها) والفصل الثالث (الدراسة الفنية)، وأنهيت البحث بخاتمة أجملت فيها نتائج البحث وأهم التوصيات .

### هدف الرسالة :

توسيع الأفق بأبواب ظلت مغلقة أعواماً طويلة، في عصر أهملت فيه الدراسة ظلاماً، وأجحفت بحقه بهتاناً، وهو العصر المملوكي، فاخترت إحدى نوافذه، المسماة بفن الرسائل، وحاولت التوسع في هذه النافذة قدر الإمكان، ليكون لي الشرف لأنقل إلى كل مهتم ما وجدت فيه، ولأنفي عن ذلك العصر التهم المنسوبة إليه.

### منهج الدراسة:

المنهج التكاملي بما يحويه من مناهج تمكن البحث من الإحاطة بجميع مكونات النص الأدبي من حيث الشكل والمضمون.

### نتائج الدراسة:

كشفت الدراسة عن الدور الكبير الذي احتله فن الرسائل في هذا العصر، فهو بحق يعكس الحياة العامة، ويعتبر فناً من فنون الأدب، و يعد إرثاً قيماً يتسم بسمات فنية رائعة.

## Summary

The study took the ( Letters Art in the Mamluk Era An Analytical Study) included introduction and preamble (letters in Classical Arabic Literature and The general environment of the Mamluke era) and three Chapters(chapter one : ( Letters Art in the Mamluk Era) Chapter two: The types of letters . chapter three (The technical study) Search Ended conclusion outlined the results of the search and the most important recommendations.

### **Aims of the study**

The study aims to expand our horizons through opening doors closed for many long years . The study of the Maamluk period was unjustly ignored , and therefore I choose one of its key areas which is the Letters Art in the Mamluk Era in order, to have the privilege of conveying to those interested what I have found and to negate all charges Leveled against this period .

### **Methodology**

The study used integrative critical approach which includes methods that assist the researcher to fully examine all aspects if the Literary text both in form and content .

### **Results of the study:**

The study discovered the big role occupied by the art of letters in this century, which is indeed reflects the general life, and considered as one of the literature arts, which is a valuable legacy with a wonderful art characteristics.

## فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	العنوان
ب	الإهداء
ج	شكر وتقدير
د	شكر وعرقان
هـ	المقدمة
التمهيد	
2	المبحث الأول: نشأة فن الرسائل
2	نشأة فن الرسائل
3	أولاً: نشأة الرسائل السياسية
8	ثانياً : نشأة الرسائل الاجتماعية
12	المبحث الثاني: البيئة العامة للعصر المملوكي
12	أصل المماليك
13	البيئة السياسية
18	البيئة الاقتصادية
21	البيئة الاجتماعية
22	البيئة العلمية والثقافية
الفصل الأول فن الرسائل في العصر المملوكي وأشهر كتابها	
26	المبحث الأول: عوامل نشأة فن الرسائل ومكانتها
26	أولاً: العوامل السياسية
27	ثانياً: العوامل الاجتماعية
28	ثالثاً: العوامل العلمية
29	مكانة فن الرسائل

32	المبحث الثاني: أشهر كتاب الرسائل في العصر المملوكي
32	صلاح الدين الصفدي
33	محي الدين عبد الظاهر
35	ابن حجة الحموي
37	القلقشندي
38	ابن فضل الله العمري
40	ابن نباتة المصري
41	شهاب الدين محمود الحلبي
43	جلال الدين القزويني
44	علاء الدين بن عبد الظاهر
44	عمر بن الوردي
<b>الفصل الثاني</b> <b>أنواع الرسائل وموضوعاتها</b>	
47	مهاده نظري رؤى تنظيرية تصنيف الرسائل
51	المبحث الأول: الرسائل السياسية
51	أولاً: الرسائل الملوكية
59	ثانياً: العهود والمبايعات
63	ثالثاً: التقاليد
69	رابعاً: التواقيع والمراسيم
74	خامساً: البشارات
79	المبحث الثاني: الرسائل الاجتماعية
79	أولاً: رسائل المديح
83	ثانياً: رسائل التهنئة
86	ثالثاً: رسائل الشكر
88	رابعاً: رسائل التعزية
90	خامساً: رسائل العتاب



93	المبحث الثالث: الرسائل العلمية
93	أولاً: الإجازة العلمية
100	ثانياً: إجازة العراضة
105	ثالثاً الإجازة بالرواية الأدبية
الفصل الثالث الدراسة الفنية	
111	المبحث الأول: بناء الرسالة، وضوابطها الفنية
111	أولاً: البسمة
113	ثانياً: العنوان
113	ثالثاً: الحمدلة
115	رابعاً: الصلاة على الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم-
117	خامساً: التلخص
118	سادساً: موضوع الرسالة
122	المبحث الثاني: السمات اللغوية والأسلوبية
122	أولاً: جزالة الألفاظ
126	ثانياً التناص
126	أ- تناص القرآن الكريم
130	ب- تناص الحديث الشريف
132	ج- تناص الشعر
136	د- تناص الأمثال
138	ثالثاً: الجمل الدعائية
139	رابعاً: الإيجاز والإطناب
144	خامساً: أسلوب الأمر
146	المبحث الثالث: السمات الإيقاعية
146	أولاً: السجع
148	ثانياً: الجناس

153	ثالثاً: الطباق
155	رابعاً: الموازنة
158	المبحث الرابع: السمات التصويرية
158	أولاً: التشبيه
163	ثانياً: الاستعارة
168	ثالثاً: الكناية
172	الخاتمة
175	المصادر المراجع
184	الملخص
185	Abstract
186	فهرس الموضوعات